

أديب القرن التاسع عشر

# أحمد فارس الشدياق

وهي رسالة قدمت إلى كلية الآداب  
في جامعة بيروت الأمريكية  
لنيل شهادة

## استاذ في العلوم

وضمها

## محمد يوسف بنخم

الجامعة الأمريكية

بيروت

١٩٤٨  
سنة

## احمد فارس الشدياق

في الفصل الاول من هذه الرسالة عرض المؤلف لعصر الشدياق فتحدث عن اللغات الفكرية في القرن التاسع عشر . فتناول بواحد النهضة في مصر (على يدي الاسرة العلوية) وفي سورية (على اثر الاتصال بالبعثات التبشيرية) وتحدث عن التزاغ بين القديم والجديد في الادب . ثم عرض للنشاط السوري في هذه النهضة فتحدث عن الصحافة والجمعيات الادبية والتمثيل وادب المهجر . .

وفي الفصل الثاني عرض لحياته فتحدث عن لبنان في مطلع القرن التاسع عشر حين ولد الشدياق . وتحدث عن بيت الشدياق . وعن اب المترجم واهه واخوته طنوس ومنصور واسعد . ثم تحدث حياته في لبنان ومصر ومالطة وتونس والاسنانة حتى وصل الى وفاته فوقف قليلا على دينه حين وفاته وعرض لاراء الكتاب في ذلك وحللها وعلق عليها . ثم تحدث عن الشدياق ومهنة التعليم وعرض كتابه "اللغيف في كل معنى ظريف" واخيرا تحدث عن انتاج الشدياق وعن اولاده .

وفي الفصل الثالث تحدث عن الشدياق الكاتب فعرض كتابه "الساق على الساق فيما هو الفارياق" وحلل اسلوبه وارجمه الى عناصر اربعة : الاثنان العقلي ، والاقتان الايقاعي والواقعية والفكاهة . ثم عرض كتابيه "الواسطة في معرفة الاحوال مالطة" و"كشف المخبأ عن فنون اوروبا" .

وفي الفصل الرابع تحدث عن شعر الشدياق في ذم الدنيا وشكوى الزمان وفي لهجته الهجاء والغزل والرناء والوصف والمناسبات . ثم وضع شعره في الميزان فتحدث عن طبيعته الفنية وعناصر الشعرية ومظاهر التقليد في شعره .

وفي الفصل الخامس تحدث عن الشدياق اللغوي فتناول كتبه "سر الليال في القلب والابدال" و"الجاسوس على القاموس" و"غنية الطالب ومنية الراغب في الصرف والنحو وصروف المعاني" . ثم تحدث عن ما اثاره هذا الكتاب في عالم اللغة . فتحدث عن كتاب الشيخ سعيد الشرتوني في نقده وهو "السهم الصائب في تخطئة غنية الطالب" . ورد الشيخ ابراهيم الاحدب عليه في كتابه "رد السهم عن التصويب وابعاده عن مرمى الصواب بالتقريب" ورد الشيخ يوسف الاسير في كتابه "رد السهم للسهم" . ثم تحدث عن المناظرات اللغوية التي قامت بينه وبين معاصريه . وبعدها تحدث عن موقف الشدياق من النحت والوضع والتعريب .

وفي الفصل السادس تحدث عن الشدياق الصحافي وتناول اثاره في "كز الرغائب في منتجات الجوائب" وتحدث عن اسلوبه فيها .

وفي الفصل السابع تحدث عن موقف الشدياق من اللغات الاجنبية . فتحدث عن كتبه "الباكونة الشعبية في نحو اللغة الانكليزية" وعن المحاورة الاضية في اللغتين الانكليزية والحريرية . وعن "سند الراوي في الصرف الفرنسي" وعن ترجمته لشرح طبائع الحيوان وللتوراء ولبعض المقالات الصحفية .

## محتويات الكتاب

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٢	محتويات الكتاب
١	تصدير
	الفصل الاول : عصر الشدياق (وهو لمحات من الحياة الفكرية
٣	في القرن التاسع عشر .....
١٢	مميزات النهضة الحديثة .....
١٣	الادب بين المحافظين والمجددين .....
١٩	في سورية .....
٢٨	النشاط السوري في النهضة الحديثة « الصحافة .....
٣١	الجمعيات الادبية .....
٣٥	التمثيل .....
٤٠	ادب المهجر .....
	الفصل الثاني : حياته ( وهو دراسة تحليلية علمية لحياته
٤٤	في اطوارها المختلفة ) .....
٤٥	لبنان في مطلع القرن التاسع عشر .....
٤٨	بيت الشدياق .....
٥٠	طنوس = .....
٥١	منصور = .....
٥١	اسعد = .....
٥٥	فارس ٣ (في لبنان) .....
٥٨	في مصر .....
٥٩	في مالطه .....
٦١	في اوروبا .....
٦٢	في تونس .....
٦٣	في الاستانة .....
٦٥	- وفاته .....
٧٤	- الفارياق المعلم .....

٧٦	..... اللفيف في كل معنى ظريف
٧٧	..... انتاج الشدياق
٧٩	..... الكتب المخطوطة
٨٠	..... اولاده

**الفصل الثالث : الكاتب ( ويتناول اديه النثرى**

٨٢	..... بالعرض والتحليل والدراسة)
٨٣	..... الساق على الساق فيما هو الفاريق
١١٢	..... السلوية في الساق
١١٥	..... الافتنان الحقلى
١١٧	..... الافتنان الايقاعى
١٢٢	..... الواقعية
١٢٥	..... الفكاهة
١٣١	..... الوساطة في معرفة احوال مالطة
١٣٥	..... كشف المخبا عن فنون اهل اوربا

**الفصل الرابع : الناظم ( ويتناول انتاجه في**

١٣٩	..... النظم بالعرض والتحليل والدراسة)
١٤٠	..... نم الدنيا وشكوى الزمان
١٤٧	..... الهجاء
١٥٢	..... الغزل
١٥٩	..... الرثاء
١٦٥	..... الوصف
١٧٥	..... شعر المناسبات
١٨٠	..... شعره في الميزان
١٨١	..... طبيعته الفنية
١٨٤	..... عناصر الشاعرية
١٨٧	..... مظاهر التقليد

الفصل الخامس : في اللغة (ويتناول

١٩٥	.....	ابحاث اللغوية المشتقة في الكتب والصحف )
١٩٦	.....	سر الليل في القلب والابدال
٢٠٤	.....	اسلوبه
٢٠٧	.....	الجاسوس على القاموس
٢٠٨	.....	المقدمة
٢١٣	.....	النقد الاول
	.....	النقد الثاني
٢١٤	.....	النقد الثالث
		النقد الرابع
		النقد الخامس
		النقد السادس
		النقد السابع
		النقد الثامن
٢١٥	.....	النقد التاسع
		النقد العاشر
		النقد الحادي عشر
٢١٦	.....	النقد الثاني عشر
		النقد الثالث عشر
		النقد الرابع عشر
		النقد الخامس عشر
		النقد السادس عشر
٢١٧	.....	النقد السابع عشر
	.....	النقد الثامن عشر
		النقد التاسع عشر
٢١٨	.....	النقد العشرون
		النقد الحادي والعشرون

النقد الثاني والعشرون

النقد الثالث والعشرون

النقد الرابع والعشرون

٢١٩	..... الخاتمة
٢٢٢	..... غنية الطالب يومية الراقب في الصرف والنحو وحروف المعاني
٢٢٣	..... السهم الصائب في تخطئة غنية الطالب
٢٢٦	..... رد السهم عن التصويب وابعاده عن مرض الصواب بالتقريب
٢٢٧	..... رد السهم للسهم
٢٣٠	..... المناظرات اللغوية
٢٤١	..... متفرقات : النحت
٢٤٤	..... الوضع والتعريب

الفصل السادس : الصحافي

٢٤٦	..... ويتناول آثاره الصحفية التي خلفها لنا في كنز الرغائب
٢٥٢	..... الجزء الاول
٢٦٢	..... الجزء الثاني
٢٧١	..... الجزء الثالث
٢٧٢	..... الجزء الرابع
٢٧٤	..... الجزء الخامس
٢٧٥	..... الجزء السادس
	..... الجزء السابع

الفصل السابع : في اللغات الاجنبية ( ويتناول انتاجه الذي اعتمد

٢٧٦	..... فيه على معرفته باللغات الاجنبية من ترجمات وتآليف
٢٧٨	..... المؤلفات : الباكورة الشهية في نحو اللغة الانكليزية
٢٨٢	..... المحاور الانسية في اللغتين الانكليزية والعربية
٢٩٣	..... سند الراوي في الصرف الفرنسي
٢٩٤	..... المترجمات: شرح طبائع الحيوان

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٢٩٩	ترجمة التوراة .....
٣٠٢	ترجماته الصحفية .....
٣٠٣	لائحة المراجع .....

## تصدير

هذه محاولة في درس الادب العربي الحديث يراد بها عرض حياة هذه العبقري الفذ وتحليل آثاره • ولعمري ان الشدياق لشخصية ادبية تستحق العناية الكبيرة والدرس العميق الشامل • لان قلمه سجل تاريخ ثورتين في نهضتنا الادبية الحديثة • ثورة على التقاليد الفنية والرواسم الكتابية ، وثورة على عادات المجتمع ومجفقاته وهذه النهضة الادبية التي نحيا في آثارها اليوم هي وليدة اقلام من نوره براها لها الرواد الاول وفي طليعتهم ادبنا الشدياق •

وانني اعتذر لروح الشدياق الخالد عما بدا مني من تقصير في هذه الرسالة فالذنب لا تقع تبعته علي وانما على البيئة التي عاشر فيها الشدياق ، والتي اهمله ادباؤها ومؤرخوها كما اهمله قبلهم سادتها وروءسائها •

ويعلم الله انني قاسيت من المصادر والآثار التي بين يدي ضيقة وعناء • فانها تصمت في حين نطلب منها الكلام ، بينما تتكلم عندما لا تجد لحديثها مستمعا • ولقد عرضت لنا بعض حوادث في حياته ، كمولدة ووفاته وتنقلاته ، ضربنا في اكثرها بالتخمين الذي قدرناه معتمدين على استنتاجنا الخاصة التي بنيناها على الروايات التي بين ايدينا ، وحللناها على ضوء ما خبرناه من روح العصر ومن شخصية الاديب • وقد تصرفنا في بعض النصوص التي نقلناها من المصادر بعض التصرف الذي يساعد على فهم النص ، ولكنه في الغالب لا يعدو الترقيم والايقاع •

وقبل ان اتقدم الى عرض هذه المباحث ، ارفع آيات الشكر والتقدير للسادة الادباء والهيؤرخين الذين تلطفوا ومدّوا لي يد المساعدة وارشدوني الى المصادر وقدموا لي بعضها واخر منهم بالذكر الادباء اساتذة الدائرة العربية في جامعة بيروت الاميركية ، والكونت فيلب طرازي والاستاذ الشاعر الشيخ الياس خليل زخريا والاديب الاستاذ يوسف يزبك •



ولا يسعني قبل انهاء هذا التصدير الا ان انوه بالجهود الكبيرة التي بذلتها  
لجنة ايوبيل الشدياق لاحياء ذكراه ، وخاصة جهود الاديب الاستاذ مارون عبود الذي  
بحث الشدياق من جديد .

وفي الختام ، ارجو ان يكافأني الادباء والمؤرخون على مجهودي الذي بذلته في  
وضع هذه الرسالة ، بارشادي الى ما غاب عني من الاخبار والمراجع وتبيين ما عثرت فيه  
وبالتنقيب عن آثار الشدياق الفائضة ، التي تغني بها المكتبة العربية والتي تقف بين  
آثاره هذه النهضة في الصف الاول في الابداع والتجديد .

بيروت - الجامعة الاميركية

٧ ايار سنة ١٩٤٨

الصورة لف

## الفصل الاول

### عصر الشذيان

وهو لحات من الحياة الفكرية في القرن التاسع عشر

ليس من غايتنا في هذه المقدمة ، ان نعرض للحياة الفكرية في البلاد العربية في القرن العاشر هـ ، فذلك امر يقتضي منا وقتا طويلا ويحتاج الى دراسة خاصة به . وانما اردنا ان نصور بعض اللوحات الواضحة من حياتنا الفكرية في بدء النهضة ، ولتعييننا على تفهم الجو الذي نشأ فيه اديبنا الشدياق ، ولتكون مدخلا امينا الى هذه الرسالة ، ونذكر لعلماء الادب الذين اهتموا هذه الفترة من تاريخنا اهمالا يكاد يكون تاما لولا بعض كتب ومقالات حررت في هذا الموضوع ، ولكنها بعد ناقصة تحتاج الى الكثير من التدقيق في جمع المعلومات والتعمق في درسها .

يشق على الباحث تلصص اثار نهضتنا الادبية الاخيرة قبل القرن العاشر هـ ، ان انها لم تكن قبل الحملة الفرنسية سوى مظاهر فردية كان اكثرها نسجا على منوال القديم او محاولة لبحث تراث السلف من الفنون اللغوية . ومحاولات كهذه كانت في الاكثر تقليدية قل ان تجد فيها ابداعا او خروجا عما افه العرب من اساليب الكتابة والتعبير او تطلعا من قيود العادة . وقد قامت بعض المحاولات الفاترة قبل هذا القرن ، على اثر قدوم الرسائل الاجنبية التي حلت في سورية في اوائل القرن السابع عشر هـ ، وانشاء الرهبنة الكاثوليكية كالرهبنة الصلصية والرهبنة المارونية والحلبيية وسواها . ولقد كان لهذه الرهبنة والبعثات التبشيرية كنائس واديرة تتبع لها بعض المدارس . وقد نبغ في القرنين الاخيرين قبل هذه النهضة طبقة من العلماء كان اكثرهم من رجال الدين واكثر اثارهم تتعلق بالعبادات .

بدأت الرسائل اليسوعية تغزو سورية في عام ١٦٢٥ ، وكان افرادها متوقدي العزم شديدي النشاط . وقد استطاعوا ان يثبتوا اقدامهم ويحافظوا على كيانهم في هذه البلاد حتى انشأ البابا جمعيتهم عام ١٧٧٢ . فتركوا البلاد واغلقوا المدارس والمؤسسات ، ولكنهم عادوا عام ١٨٢١ عندما شعروا بتيار التبشير الاميركي يتقدم نحو هذه البلاد<sup>(١)</sup> .

ليس من غايتنا في هذه المقدمة ان نعرض للحياة الفكرية في البلاد العربية في القرن العاشر عرضا واسعا، فذلك امر يقتضي منا وقتا طويلا ويحتاج الى دراسة خاصة به . وانما اردنا ان نصور بعض اللوحات الواضحة من حياتنا الفكرية في بدء النهضة، لتعيننا على تفهم الجو الذي نشأ فيه ادبنا الشدياق، ولتكون مدخلا امينا الى هذه الرسالة، ونذكر لعلماء الادب الذين اهلوا هذه الفترة من تاريخنا اهملا يكاد يكون تاما لولا بعض كتب ومقالات حررت في هذا الموضوع، ولكنها بعد نافتته تحتاج الى الكثير من التدقيق في جمع المعلومات والتعمق في درسها .

يشق على الباحث تلصق اثار نهضتنا الادبية الاخيرة قبل القرن العاشر، اذ انها لم تكن قبل الحطلة الفرنسية سوى مظاهر فردية كان اكثرها نسجا على منوال القديم او محاولة لبحث تراث السلف من الفنون اللغوية . ومحاولات كهذه كانت في الاكثر تقليدية قل ان تجد فيها ابداعا او خروجا عما افه العرب من اساليب الكتابة والتعبير او تطلعا من قيود العادة . وقد قامت بعض المحاولات الفاترة قبل هذا القرن، على اثر قدوم الارساليات الاحيية التي حلت في سورية في اوائل القرن السابع عشر، وانشأ الرهبنة الكاثوليكية كالرهبنة المخلصية والرهبنة المارونية والحلبية وسواها . ولقد كان لهذه الرهبنة والبعثات التبشيرية كنائس واديرة تتبع لها بعض المدارس . وقد نبغ في القرنين الاخيرين قبل هذه النهضة طبقة من العلماء كان اكثرهم من رجال الدين واكثر اثارهم تتعلق بالعبادات .

بدأت الارساليات اليسوعية تغزو سورية في عام ١٦٢٥، وكان افرادها متوقفي العزم شديدي النشاط . وقد استطاعوا ان يثبتوا اقدامهم ويحافظوا على كيانهم في هذه البلاد حتى انضى البابا جمعيتهم عام ١٧٧٢ . فتركوا البلاد واغلقوا المدارس والمؤسسات، ولكنهم عادوا عام ١٨٢١ عندما شعروا بتيار التبشير الاميركي يتقدم نحو هذه البلاد<sup>(١)</sup>.

وقد كانت مدينة حلب اكثر المدن السورية نشاطا في تلك الاونة . فقد ظهرت فيها طائفة من العلماء والادباء كالبطريك مكاريوس الحلبي الارثوذكسي وقد نبغ في اواسط القرن السابع عشر واشتهر برحلته الى القسطنطينية وبلغاريا وروسيا عام ١٦٥٢ . وقد كتب هذه الرحلة باللغة العربية ومنها ترجمت الى الانجليزية والروسية<sup>(١)</sup> . ومنهم المطران جرمانوس فرحات (١٦٧٠ - ١٧٣٢) وقد ولد في حلب وتلقى العلم على ادباء عصره من مسيحيين ومسلمين وواتقن اللغات العربية والسريانية واللاتينية والايطالية ودرس العلوم التي كانت معروفة في ايامه كالمنطق والفلسفة والخطابة والتاريخ واللاهوت وغيرها . وله من الكتب " احكام باب الاعراب عن لغة الاعراب " وهو معجم لغوي وديوان شعر و" بحث المطالب في الصرف والنحو " و" بلوغ الارب " وهو مطول في الادب وغيرها من الكتب الدينية<sup>(٢)</sup> . ومنهم الشماس عبد الله ذاخر الكاثوليكي المتوفي عام ١٧٤٨ ، وهو مؤسس مطبعة الشوير ببلبنان ، والخوري نقولا الصائغ المتوفي عام ١٧٥٦ وسواهم<sup>(٣)</sup> .

هذه لمحة موجزة عن الحالة الادبية في سورية قبل بدء النهضة . اما من الناحية الاجتماعية فقد قال عنها الرحالة الفرنسي فولني ، الذي تجول فيها وفي مصر في القرن الثامن عشر<sup>(٤)</sup> :

" ان الجهل سائد في سوريا كما في مصر وسائر تركيا . وقد انتقد بعضهم هذه الحالة عبثا ، ولم يأت الكلام عن انشاء الكليات ونشر التعليم والتهديب بشمر . لان هذه الالفاظ لها عندهم معان غير ما نفهمه نحن منها . انتقضى عصر الخلفاء وليس من العرب او الاتراك الان علماء في الرياضيات او الفلك او الموسيقى او الطب . ويندر فيهم من يحسن الفصادة ، واذنا احتاجوا الى الكتي استخدموا له النار . واذنا عشروا بمتطهب افرنجي عدوه من الهة الطب . واما علم النجوم فقد صار عندهم للنجامة واستطلاع الطوالح . وفي دير مار يوحنا (بالشوير)

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ١٤ (٢) راجع تفصيل ترجمته في كتاب "الذكرى في حياة المطران جرمانوس فرحات" لبولس سعد (٣) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ١٤ (٤) نفس المصدر ص ١٥

طائفة من الرهبان لهم اتصال برومية، ولا يقلون جهلا عن سواهم . و اذا قيل لهم ان الارض تدور عدوا قوله كفرا لانه يخالف الكتاب المقدس<sup>(١)</sup>.

اما في مصر فقد كانت الحالة الاجتماعية متأخرة<sup>(٢)</sup>. " وسوق الادب كاسدة من جراء ما انتاب البلاد من حكم المماليك الذين لم يعنوا بشيء من العلم والادب والفنون سوى ما اقاموا من مبان تخليدا لذكورهم وتفضيلا للجماعة ليحطوهم على الظن بانهم ممن يساعدون على فعل الخير واقامة شعائر الدين . فلم يكن من غرضهم نشر الادب الا بقدر ما كلنت تدعوهم الحاجة اليه من الاختصاص ببعض الكتاب او الشعراء لنشر اغراضهم او لمكاتبة غيرهم من الامراء . ولم يكن للادب معاهد يدرس فيها . ولكن مصر كانت محط الادباء الذين التجأوا اليها . وموطن الازهر الذي كانت تنبعث منه اشعة العلوم العربية الى انحاء العالم الاسلامي - وكان الناس يرون في اللغة العربية وفنونها مفتاحا لكل العلوم واساسا لتربية العقول . وزاد الناس حبا بطلب العلم في هذا المعهد ما حبسه اهل الخير على طلابه فلم ينقطع عنه الوافدون . ولا سيما ان كثيرا من علمائه وتلاميذه كانوا موضع الاجلال والاکرام من الحكام والامراء واصحاب الرأي . وكان منهم القضاة واهل الشورى للسلطين والامراء . وكما كان منهم الكتاب والمؤلفون في مختلف العلوم والفنون . فكان الاقبال على الازهر من اكبر الوسائل لاهياء اللغة العربية وادابها . فظهر منه الكتاب والشعراء وارباب الاقلام الذين تولوا وظائف الكتابة في الدواوين وغيرها .

اما كتابة الدواوين زمن المماليك فكانت مزيجا من العربية والتركية وخليطا من الالفاظ العامية والعبارات الفصحى . واستمر ذلك الى ايام محمد علي حيث فشت العامية في المؤلفات والراسلات وانحطت درجة الكتابة بطبيعة حال الدولة التي لم يعن اهلها بذلك . وتاريخ ابن اياس والجبرتي من اساليب الكتابة التي كانت فاشية في تلك الايام . فكانت الكتابة في حالة انحطاط كما كانت الحال في جميع الاقطار العربية .

(١) مترجمة بقصر فني لكتاب ثولاني " *Travels in Syria and Egypt* " الجزء الثاني ص ٢٩٢

(٢) اخذنا الدعوات التالية من مقال لادع محمد ضيف في المقطع جلد ٦٨ ص ٥٤٠ وما بعدها

وكان اكثر اساليب الكتابة الهليغة الادبية كالرسائل والمقامات مسجعة جارية على اسلوب الهذاني والحريري . وانتشر السجع حتى لم يكده يخلو منه كتاب او تأليف وحتى تمشى هذا الاسلوب في الكتابة العادية . ولا شك في ان هذا اثر عناية العصر العباسي الاخير بالصناعة اللفظية والمحسنات البديعية . وشاع هذا الاسلوب في الكتابة الادبية حتى تخطى القرن التاسع عشر . وعن مصر يقول فولني في رحلته التي اشرنا اليها سابقا

"الجهل ظم في هذه البلاد مثل سائر تركيا . وهو يتناول كل الطبقات ويتجلى في كل العوامل الادبية والطبيعية وفي الفنون الجميلة . حتى الصنائع اليدوية فانها في ابسط احوالها . ويندر ان تجد في القاهرة من يصلح ساعة . واذا وجد فهو افرنجي . اما الصباغة فاصحابها فيها اكثر مما في ازмир وحلب . لكنهم جهلاء . وانما يتقنون المنسوجات الحريرية وان كانت اقل اتقاناً من صنع اوروبا واغلى ثمناً ."<sup>(١)</sup>

هذه حالة سورية ومصر قبل حملة نابليون . وقد كانت . كما رأينا . حالة نوم وجمود . واضطراب وفوضى . وذلك يرجع في الاكبر الى الضغط الذي كان يجريه العثمانيون وولاتهم على رعاياهم . الا انها لم تلبث ان تغيرت تغيراً اتت بواعثه من الخارج ترافق حملة نابليون الى مصر ( ١٧٩٨ - ١٨٠١ ) . التي كان يرمي من ورائها الى افتتاحها وقطع طريق الهند على انجلترا . وليس من شأننا في هذه المجالة ان نتعرض لهذه الحملة من الناحيتين السياسية والحريرية . وانما يهمنا وجهها الثقافي . وهو اشرق وجوهها وانصعها وابلغها اثراً في تاريخ العرب الحديث . فقد اتخذ نابليون الاصلاح الاجتماعي والثقافي وسيلة لارضا المصريين وكسب ثقتهم . حتى يتيسر له بلوغ الغاية التي جاء من اجلها . ولذا اصطحب معه بالاضافة الى جنوده طائفة من العلماء والصناع والمفكرين المتخصصين في اللغات والعلوم والفنون . وهوؤلاء حملوا معهم مبادئ الثورة الفرنسية القائمة على الحرية والاخاء والمساواة . كما انهم اتوا ببذور المدنية

الغربية والقوا بها في ارض مصر، التي كانت مستعدة لتلقف كل جديد . فاقاموا  
المصانع والمختبرات والمرصد والمستشفيات والحدائق العامة والملاهي ، كما انهم  
اظهروا للشعب المصري المتأخر انذاك ، وجوها مختلفة من المدنية الغربية .

وقد توجه جهدهم الثقافي في اول الامر، الى انشاء مدرستين لتعليم ابنا  
الفرنسيين المولودين في مصر، وجريدتين فرنسييتين هما " لا دكاد اجبسيان "  
*La Décade Egyptienne* و " لو كورييه ديجيبته *Le Courier de Egypte* " ومجمعا علميا  
ومسرحا للتثقيف كما انهم اوجدوا مكتبة لمطالعتهم فتحت ابوابها للعموم ، ومطبعة  
عربية اصدروا عنها نشرة اخبارية باللغة العربية ، تحوى احكام ديوان القضايا  
الوطنية واسمها " التنبيه " وهي اول جريدة عربية رسمية . وكان يشرف على  
تحريرها الاديب المصري اسماعيل الخشاب المتوفى عام ١٢٣٠ هـ<sup>(١)</sup> وعن النتيجة  
الثقافية لهذه الحملة يقول ادوار جوان :

" دهشت مصر لوجود مجمع علمي اقيمت جدرانها في معسكر حربي . وتضاعف  
دهشتها واستغرابها عندما رأت بنات الافكار تسير خلف عربة الانتصار<sup>(٢)</sup> ."

ولم يطل مكوث الفرنسيين في مصر، فقد اضطروا الى مغادرتها عام ١٨٠١  
فتركوها ميدانا يتقاتل فيه الماليك والجنود العثمانيون ، وشاء خط هذه البلاد  
الا تنطوى رسالة المدنية التي بشر بها نابليون ، وان يكتب لها الانتشار والذليوع  
على يد شخص كان غريبا عن مصر وعن العروبة ، وهو جد الاسرة العلوية محمد علي  
باشا الذي جاء في الحملة البحرية التي ارسلها العثمانيون لقتال الفرنسيين ورددهم  
عن ارض مصر . وقد ظل يسعى يجد واجتهاد حتى استطاع بحسن ادارته وبحنكته  
السياسية ان يستعطف المصريين ، وليستعمل قلوبهم اليه ، نبايعوه بالولاية عام  
١٨٠٥ . واضطر الباب العالي ، الذي كان يعاني آلام النزاع الاخير ، لان يبارك  
هذه المبايعه ، فيوافق على ولاية محمد علي على مصر .

وبعد ان اراح دولته من شر الماليك وثوراتهم وفتنهم حين قتلهم غيلة

(١) راجع لفلان تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ١٥ - ١٨ (٢) مصر في القرن التاسع عشر " تأليف ادوار



في القلعة عام ١٨١١ م ، اخذ يفكر في الاستقلال عن السلطنة والاستبداد باهالة مصر . ورأى بثاقب رأيه ان يصلح البلاد داخليا ويعدها لمثل هذه المرحلة الصعبة . ولذا وجه همه الى اصلاح الجيوش واصلاح الادارة ، وكان قد اطلع على فن تنظيم الجيوش الاوروبية اثناء تناهر الانجليز والفرنسيين والعثمانيين على ارض مصر ، كما انه لص بنفسه آثار الحضارة الغربية التي رافقت حملة نابليون .

ولذا تفرغ شارلمان<sup>(١)</sup> الشرق الى اقتباس اسباب المدنية ، وصار يستعين لذلك ببعض الفرنسيين والأتراك والمصريين ، وتوسل اليه بالبعوث العلمية التي كان يرسلها الى اوروبا وخاصة الى فرنسا لتلقي العلم . وقد اسر في باريس مدرسة مصرية تعدّ الطلاب المصريين للتعليم العالي . وكان مديرها اسطفان بك وهو ارمني الاصل من طلاب البعثة الباريسية الكبرى . كما انه كان يتخذ من المدارس وسيلة لتحقيق اهدافه العمرانية ، وقد اعنى بها عناية فائقة حتى انه انشأ في مصر نحو خمسين مدرسة بين ابتدائية وثانوية ، كانت تتبع في تنظيمها المنهج الاوروبي وكان في اكثر الاحيان ، تحت مراقبة الاخصائيين من الاوروبيين . وقد كانت الغاية الاولى لهذه المدارس هي تدريب الاخصائيين في مختلف فنون العلم والصناعة ، ليستعين بهم محمد علي على تذليل الصعوبات التي تحول دون تطبيق برنامجه الاصلاحى الشامل .

ولم يغفل محمد علي الصحافة والطباعة ، ولم يتجاهل ما لهما من الاثر في توجيه الشعب وتيسير اسباب التعلم والتثقف له . ولذا انشأ مطبعة بولاق عام ١٨٢١ ، ولهذه المطبعة على النهضة الادبية ايد بيفضاء لا تنكر ، فقد ساهمت مساهمة جديّة في بعث التراث العربي المجيد بنشر كتبه ورسائله .

اما في الصحافة ، فقد اصدر محمد علي جريدة الوقائع المصرية عام ١٨٢٨ في القاهرة<sup>(٢)</sup> ، وكانت تصدر اولا بالتركية ثم بالعربية والتركية واخيرا صارت تصدر بالعربية فقط ولا تزال حتى اليوم كذلك . وقد كانت هذه الصحيفة لسان حال

(١) اطلق عليه هذا اللقب الاستاذ محمد كرد علي في الطبعة سنة ٤ ص ٥٠٥ (٢) تاريخ الصحافة ١٤ ص ٥٩

الحكومة تنشر اوامرها ومراسيمها ، وتذكر الحوادث التي تهم عامة الشعب .

وسا يدعو الى الاسف ، ان محمد علي ، الذي كان لا يزال يتفقي ، ظلل العثمانيين ، لم يهتم باللغة العربية وآدابها ، ولم يعمل على نشرها واطلاؤها في البلاد ، وليته وقف ضد هذا الحد ، بل انه تعداه وحاول ان يجعل التركية لغة للتعليم ، ولكنه اخفق في ذلك ، لان اللغة العربية كانت واسعة الانتشار راسخة القدم بين سكان مصر العرب ، ولذا نستطيع ان نقول ان اعمال محمد علي الاصلاحية لم تكن الا تمهيدا للنهضة الفكرية العربية التي استهلها حفيده اسماعيل .

وفي عام ١٨٤٨ ظهرت علائم الخرف والضعف على محمد علي ، ولذا عقد لواء الحكم لابنه ابراهيم الذي كان يسعى مخلصا لايجاد امبراطورية تضم الاقطار العربية ، ولكنه توفي في العام نفسه ، فانتقل الحكم من يديه الى يدى عباس الاول ابن اخيه طوسون وقد توفي عباس عام ١٨٥٢ تاركا الحكم لعنه سعيد الذي توفي عام ١٨٦٠ . وفي هذه الفترة التي اعقبت نزول محمد علي عن دست الحكم ، توقفت مواكب الحضارة وانقطعت ارنال النور التي كان هو مبعثها ، وكادت البلاد تنردى في هوة الماضي وتعود ادراجها متقهقرة نابذة الحضارة الجديدة التي لم تتمكن اصولها في نفوس الشعب ، لولا ان قيصر الله لهذه البلاد ابا النهضة اسماعيل الذي اطاد سيرة جده في نشر العلم والحضارة وزاد عليه في تبني اللغة العربية ، ومحاولة بعثها من ترابها بعدما طوتها يد الظلم والجمود في اجداث التفهقر والانحطاط . " فافتتح المدارس والمكاتب ، وانشأ الجسور والقصور والمانع ووجد اكثر رجال البحوث العلمية الذين رباهم جده على قيد الحياة ، فاتخذ منهم المدرسين وروسا ، الادارة وزاد على جده في ارسال البحوث العلمية الى اوروبا ."<sup>(١)</sup>

(١) الوسيط ص ١٧٢ ، وقد رجعت في اخبار محمد علي ومنه وليه من الحكام الى "تاريخ آداب اللغة العربية" ص ١٨-١٩ ، والوسيط ص ١٨٩ وادباء العرب في الدنلس وعصر الانبصا .

فالنهضة اذن مدينة لاسماعيل وهمته واخلاصه بالشيء الكثير . ولكن هذه  
الاصلاحيات الواسعة التي تمت على يديه ، والمشاريع الضخمة التي اعد العدة  
لتنفيذها كانت تحتاج الى ثروة طائلة . تعجز عن تحملها ميزانية دولة اسماعيل  
في ذلك الحين . ووافق في تلك الاونة ، ظهور التنافس الاوروبي على ارض مصر  
وفيها قناة السويس . ولها اهميتها الحربية والسياسية بالنسبة للهند واهميتها  
التجارية والاستعمارية بالنسبة لافريقيا . فمد هولاء اصابع مكرهم ، واخذوا يمدون  
اسماعيل بالمال بافحش انواع الربا . وقد شجعهم على ذلك ظهور اسماعيل بظهور  
من لا يحسب حسابا للعواقب . فقد كان في اصلاحاته كما يقول البارون دي  
ملورسي : كالباني الذي اراد ان يبني بيتا يكلفه مالا طاقة له به فرهن الارض  
وتقدمت له الشركات الاوروبية بالمال علما منها بانها ستضع يدها على الملك يوم  
يعجز المدين عن سداد دينه<sup>(١)</sup> . وهكذا تدخلت انجلترا وفرنسا بحجة اصلاح العالية  
والادارة عام ١٨٧٦ . وكان كلما مضى الوقت زاد الدين وزادت الضرائب وتقدم  
التدخل الاجنبي . وهكذا بدأت الصحافة العربية السياسية تظهر في مصر وبدأ  
الراي العام يقوى امام ضعف اسماعيل ازاء التدخل الاجنبي . ووجدت في البلاد  
حركة قومية دستورية ترمي الى تعييد سلطة الحكومة المطلقة التي كانت في الداخل  
رمز بطش وجبروت وفي الخارج رمز ضعف واستسلام ، والى اصلاح داخلية البلاد  
وماليتها لتخليصها من ريفقة الاجنبي . وكانت الفكرة الدستورية تستمد قوتها  
من العوامل الاتية :

اولا : وجود مجلس نواب صوري منذ عام ١٨٦٦ كان الق بيد اسماعيل . فلما  
تطورت الاحوال اراد المصريون توسيع سلطة المجلس واعطاءه حق الرقابة  
الفعلية على اعمال الحكومة .

ثانيا : بت جمال الدين الافغاني في مصر منذ وفوده اليها سنة ١٨٧١ فكرة  
تأسيس نظام دستوري لعلاج احوال الشرق المعتلة .

ثالثا : اعتقاد المصريين ان استبداد اسماعيل مصدر ضعف حكومته لان عدم ارتكازها  
على الشعب اطعم فيها الاجانب وحكوماتهم .

(١) كشف السامع سر الاسرار ص ٦

رابعاً : تشهير البعثات المالية الانجليزية المختلفة ( ١٨٧٦ - ١٨٧٩ ) اثناً اقامتها  
في مصر بسوء ادارة اسماعيل والسقاط هيئته في امين المصريين تمهيدا  
لاغتصاب سلطته (١)

وقد ظل الحال كذلك . من تدمير الشعب وتدخل الاجانب الى ان عطلت  
فرنسا وانجلترا على خلع اسماعيل في ٢٧ حزيران عام ١٨٧٩ . وتولية ابنه  
توفيق ولكن هذا كان ضعيفا ما مهد لازدياد تدخل الانجليز حتى اصبحوا  
اصحاب السلطة الفعلية في مصر ، واصبح الوزراء الة بايديهم تنفذ مآربهم . فلجأ  
المصريون الى الثورة . بقيادة عرابي باشا ناظر الحربية انذاك يساعده طائفة من  
النواب والنظار والادباء والمصلحين مطالبين باعادة مجلس النواب الذي الغاء  
توفيق ، ليكفل للمصريين حريتهم واصلاح شؤون جيشهم وادارتهم . وقد انتهز  
الانجليز هذه الفرصة . وتقدموا الى احتلال مصر مستترين بستار المحافظة على الاسرة  
الحاكمة ، وعلى ديون الدائنين . وقد تم هذا الاحتلال فعلا . عندما انهزمت جيوش  
عراي ، التي كانت اضعف من ان تقاوم الجيش الانجليزى . وذلك في عام ١٨٨٢ .  
هذه لحظة خاطفة عرضنا فيها للاسباب التي مهدت لظهور النهضة الفكرية  
الحديثة ، التي برزت في هذه البلاد متميزة عن سواها بما يلي :

- ١ . انشاء المدارس
- ٢ . الطباعة
- ٣ . الصحافة
- ٤ . انتشار روح الحرية الشخصية
- ٥ . الجمعيات الادبية والعلمية
- ٦ . المكاتب العامة
- ٧ . المتاحف
- ٨ . التمثيل
- ٩ . الاستشراق (٢)

(١) كشف السامري و - ز (١) لفد فصل جبري زيوان هذه المميزات في كتابه " تاريخ اللغة العربية " ج ٤

وستتقدم الان الى الحديث عن نواح من النهضة الفكرية في القرن الماضي .  
 ظهرت حركة الترجمة والنقل عن الغرب في مصر كنتيجة من نتائج هذه  
 النهضة . وقد سبقت مصر في ذلك سورية . اذ ان الاتجاه العملي الصناعي الذي  
 بدأه محمد علي ، اخذ يتجه نحو العلم حوالى العقد السادس من القرن الماضي  
 وقد تم ذلك في عصر اسماعيل ، اذ اتسع نطاق الترجمة والنقل ، وتقدم اللقاح  
 الغربي الى العقل العربي بخطى حثيثة وفي مواضيع مختلفة اهمها العلوم الطبيعية  
 والرياضية والحربية والقضائية والاقتصادية والاجتماعية وفي الدين والادب . وسنهتم  
 في هذه المقالة ، كما قدمنا ، بالناحية الفكرية من نواحي هذا النشاط .

#### الادب بين المحافظين والمجددين :

وقد ظهر الاثر الفرنسي واضحا قويا في الفكر المصري الحديث ، خاصة بين  
 المثقفين ونخص بالذكر منهم طلاب مدرسة اللسن والترجمة التي كان يديرها رفاعة  
 بك الطهطاوى ( ١٨٠٧ - ١٨٧٢ )<sup>(١)</sup> الذي رافق البعثة المصرية الاولى الى باريس  
 طم ١٢٤١ هـ وكان لها اماما ومعلما . وهناك تعلم اللغة الفرنسية حتى اجادها .  
 وقد كان من اشهر كتاب القرن التاسع عشر ، وقد ترك اثارا كثيرة في الكتابة والادب  
 وقد ترجم الكثير من كتب العلوم والفنون المختلفة ، وكان له اسلوب يجمع مختلف  
 الاساليب المعروفة في عصره من سجع متكلف الى ترسل سهل يظاهي اجود اساليب  
 الصحف العصرية .

اما طلاب مدرسته ، مدرسة اللسن ، فقد اظهروا ميلهم الشديد الى الادب  
 الفرنسي ، واخذوا يكجون على كتبه يعجبون منها بما ويلتهمون ما فيها التهاما .  
 ونذكر منهم على وجه التخصيص عثمان بك جلال ( ١٨٢٩ - ١٨٩٨ ) الذي تتلمذ  
 على رفاعة بك ، وقد كان اديبا مطلقا على اداب الافرنج ، وارتقى في مناصب الحكومة  
 الكتابية واستصحبه الخديوى السابق في رحلته في القطر المصري ، وتولى القضاء

(١) راجع ترجمته زيبان ، ص ٤٨ ، ص ٩٦ ، والوسيط ، ص ٢٢٢

في محكمة الاستئناف<sup>(١)</sup> وكان جل اثاره ترجعات لكتب مشهورة في الادب الفرنسي كبول وفرجينى وامثال لافونتين وبحر مهازل مولير . واليه يعزى الفضل في تعريف العرب على بعض من تراث الادب القصصي الفرنسي . ولا يهمننا اسلوبه الذى ظهرت فيه تلك الترجعات بقدر ما تهتمنا الروح التي كانت تستر وراءها . روح التجديد والميل الى تطعيم الادب العربي بكل طريف ومفيد من اداب الامم الاخرى . وقد ترجم امثال لافونتين الى الشعر العربي السهل الفصيح . بينما ترجم اثار مولير الى العامية المصرية . وهي خطوة جريئة ما كانت روح العصر لتقرها لولا ما تم على يدي الاسرة العلوية من اصلاحات عصت معظم نواحي الحياة المصرية .

وكان من نتيجة روح التجديد هذه . ان قامت قائمة اللغويين وشيوخ الازهر ومن في عقليتهم انذاك . ينمون على المحدثين تعلقهم بالاساليب الاوروبية وميلهم عن معين العربية الثر الذي لا ينضب . وكانت الحملة التي شنوها عنيفة . وذلك طائد في الاكثر الى تلك النظرة التقديسية التي يتطلع بها المسلمون الى لغة القرآن . وقد وجدت حركة القديم انصارها في رجال التعليم ونذكر منهم الشيخ حمزة فتح الله ( ١٨٤٦ - ١٩١٨ ) الذي ظل مفتشا للغة العربية في مدارس الحكومة زهاء ثلاثين سنة . وقد جاء عنه في الوسيط

" اسند اليه تفتيش اللغة العربية في مدارس الحكومة على اختلاف انواعها فرأى المجال فسيحا لتخليصها من ادران العامية واوضار الدخيل وفساد التراكيب وعجمة الاساليب . فاخذ يرشد المعلمين الى ما يعثر عليه من ذلك في كتابة التلاميذ . ويتحفهم بمرادفه تارة ويرشدهم الى العظان اخرى . فتنبه بذلك الغافل ودقق المتساهل . . . . . وكان جزاءه الله خيرا يحب العرب والعربية ويرى ان الله قد خصها بكل مزية . وان جميع ما يتجدد من انواع المدنية الحديثة قد سبق الى نوعه العرب وان لاسمه مرادفا في لغتهم<sup>(٢)</sup> .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٤٠ ص ٤٤٤ (٢) الوسيط ص ٤٤٠

وقد كان الشيخ حمزة أحد أعضاء وفد الحكومة المصرية في مؤتمر  
المستشرقين الذي عقد في ستوكهولم عام ١٨٨٨ . وكان رئيس هذا الوفد عبد الله  
باشا فكرى ( ١٨٣٤ - ١٨٩٠ ) وزير المعارف المصرية آنذاك . وكان من أنصار  
القديم . واسلوبه يكاد يكون صدى لاسلوب بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات .  
وقد كان أكثر تحررا من الشيخ حمزة . ويعد من دعائم النهضة الادبية الحديثة<sup>(١)</sup> .  
كذلك كان زميله وخليفته على منصبه على باشا مبارك ( ١٨٢٣ - ١٨٩٣ )<sup>(٢)</sup> . وقد  
قامت شهرتهما على اصلاحاتهما في نظم التعليم أكثر مما قامت على انتاجهما الادبي .  
وقد كان نتيجة عملهما المشترك ان اوجدت المكتبة الخديوية ( دار الكتب المصرية )  
كما ان علي باشا اسر كلية دار العلوم وهي اول كلية للتعليم العالي في مصر  
بعد الازهر . وقد كان لتوجيهات هؤلاء الثلاثة اثر كبير في انتهاج المدارس  
اسلوبا قديما في تعليم اللغة العربية . حين كانت وسائل الاصلاح والتجديد تتم  
مختلف فروع العلم الاخرى في مصر<sup>(٣)</sup> . وقد ساعدهم على الفضي في خطتهم هذه  
دور الطباعة التي ابتدأت منذ عهد اسماعيل بنشر المعاجم والكتب العربية القديمة .

اما حركة التجديد . فقد تقدمت الى الازهر على يد المصلح الكبير الشيخ  
محمد عبده ( ١٨٤٩ - ١٩٠٥ )<sup>(٤)</sup> الذي كان يمكن ان يتجه اتجاه المتصوفة ورجال  
الدين في حياته لولا تأثير المصلح الكبير جمال الدين الافغاني الذي حول نشاطه  
وحيويته عن طريق التصوف الى طريق الاصلاح والبناء . وقد اطلع الشيخ محمد  
عبده على اثار الفكر الاوروبي اطلاقا مكنه من ان يضيع منها جا لاصلاح الحياة  
المصرية اجتماعيا وخلقيا وفكريا . متخذاً من القديم نواة لهذا الاصلاح . مطبقا مبادئ  
الفكر الاوروبي عليه . وكان جل همه ان يعرض حقائق الدين الاسلامي باسلوب  
خال من كل هذر وشعوذة . ويتفق مع روح العلم الحديث . وكان تباطا لذلك  
يعتقد " ان اصلاح الامة الاسلامية في اي شعب من شعوبها لن يكون الا بالجمع  
بين التجديد الديني والديني<sup>(٥)</sup> " وقد شرح خطته في الاصلاح في عدة كتب  
ومقالات تميزت باسلوب خاص جمع بين جزالة القديم وصحته . وعذوبة الحديث وسهولته<sup>(٦)</sup>

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٤١١ والوسيط ٣٣٣ (٢) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٤٩٠ والوسيط  
ص ٣٣٥ (٣) راجع الأدب الجاهلي لـ محمد حسين مهدي ص ١٣٠ - ١٣١ زبيران ج ٤ ص ٢١٥ والوسيط ص ٣٣٧ .  
وتوجهه لـ ترجمة مفصلاً أحمد أفندي "سيرة الاستاذ الامام" التي وضعها محمد رشيد رضا في جزئين (٥) سيرة  
الاستاذ الامام ج ١ ص ٦٦ (٦) راجع نفس المصدر ج ٢ ص ٤٢٥

وقد كان يدعو الى هذا الاسلوب في خطبه ومقالاته . ان كان الى جانب دعوته الى تحرير الفكر من قيد التقليد يدعو الى "اصلاح اساليب اللغة العربية في التحرير سواء كان في المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومعالجها او فيما تنشره الجرائد على الكافة منشأ او مترجما من لغات اخرى او في المراسلات بين الناس"<sup>(١)</sup>

وقد امتدت هذه الحركة واستفحل امرها على يدي الاستاذ الامام وتلاميذه كما امتدت حركة المقاومة التي يدعها رجال التعليم وعلى رأسهم الشيخ حمزة يسانده طلاب الازهر ودار العلوم . وقد لاقت حركة الاصلاح عنقا وشدة من المتزمين الرجعيين الذين كان يدعهم الخديوى وثؤيدهم جريدة المؤيد التي كان يحررها الشيخ علي يوسف (١٨٦٣ - ١٩١٣)<sup>(٢)</sup> وقد كانت غاية الامام كما ذكرنا هي تحضير الفكر الاسلامي وكان يعتقد ان خير وسيلة لهذه الغاية هي اصلاح الازهر . ان شيوخه هم دعائم الفكر الاسلامي الحديث . ولذلك حاول اصلاح هذا المعهد في الروح والمناهج والكتب المقررة . وقد نجح في ذلك بعض النجاح عندما تولى التدريس فيه بعد عودته من اوروبا عقب الاحتلال . ولكن نجاحه خارج الازهر كان اوسع خصوصا بين طبقة المثقفين الذين تلقوا علومهم في اوروبا .

وقد قدمت مصر للعالم العربي مصلحين اخرين احدهما في حقل الاجتماع وهو قاسم بك امين (١٨٦٥ - ١٩٠٨)<sup>(٣)</sup> وهو زعيم القائلين باصلاح حال المرأة المصرية المسلمة . وقد بث اراءه في كتابه "تحرير المرأة" و"المرأة الجديدة" وهو في كلا الكتابين يدعو الى تربية المرأة المصرية وتخفيف الحجاب وتنظيم الزواج والطلاق ومنح المرأة حقوقها الاجتماعية . ويستند في كل ذلك الى النصوص القرآنية محاولا ان يفسرها تفسيراً يخالف ما جرت عليه العادة وما يوجبه التصك بالتقديم .

(١) تاريخ الاستاذ الامام ١٤٠ ص ١١ (٢) تاريخ آداب اللغة العربية ٤٤ ص ٢١٤ (٣) راجع ترجمته في تاريخ آداب اللغة العربية ٤٤ ص ٢١٥ وفي تراجم مشاهير الشرق ١٤٠ ص ٢١٠



والمصلح الثاني كان في حقل السياسة وهو مصطفى كامل باشا ( ١٨٧٤ - ١٩٠٤ ) وقد كان منظم حركة مصر القومية \* وكان اعلى الوطنيين صوتا في طلب الجلاء عن مصر<sup>(١)</sup>.

وقد كان اسلوبهما الادبي امتدادا للاسلوب الصحافي الذي ظهر اثناء الثورة العراقية . وهو الاسلوب الحديث الذي يهجم على الغرض دون لف او مقدمات لا طائل وراءها ، ودون ركوب مراكب البديع الصعبة . وهذا الاسلوب هو اسلوب ابن المقفع في كتاباته وابن خلدون في مقدمته . وكان اسلوب مصطفى كامل في صحيفة "الدواء" عاطفيا مؤثرا ، كما كان اسلوب قاسم امين سهلا واضحا خاليا من التكلف والصنعة ، اذ اراد به ان ينتقل الى القارئ اراءه في الاصلاح الاجتماعي بدقة ووضوح ويسر . ومع هذا نراه لا يضحى بالرشاقة والجمال ، وبعض مقطوعاته الادبية تحتل مكانة عالية في ادب ذلك الزمان .

وعامل ثان كان له اثر كبير في تجديد الاسلوب العربي وهو ظهور الجمعيات الادبية في سورية ومصر<sup>(٢)</sup> وقد تبعت الجمعيات الادبية في مصر جمعيات سياسية كجمعية مصر الفتاة التي كان من اعضائها جمال الدين الافغاني واديب اسحق وسليم نقاش وعبد الله نديم ونقولا توما من ارباب الاقلام في ذلك العهد . واعدوا جريدة "مصر الفتاة" باسم هذه الجمعية في اواخر ايام اسماعيل<sup>(٣)</sup> وقد كانت هذه الجمعيات تسعى الى الاصلاح ، متخذة من تعاليم جمال الدين دستورا لها ساعية الى التحرر في مختلف وجوهه ومعانيه . وقد كانت هذه الجمعيات ميدانا نسيحا لبروز اقلام المنشئين ، لا سيما كتاب الصحف والخطباء . وقد اشترك اعضاء هذه الجمعيات في النشاط السياسي الذي رافق الثورة العراقية ، كما انهم وضعوا مبدءا جديدا للصحافة العربية ، وهو الاعتماد بالشعب والاعتماد عليه في دعم الحركات الاصلاحية .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٤٨ ص ٧١٦ (٢) راجع نفس المصدر ص ٧٨ - ١٠٤ (٣) نفس المصدر ص ٩٤

ومن أشهر دعاة هذه الحركة الصحافي السوري اديب اسحق ( ١٨٥٦ - ١٨٨٥ ) احد اصدقاء جمال الدين وملازميه . وعبد الله نديم ( ١٨٢٢ - ١٨٩٦ ) خطيب الثورة العراقية وقد كان احد تلاميذ جمال الدين ايضا . وقد انتهج الاول في صحيفته " مصر " والتقدم اسلوبا كان اقرب الى اساليب التعبير الفرنسية . وقد استمال اليه ببساطته وقوته وبعده عن التكلف اكثر المتأدبين في ذلك الوقت . وعنه يقول زيدان :

" واصل جريدة مصر فاعجب الناس بانشائها واصبحوا يتحدثون بأسلوب اديب من ذلك الحين . واحست الحكومة بما كان من تأثير جريدة مصر في النفوس فاقفلتها فذهب الى باريس واصدرها هناك وسماها مصر القاهرة <sup>(١)</sup> ."

وقد كان النديم من أشهر رجالات الثورة العراقية ولما تميز به من المقدرة الخطابية والشعرية وقد اصدر ثلاث صحف هي " التنكيت والتبكيك الهزلية الجديدة " ثم ابدلها بالطائف وكانت تظهر في اثناء الثورة . ولما انقضت الثورة وحوكم العراقيون كان نديم مختفيا قضى في اختفائه عشر سنين ثم ظهر وعفي عنه . وانشأ مجلة الاستاذ ظهرت والهلال في علم واحد ( سنة ١٨٩٢ ) لكنها لم تتم العام على ظهورها لما فيها من النقد الشديد والتحريض . فقررت الحكومة ابعاده عن مصر فذهب الى الاستانة واقام فيها الى وفاته <sup>(٢)</sup> .

هذا وقد واكبت حركة الترجمة هذه الحركات الاصلاحية وكانت عضدا لها . اذ انها كانت تنقل الافكار الاوروبية الى العقل المصري . وقد كان شيخ المترجمين غير منازع فتحي زغلول ( ١٨٦٣ - ١٩١٤ ) <sup>(٣)</sup> وقد كان يعمل في سلك القضاء كما كان مؤلفا نشيطا ، ترك عدة كتب في القضاء وغيره ، ومن مترجماته كتاب بنتام " مبادئ التشريع " Principles of legislation ثم الحقه بترجمة بعض كتب ديسمولينس <sup>(٤)</sup> ولوبون في الاجتماع . وقد قدمها بمقدمات طبق فيها ما حوته من المبادئ على الحياة المصرية ، مظهرا عيوبها وداعيا الى الاصلاح السريع .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٤٨ ص ٧٤٤ (٢) نفس المصدر ص ٤٤٤ (٣) نفس المصدر ص ٢١٠ (٤) هذا هو اللفظ الانجليزي اما اللفظ الافرنسي فهو ديمولان

## في سورية

وإذا التفتنا الى سورية في تلك الاونة نجد اواصر الفكر تنعقد بينها وبين الغرب عن طريق الارشاليات الاجنبية وتفصيل ذلك كما يلي :

تحدثنا في مستهل هذا الفصل عن الحركة التبشيرية في القرنين اللذين سبقا النهضة، وقلنا ان اليسوعيين عادوا عام ١٨٢١ الى سورية بعد ان غادروها عام ١٧٧٣ بامر من البابا . وكان السبب المباشر لعودتهم هو تقاطر البعثات الاميركية الى سورية . واولى هذه البعثات هي الانجيلية المشيخية (البريسبترية) وقد جاءت عام ١٨٢٠ واسست لها مركزا في بيروت . وقد لاقى افرادها صعوبات كبيرة في نشر مذهبهم لانهم كانوا يعتمدون على نشاطهم وجهدهم فقط دون ان تكون لهم طائفة توازرهم وتناصر اعمالهم كما كان الحال مع اليسوعيين . وقد كانت اعمالهم صعبة شاقة خاصة قبل الفتح المصري . ولكن بعد ان تم ذلك الفتح وعلى اثر الاصلاحات التي قام بها ابراهيم باشا<sup>(١)</sup> وكان من نتائجها الحميدة ظهور روح التسامح واتسعت اعمال الانجيليين وتيسرت، واخذت تتوافد بعوثهم الى بيروت وتنتشر في معظم انحاء سورية . وقد ظهرت جهود المبشرين الاميركيين الثقافية في مجارى النشاط الاتية :

- ١ . انشاء المدارس وقد بلغ عددها عام ١٨٦٠ ثلاثا وثلاثين مدرسة
- ٢ . تأليف الكتب وطبعها وقد استخدموا لذلك بعض كبار اديباء العصر كناصر اليازجي وبطرس البستاني .
- ٣ . تدريب المعلمين ليعلموا في مدارسهم وقد حولوا المدرسة العليا التي انشأوها في عبيدة الى دار لتدريب المعلمين .
- ٤ . تأسيس الكلية السورية الانجيلية في بيروت عام ١٨٦٦، وبعد هدوء الحالة في البلاد عقب فتنة السنين، وبعد ان نال جبل لبنان نوعا من الاستقلال الاداري . وقد صدر الامر بتأسيسها من مجلس ولاية نيويورك بتاريخ

(١) لقد كانت لابراهيم باشا جهود عظيمة في عقل التعليم . فقد اخذ يطبقه بعضاً من النظام التعليمي الذي وضعه ابيه في مصر . وقد كانت مدارس في سورية بنوع الشبان للاختراط في سلك الهندية وبتدري في نفوس الناس بفردهم في القوي العربي

١٤ ايار عام ١٨٦٤ وقد افتتحت في عام ١٨٦٦ . وقد كانت اللغة العربية لغة التعليم في الاربع عشرة سنة الاولى " وان اولئك الجهابذة الابطال (فانديك) و(ورتيبات) و(يوسط) تغلبوا على كل الصعوبات بجدهم واجتهادهم فالفوا الخطب في الصفوف باللغة العربية وترجموا والفوا بها في كل الفروع العلمية وهي لعمر الحق مآثرة يذكرها لهم الشرق بالشكر والاعجاب .

ولكن التقدم السريع في العلم والصناعة في اوروبا وامريكا وتعذر السير مع هذا التقدم باعداد الكتب الجديدة وقلة عدد الاساتذة بالنسبة لازدياد عدد الطلبة فضلا عن الرغبة الشديدة في البلاد لاتقان اللغة الانكليزية او الافرنية - كل هذه الاسباب مجموعة حملت العميد على اقرار اللغة الانكليزية لتكون لغة التعليم . وفعلا جرى الانتقال في صيف سنة ١٨٨٠ في القسم العلمي وفي صيف سنة ١٨٨٢ في القسم الطبي<sup>(١)</sup>

وبعد ان استردت هذه المؤسسة قوتها على اثر الحرب العالمية الاولى سعت هيئة الامناء لترقيتها الى جامعة ، وقد تم لها ذلك عام ١٩٢٠ . وقد لعبت هذه الجامعة دورا هاما في توجيه تفكير ابنا الشرق العربي . واليها يحزى فضل ايجاد اجيال من المثقفين ، الذي حققوا لاطنانهم خدمات جللى تسطر لهذه الجامعة بمداد التقدير والاخلاص . وقد قال عنها احد المتخرجين :

" وكيف يستطيع المرء ان يحصي الفوائد التي اسبغتها هذه الجامعة على البلاد العربية وبأى مقياس نقيسها في غضون ٢٥ سنة درس فيها او تخرج منها عشرات الالوف من الشبان . وانتشروا في كل انحاء البلاد كمعلمين وكتبة واطباء وصيدلة وقضاة ومحامين وتجار . وزرعوا تلك البذور التي حملوها من الجامعة فاشمرت بالنهضة العلمية والوطنية التي كانوا اول الزوار فيها ، كما شهر لهم كثيرون من المفكرين في الشرق والغرب . وحسبنا ان نأتي بمثال واحد ونذكر مجلة المقتطف التي ولدت في الجامعة وتخرج منشأها منها وكانا من جملة اساتذتها ."

(١) مجلة المشرق العربي السنة الثانية (سنة ١٩٢٠) في العدد الثامن (٢) نفس المصدر المصدر

اما المبشرون الفرنسيون فقد ظهرت جهودهم في ميادين مشابهة لما

ذكرنا واهمها :

- ١ . تأسيس المدارس . وقد كانوا انشط من الاميركيين في تعليم الذكور . وقد اسسوا المدارس في بيروت ١٨٣٩ و غزير ١٨٤٣ و دمشق ١٨٧٢ و حلب ١٨٧٣ . وكان لمدرسة غزير اهمية كبيرة اذ انها انتقلت الى بيروت عام ١٨٧٥ واصبحت تعرف باسم كلية مار يوسف . وعنها يقول الاب لويس شيخو، وفي حديثه يظهر اثر النزاع بين البروتستنت والكاثوليك انذاك :

" سبقت كليتنا مدرسة غزير التي فتحت اولا سنة ١٨٤٣ لتهديب الاكليروس

الشرقي من سائر الطوائف الكاثوليكية . وما لبث ان طلب اليها نزلاء الشام من الاوروبيين ثم الاهلون من الوطنيين ان نلحق بتلك المدرسة قسما لتهديب اولادهم فتم الامر نحو السنة ١٨٥٠ . وكان عدد وافر من التلامذة الخارجيين من بلدة غزير ونواحيها يقبلون على دروس تلك المدرسة التي اشتهرت في انحاء لبنان وجهات الشام ومصر ومنها خرج في مدة السنين الاثنتين والثلاثين التي ثبتت فيها ( ١٨٤٣ - ١٨٧٥ ) عدد مذكور من رجال الدين والدنيا الذين شغلوا في الوطن وخارجا عنه المناصب الشريفة بينهم البطاركة والاساقفة الاجلاء والكهنة والرهبان والقناصل وعمال الدول واعيان الوطنيين والاجانب ولم يزل يذكرها بالخير كل من تخرج فيها .

على ان مدرسة غزير لوقوعها في الجبل بعيدا عن مراكز الاشغال ولضيق

ابنيها ما كانت لتفي بمرغوب منشئها لا سيما اذ رأوا ان الارسالية الاميركية اخذت في بيروت تزداد نفوذا وجاهها بكليتها البروتستانية التي كان يتردد اليها عدد من ابنا الكاثوليك فيمارسون رتبها الدينية ويعدلون شيئا فشيئا عن دين ابائهم المستقيم الى الاضاليل البروتستانية وحرية الضمير . وكان ذلك الداعي الاكبر الى نقل مدرسة غزير الى بيروت بعد ان تجول منشئها الاب امبروسيوس مونو مدة سنتين في انحاء امريكا يلقي المحاضرات عن الشرق ويجمع حسنات المحسنين

للفائز المذكورة<sup>(١)</sup> ١٨٥٠هـ

٢٠ في طبع الكتب القديمة والحديثة من علمية وادبية . وقد اسسوا اول مطبعة لهم عام ١٨٤٧ وكان انتاجهم فيها محدودا الى ان استعملوا الحروف المنفصلة عام ١٨٥٣ .

وفي تلك الفترة اخذ النشاط يدب في غير اليسوعيين من البعثات التبشيرية الكاثوليكية الاجنبية كالعازاريين وراهبات المحبة وغيرها من الجمعيات الدينية التي قامت بتأسيس المدارس للاناث ولصغار الذكور في بيروت وبعلمك ودمشق ومناطق مختلفة من جيل لبنان . وفي عام ١٨٦٠ عندما قامت الفتن الداخلية هوجمت مؤسساتهم الا انهم استعادوا نشاطهم بعد هدوء الاحوال في البلاد . وعادوا الى تقديم خدماتهم للنهضة الحديثة .

ولقد امت سورية بعثات اخرى عقب فتنه الستمين كالبعثة البريطانية والبعثة الروسية . وقد ادت هذه خدمات جلّى في ميداني التعليم والاسعاف الطبي .

هذه هي اعمال المبشرين الثمانية . وقد كان لها كما قلنا اثر فعال في ايضال اثار الفكر الاوروبي الى العقل العربي . ذلك الايصال الذي ولد حركة تجديد كانت اسرع واكثر تحولا منها في مصر ، خصوصا في البيئات المسيحية في لبنان . وفي مدارس المبشرين هذه ، نشأ الجيل الجديد متأثرا بالروح العلمية يستقيها من تلك المدارس بالاضافة الى دراسات اوسع كانت تتاح لبعض القادرين من الشبان في مدارس اميركا واوروبيا<sup>(٢)</sup> .

+ وقد كانت حركة التجديد في سورية مفعنة في التوسع حتى انها في اكثر الاحيان كانت تفقد التوازن بين القديم والجديد . ومن المع الشخصيات السورية في تلك الفتنة ادبينا الشدياق ، الذي يعد زعيم المجددين دون منازع ، ففي كتابه الساق نلص روح كاتب مجدد الى ابعد صدود التجديد . قامت هذه الحركة

(١) حكمة بوييل عليه مار يوسف ١٩٢٥ (٢) رجعت الى نقطة العرب " ص ٢٥ - ٢٠ لدمشق، هذه الاخبار

في سورية وحاول المجددون ان يتنكروا لادبهم القديم . فقامت على اثر ذلك حركة الاصلاح المعاكس للدفاع عن القديم . فقد ادرك انصاره ان المعركة بالنسبة للغة وما توورت من اساليبها هي معركة موت او حياة . ولذلك يتوجب عليهم ان يصمدوا في الكفاح وان يبدأوا ببعث اللغة من جديد . خاصة بعد فترة الركود التي بدأت بالحكم التركي والتي تهمل فيها نسج اللغة وكثرت الاخطاء وشاع اللحن . وقد اتخذت هذه الحركة في مصر وسورية اتجاهين مختلفين - ففي سورية اتخذت شكل يقظة عربية قومية . وبعث للغة العرب واساليبهم في القرون الوسطى قرون الازدهار بالنسبة للادب العربي .

وتفتن الحركة باسم الشيخ ناصيف اليازجي ( ١٨٠٠ - ١٨٧١ ) الذي كان رائدها الاول ودعائها القوية . والذي كرس حياته لاسترجاع اساليب اللغة القديمة والقضاء على كل محاولة للتجديد سواها في اللفظ او في الاسلوب .

ولد اليازجي في كفرشما من قرى الساحل اللبناني . تلك القرية الغنية المعطاءة . التي قدمت للنهضة الحديثة نفرا من خيرة رجالها ومنهم آل اليازجي وآل السميل وآل تقلا وآل الشدودي وسواهم . وكان ابوه عبد الله من المتطبيين في ذلك العصر . درس اصول الطب العربي القديم على بعض رهبان الشوير . واخذ يمارسه حتى برع فيه . وقد كان الى جانب ذلك ميالا الى الادب يطالع منه ما يقع تحت يديه ويحفظ الكثير من مآثور النظم والنثر . كما انه كان يعاني النظم في بعض الاحيان .

في هذا الجو الذي كان يسمو على غيره من الاجواء في تلك الاونة . نشأ ناصيف محبا للعلم والادب . اما التعليم الذي ناله فلم يكن يختلف عما يتناوله الحدك في ذلك الوقت . من معلومات يدائية في القراءة والكتابة يتلقاها من قس القرية . الا ان ناصيف المتشوق الى العلم والمعرفة لم يكتف بهذا القدر ولم يكن جمود ذلك العصر ليخنق من عبقريته . ان انه عندما طلق مبادئ القراءة

---

واللغة . ذهب ينهل العلم من ينبوع اخر . كان هو فيه المعلم والتلميذ . فقد قصد  
الاديرة يفتش فيها عن المخطوطات ليلتهم ما فيها ، ويحفظ ما بروق له وينسخ ما  
يحتاجه . وقد اتيح له بهذه المطالعات ان يتعرف على جزء غير صغير من تراث  
العرب في الادب واللغة . ذلك التراث الذي كان يجهله اكثر اهل العصر . والذي  
طمسته يد الاستعمار والظلم . على اثر هذه المطالعات المتواصلة في ادب العرب ،  
تنهت في ناصيف روح العروبة . فاصبح يحب العربية واهل العربية . وقطع على  
نفسه عهدا ان يحمل لواها . وان ينشر اسمها . وان يعرف الناس الى هذا التراث  
المهم . وان يبيت في نفوس القوم حب العربية والعرب .

وقد بلغ من الشهرة حدا جعل الامراء والحكام يخطبون وده ويستعملونه  
في وظائفهم الكتابية . ومن الطبيعي ان يلجأ اليه المبشرون الاميركيون ليؤلف لهم  
الكتب التي يحتاجونها في مدارسهم . وعندما قطن الشيخ ناصيف بيروت . اصبحت  
داره قبلة المتأدبين الذين كان يجلس اليهم ويحدثهم في شؤون اللغة والادب .  
ويتلو عليهم النوادر والحكايات الطريفة التي يعثر عليها في بطون الكتب . كل  
هذا كان له اثره في تنبيه النفوس الغافلة وتأليف القلوب المتناثرة على حب العربية  
والعرب . واول من علق هذه الروح . وتغلغل في نفسه حب اللغة هم ابناؤه  
الشيخ ناصيف وعلى رأسهم ابراهيم الذي كان في الرعيلى الاول من القوميين .

ان حب الشيخ ناصيف للغة جعله يتشبث بالقديم ويقاوم حركة التجديد التي  
اشرنا اليها سابقا . ولكن تشبثه هذا كان عملا احتياطيا اذ انه نظر الى حركة  
التجديد بعين مغمضة واستمع اليها باذن صفا .

ولقد امتدت اثار مدرسته بعد موته على ايدى تلامذته واشهرهم ابنه  
ابراهيم ( ١٨٤٢ - ١٩٠٦ ) ولكنها لم يكتب لها البقاء اذ انها كانت نظرية لا  
صلية وكانت بعيدة عن روح ذلك العصر .



وإذا ذهبنا نزن الجهد الذي بذله ناصيف ومدرسته في حقل النهضة  
الادبية الحديثة وجد انه بعد بحق دعامة قوية من دعاماتها . وهذا لا يعني  
انه وضع اسس الاتجاه الذي سارت عليه هذه النهضة، ولكنه بتصمكه بالقديم من  
اساليب اللغة والفاظها حد من تطرف المجددين . الذين كانوا على وشك الانمياح  
في اسلوب للتعبير جديد عليهم بعيد عما افته لغتهم من اساليب<sup>(١)</sup> .

هذان التياران تيار التجديد المتطرف وتيار المحافظة الجامدة . اوجدا  
(٢) حركة وسطا هي التي كان يتولى زعامتها المعلم بطرس البستاني ( ١٨١٩ - ١٨٨٣ )  
وقد اخذ من كل اتجاه بطرف وجمع بين القديم والحديث . تصك بالقديم اساسا  
للقول والتعبير كما انه اختار من لقاح الفكر الجديد كل قيم ومفيد .

كان المعلم بطرس رأس حركة الاعتدال هذه . وقد حصل على احسن تعليم  
يمكن الحصول عليه في ذلك العصر . فقد تلقى تعليمه الابتدائي في مدارس " تحت  
السنديانة " . حيث كان خوارنة الضيع يعلمون صبيان رعاياهم ببساطة معارفهم وقوة  
مثلهم مبادئ العربية والسريانية مع خدمة القداش و اصول الفضائل المسيحية السامية .  
في تلك المدرسة كان الخوري ميخائيل البستاني يهذب صغار الضيعة . فلاحظ ذكاه  
نادرا في اثنين من تلامذته هم مترجمنا الصغير<sup>(٣)</sup> وتربه شبلي ابن الخوري يوسف  
البستاني . فاخبر بهما المطران عبد الله البستاني رئيس اساقفة صور وصيدا  
الذي كان مقيدا ان ذاك في بيت الدين طاصة الامير بشير . فاهتم المطران بالامر  
واستقدمهما الى كرسية . وبعد ان تحقق ذكاهما ارسلهما الى عين ورقة كبرى  
مدارس ذلك العهد<sup>(٤)</sup> .

وفي عين ورقة درس البستاني اللغات العربية والسريانية واللاتينية والاطالية  
وتلقى مبادئ المنطق والفلسفة واللاهوت والحساب والتاريخ والجغرافيا . ولما  
انهى دراسته فيها حاول البطريك ان يرسله الى رومية لانها دروسه العالية  
في اللاهوت ولكن امه التي كانت بحاجة اليه مانعت في ذلك . فبقى الى جانبها يعاني

(١) رجعتنا في اخباره الى الروائع عدد ٢١ والى ١١٢٢ بم شاهير الشرف . ج ٢ ص ٣ (٢) رجعتنا الى الروائع عدد ٢٢ والى  
٢١ بم شاهير الشرف . ج ٢ ص ٢٧ (٣) الحديث عن بطرس البستاني (٤) الروائع عدد ٢٢ ص ٢

مهنة التعليم ويدرّس اللغة الانجليزية حتى جاء عام ١٨٤٠ فكان فاتحة خير له ، اذ هبط فيه الى بيروت واستوطنها . ومنذ ذلك الوقت بدأت علاقاته مع المبشرين الاميركيين . فقد تعرّف الى ايلي سميث وكورنيليوس فاندريك واعتنق المذهب الانجيلي ، واخذ يعمل مع المبشرين في مدارسهم ويؤلف لهم الكتب المقررة كما كان يفعل زميله ومعاصره الشيخ ناصيف . وقد كانت له قدرة فائقة على تلقي العلوم وضمها ، كما ان انتاجه فيها كان غزيرا . وقد كان متنوع الثقافة ، يدرّس الادب واللغات والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والطبيعيات ، وكان يعطي كلا منها جزءا من وقته وجهوده . وقد اشترك مع ايلي سميث في ترجمة الكتاب المقدس بعد ان اتقن جميع اللغات التي كتبت فيها النصوص الاولى منه . وبعد الفراغ من هذه الترجمة تفرّغ الى تأليف معجمه " محيط المحيط " ومختصره " قطر المحيط " وقد جمع فيها الالفاظ العربية القديمة الى جانب المصطلحات الحديثة التي جدت في النهضة الاخيرة . ويظهر ميله الى التجديد في قاموسه هذا وفي دائرة المعارف التي قام بها منفردا وهي جهود شاق ليس من اليسير ان يقوم به شخص بمفرده ولكنه عمل يجب ان تتولاه لجان مختصة . وقد افترغ فيها من المعلومات كل طريف ومفيد . راجعا في ذلك الى مصادر عربية والفرنجية في مختلف العلوم والفنون . وقد اتم منها قبل وفاته ستة اجزاء وقسما من السابع ثم جاء ابنه سليم ( ١٨٤٨ - ١٨٨٤ )<sup>(١)</sup> وقريبه سليمان ( ١٨٥٦ - ١٩٢٥ )<sup>(٢)</sup> واكملها حتى الجزء الحادي عشر .

هذا الا ان الخدمات التي اداها بطرس البستاني الى امته لم تكن في هذا الحقل فقط بل امتدت الى حقل الوطنية والقومية . فقد كانت حوادث الستين وما تبعها من بغضاء وحقد بين العرب سكان هذه البلاد حافزا قويا له الى ان يعمل في الحقل الوطني . وقد تجلّى نشاطه في ذلك في اتجاهين :

١ . الاتجاه الادبي باصدار النشرات والمجلات

٢ . الاتجاه التربوي في مدرسته الوطنية

(١) زبيران ج. ٤ ص ٢٧٤ ، (٢) ادباء العرب ص ٣٣.

سعى البستاني بعد فتن الستين الى تخفيف وطأة التباغض الديني ، والحد من قوته . فاصدر جريدة " نفيير سورية " عام ١٨٦٠ وهي نشرة صغيرة الحجم كانت تصدر مرة كل اسبوع . وقد بث فيها افكاره في الوطنية والقومية ، كما انه سعى الى تأليف القلوب ونبذ البغضاء والتشاحن ، وحث على طلب العلم الذي ينور القلوب ويضيء العقول ، وبهذا يقضى على التنافس والتباغض ، وهناك ما قاله عنها طرازى في " تاريخ الصحافة "

" وقد جعلها على شكل رسائل وطنية تتضمن نصائح مفيدة لشدة عرى الالفه بين السكان على اختلاف مذاهبهم كالاسرائيليين والنصارى والمسلمين والدروز . ثم اوقف نشرها بعد استتباب الراحة في هذه البلاد وخلود الناس الى السكينة . وظهر من هذه النشرة ثلاثة عشر عددا موسومة بالنفيير الاول والنفيير الثاني حتى الاخير ، بدلا من العدد الاول والعدد الثاني الخ . كما جرت العادة . وقد اتحفنا خليل سرقيس صاحب جريدة " لسان الحال " بفقرة منقولة عن " نفيير سورية " فاشتناها هنا بالحرف الواحد :

" يا ابنا الوطن ا

" ان الفظائع والمنكرات التي ارتكبتها اشقيانا هذه السنة كسرت القلوب واسالت الدموع وعكرت صفا الالفه واضاعت حق الجوار . اما تعالج الجاران ؟ اما شربتم ماء واحدا ؟ اما تنشقتم هواه واحدا ؟ اما رأيتم العقلاء ساهين في تشييد اركان الالفه ورفع منار العلم رغبة منهم في ارتفاع البلاد وسعادة العباد ؟ اعلموا انكم بعلمكم المنكر قد ارجعتم الوطن الى الوراء نصف قرن الخ . الخ . هداانا الله واياكم الى سواه السبيل " (١)

هذا وقد اصدر البستاني عام ١٨٧٠ مجلته الجنان وكانت سياسية ادبية تصدر مرة كل اسبوعين . وقد اتخذ لها شعارا " حب الوطن من الايمان " . وكانت تحمل رسالة النفيير ولكن على نطاق اوسع . ان انه كان ينادى فيها دائما بطلب

العلم وبيث نماذجه وابحاثه على صفحاتها حتى اصبحت رائد القوم الاول نحو  
حرية التفكير وحرية المذهب .

### النشاط التربوي :

لم يكتف البستاني باصدار نفيير سورية لتنبه اذهان القوم ، ولكنه كان يؤمن  
ايما نا لا يفسده زرع في منافع التربية واثرها في خلق الجيل الجديد لذلك اسس  
مدرسته الوطنية في بيروت عام ١٨٦٢ "اسمها على الحرية الدينية ومبدأ الجامعة  
الوطنية العثمانية فتقاطر اليها الطلبة من سائر انحاء الشام ومصر والاسنانة وبلاد  
اليونان والعراق وغيرها ، فداع صيتها في الافاق وظهر فضلها على رؤوس الاشهاد  
فانعمت عليه الحضرة السلطانية بنيشان عال تنشيطا له ومكافأة لخدمته . وقد تولى  
ولده المرحوم سليم البستاني نيابة رئاسة المدرسة وكان متضلعا في العلوم الحديثة  
فكان يدرس التاريخ والطبيعيات والصف الاول في اللغة الانجليزية ."<sup>(١)</sup>

وقد كانت سيرة البستاني مثلا يحتفون من حيث الاخلاص والوطنية وصدق  
العزيمة والمثابرة على العمل المنتج . وانا اعتقد ان المعلم بطرس البستاني هو  
رجل القرن التاسع عشر في سورية ، وهو رمز هذه النهضة التي عمت جميع نواحي  
الحياة .

هذا عرض سريع لتباشير النهضة في سورية . الا ان النشاط السوري فيها  
يكاد يتبلور في الاتجاهات الآتية :

### الصحافة

ظلت الصحافة المصرية رسمية حتى عام ١٨٦٦ حين اصدر الشيخ ابو السعود  
صحيفته الاسبوعية " وادي النيل " في القاهرة . هذا بينما نشأت في سورية  
عدة صحف يومية حرة بين عامي ١٨٥٥ و ١٨٦٠ . وذلك راجع في الاكثر الى  
اضطراب الاحوال السياسية فيها ، ذلك الاضطراب الذي نشأ عقب خروج العتاك

(١) تراجم مشاهير الشرق ج ٤ ص ٢٩

الصرية وحرب القرم وفتن الستين . واول جريدة عربية غير رسمية هي "مرآة الاحوال" وصاحبها هورزق الله حسون الحلبي اصدرها سنة ١٨٥٥ اثنا حرب القرم بين السلطنة العثمانية وروسيا . وهي اول صحيفة عربية نشأت في عاصمة السلطنة وعاشت نيفا وسنة . فكانت تنشر وقائع الحرب المذكورة واشياء اخرى عن احوال بلادنا السورية لا سيما لبنان وبعليك وحاصبيا وغيرها . وقد اتضمت فصولا لا تخلو من تقييح الاتراك والتنديد باعمال الحكومة العثمانية لان حسون كان حرا الافكار طويل الباع في الانشاء حر الهجو في الشعر كالفرزدق . فقص الباب العالي على القا القبر عليه ففر هاربا الى الروسية فحكم عليه الاتراك حكما غاييا بالاعدام<sup>(١)</sup>

ثم صدرت "السلطنة" عام ١٨٥٢ وصاحبها هو اسكندر شلهوب السوري الاصل "وهي ثانية الصحف العربية السياسية في عاصمة السلطنة وسائر الممالك العثمانية . وما كادت تظهر لعالم الوجود حتى عطلها صاحبها قبل بلوغها تمام السنة من عمرها<sup>(٢)</sup>

ثم صدرت "حديقة الاخبار" في بيروت عام ١٨٥٨ وهي سياسية علمية تجارية تاريخية . وصاحبها هو خليل الخوري اللبناني . وهي اول جريدة عربية صدرت في المملكة العثمانية خارج الاستانة . كان في عزمه ان يجعلها صومية وسماها "الفجر الضير" ثم عدل عنه الى "حديقة الاخبار" وبعد سنتين من صدورها صارت حوادث سوريا سنة ١٨٦٠ وجاء فؤاد باشا مندوبا لتسوية مسائلها فاقترح على صاحبها ان يجعل جريدته شبه رسمية وهنت له الحكومة راتبا شهريا بينما ظهرت جريدة "سوريا" الرسمية . وجعل فرنكو باشا حاكم لبنان يومئذ جريدة "حديقة الاخبار" رسمية للبنان مدة . ولم يظل دفع الرواتب ولكنه ما زال يصدرها الى وفاته سنة ١٩٠٧ وصدرت بعده الى سنة ١٩٠٩<sup>(٣)</sup>

(١) تاريخ الصحافة ج ١ ص ٥٥ (٢) نفس المصدر (٣) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٦٤ ، تاريخ الصحافة

وقد صدرت غير هاتين الجريدتين جرائد اخرى ولكن اشهر صحيفة غير حكومية قامت حوالي ذلك الوقت هي جريدة "الجوائب" التي اصدرها في الاستانة احمد فارس الندياق عام ١٨٦٠ . وقد انتشرت الجوائب انتشارا عظيما في الشرق والغرب ونالت شهرة واسعة لم تتلها جريدة سواها منذ ظهور الصحافة العربية حتى ذاك العهد . فكان يقرأها سلاطين العرب وملوكهم وامراءهم وعلماؤهم في تركيا ومصر ومراكش والجزائر وتونس وزنجبار و جاوا والهند وغيرها . وقد ساعد السلطان عبد العزيز على توسيع نطاق هذه الجريدة لبث فكرة الخلافة النبوية بين المسلمين المنتشرين خارجا عن الدولة العثمانية . وكان احمد فارس يقبض كل سنة خمسمائة ليرة عثمانية من السلطان المثار اليه لهذه الغاية . وكان كل من اسماعيل باشا خديو مصر ومحمد الصادق باشا باي تونس ينفحه بمثل المبلغ المذكور لاجل خدمة افكارهما وترويج مصالح بلادهما<sup>(١)</sup> .

وقد ابدى السوريون في مصر نشاطا عظيما في ميادين الادب المختلفة ولا سيما في الصحافة . وقد اشتهر بينهم يعقوب صروف (١٨٥٢ - ١٩٢٧)<sup>(٢)</sup> الذي اضاف الى الفكر العربي ثروة علمية كبيرة بثها في مجلة المقطف شيخ المجلات العربية . وكذلك جرجي زيدان (١٨٦١ - ١٩١٤)<sup>(٣)</sup> الذي قدم للنشر العربي خدمات جلّى في اللغة والادب والتاريخ . وقد كان عصاميا في دراسته وكان انتاجه واسعا ومتنوعا وقد كان طم الثقافة ملما بمناهج البحث الاوروبي التي حاول ان يدخلها الى الادب العربي الحديث بطريقة علمية . وربما فاق تأثيره تأثير الشيخ محمد عبده من حيث توجيه الادب العربي الحديث طمة نحو التجديد والكمال .

هذا ، وقد لعبت الصحافة دورا هاما في اصلاح اللغة العربية والنهوض بالبيان العربي الحديث . اذ كانت مدرسته لتدريب الناشئين من الكتاب ، كما انها اعتدت في تحريرها اسلوبا حديثا يتعشى مع روح العصر . فقد اصبحت اللغة القديمة بما فيها من اغراب وتخير للفظ الحوشي الصعب وميل الى الاسلوب المتوارث

(١) تاريخ الصحافة ج ١ ص ٦٨ (٢) راجع مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٨ ص ٥٧ والمقطف مجلد ٧١ (٣) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٢٢٢

الذي تنكسر فيه الشخصية وتبرز الصناعة بعيدة كل البعد عن متطلبات العصر ومصطلحاته، كما انها كانت عاجزة عن نقل الافكار الحديثة، وحمل الرسالة التي تعهدت الصحافة بها انذاك حتى ان لغة البستاني ومدرسته مع انها كانت اسهل تناولا واكثر استساعة واقرب الى روح العصر، اصبحت غير صالحة للتعبير الصحفي . اذ الى ذلك ان اللغة العامية كانت ولا تزال غير صالحة للكتابة الادبية، لانفراد كل قطر ببلهجته الخاصة . ولذلك كان العيب الذي القاه العصر على كواهل الصحفيين . اول ما قامت الصحافة، ثقيلًا، والمشكلة التي اعترضت سبيلهم لا يتيسر حلها في زمن قصير .

وقد لاقت لغة الصحافة بادئ الامر مقاومة من اللغويين والمنشئين، ووصف أسلوبها بالركاكة، ودفعت الغيرة على اللغة بعضهم الى ان يتناولوا الى الفاظ الصحف فيبين ما فيها من اخطاء<sup>(١)</sup>، ولكنها بمرور الايام اخذت تخلع عن نفسها هذه الوصمة، وشرعت تسير سعدا في سلم الرقي ولا سيما بعد ان قويت الحركة الادبية في مصر على اثر اعمار اصلاحات اسماعيل، وبسبب الثورة الداخلية .

#### الجمعيات الادبية :

الجمعيات الادبية ثمرة من ثمرات هذه النهضة ونتيجة من نتائج انتشار روح الحرية الشخصية واحترام الفرد . وليس لها في تاريخها قبل هذه النهضة تقليد . اللهم الا اذا اعتبرنا اسواق الادب ومجالس بيوت الامراء وبيوت السادة والسيدات من هذا القبيل . وقد ظهرت هذه الجمعيات في سوريا اولا، على اثر الاحتكاك بالمبشرين الافرنج .

وقد كانت اولى هذه الجمعيات الجمعية السورية<sup>(٢)</sup> او جمعية الفنون والعلوم<sup>(٣)</sup> كما يسميها زيدان . وقد اسسها الاميركيون بناء على طلب تقدم به المعلم بطرس البستاني والشيخ ناصيف اليازجي . وقد برزت هذه الجمعية الى الوجود عام ١٨٤٧، وكان بين اعضائها كورنيليوس فاندريك وطلي سميث وجرجس هواتين وهنري

(١) ابراهيم اليازجي في "لغة الجرائد" (٢) تاريخ الصحافة ١٨٠ ص ٥٤ (٣) تاريخ اللغة العربية ج ٤ ص ٧٩، واحبار هذه الجمعية بندها مفضلة في كتاب "بصيرة العرب" ص ٥٤، وقد رجعت الى هذا المصدر كثيراً في هذا المعنى

دفرست وبطرس البستاني (امين السر) وناصر اليازجي والكولونيل تشرشل (وكان انجليزيا مقيما في سورية) وسواهم من انصار العلم والادب . وكان اكثر اعضائها من النصارى المقيمين في بيروت ولم يكن بينهم واحد من المسلمين او الدروز . وقد كان لها مكتبة صغيرة يشرف عليها ناصيف اليازجي . وكانت تجتمع مرة في الشهر على الاقل ، وتلقى فيها الابحاث والمواضيع التي يحضرها الاضياء . وقد عاشت خمس سنوات ، وبلغ عدد جلساتها فيها ثلاثا وخمسين اصدرت في نهايتها نشرة ضمت خلاصة لما قامت به من اعمال<sup>(١)</sup> وهذه الجمعية هي نواة الجمعيات التقدمية التي ظهرت في هذا القرن واليها يعزى الفضل في تنبيه الازهان الى العمل المشترك .

وطبيعي ان يحدث رد فعل لهذه الجمعية عند اليسوعيين الذين كانوا ينفسون على الاميركيين اعمالهم التبشيرية والتهذيبية ، وهكذا يتقدمون الى تشكيل جمعية مماثلة في عام ١٨٥٠ . وقد اطلقوا عليها اسم "الجمعية الشرقية" وعقدت الجلسة الاولى في دير الاباء اليسوعيين في ١٧ من شهر كانون الثاني كما هو مسطر في سجلها المسمى تقويم الوقائع . واليك ما كتب منه على غلاته :

اجتمعت الجمعية الشرقية في بيروت في ١٧ كانون الثاني في الساعة الواحدة بعد الغروب ، وقررت في جلسة قانونية البنود الاتية التي قد تجددت ايضا في جلسة ١٠ اذار الاعتيادية .

اولا : ان غاية اعضاء هذه الجمعية هي الاستفادة والافادة ما امكنهم الى الغير بواسطة مشاركة الاعضاء بعضها الى بعض في العمل المقصود وحضور جملة اعضاء الذين تأييدا لمواظبتهم الجلسات يعدون الجمعية بالحضور او بالاعلام عن المانع اذا وجد .

ثانيا : انه اذا لم يفوا هذا العهد يلتزموا لاعطاء صندوق الجمعية فروع  
١ لاول مرة وفروع ٢ لثاني مرة .  
ثالثا : المباشر الجمعية يتولى المحافظة على توفية العهد المذكور .



وكان فيما اعضاء اجانب منهم الدكتور سوكة الشهير . اما معظمهم فكانوا من الوطنيين ولم نجد جدول اسمائهم وجرت اكثر مباحثاتهم باللغة العربية .<sup>(١٦)</sup>

الا ان روح القومية العربية لم تتجل في هاتين الجمعيتين . ولو ان بعض اعضائهما كانوا يحون هذه الروح . بل تجلت في جمعية عربية صرفة . اى اعضاءها كانوا من العرب على اختلاف ملتهم ونحلهم . مما يدل على ان التعصب الديني المفقوت اخذ يتلاشى بالتدرج امام العقل العربي الجديد . ولا ننسى هنا ما قام به كل من ناصيف اليازجي ويطرس البستاني في هذا السبيل . فقد نادى الاول بوجود التآزر في خدمة اللغة العربية . بينما قام الثاني . فيما بعد . يقاوم التعصب الديني ويربي الروح الوطنية بوسائل علمية ناجحة .<sup>(١٧)</sup>

هذه الجمعية الوطنية هي "الجمعية العلمية السورية"<sup>(١٨)</sup> . وقد ظهرت عام ١٨٥٧ وامتد عملها واتسع . الا ان فتنة الستين عطلت اعمالها بعض التعطيل . ولكنها عادت قوية نشيطة . وظلت تعمل بكد واجتهاد حتى اعترفت بها الحكومة العثمانية رسميا عام ١٨٦٨ . وقد كانت تضم طائفة من الشخصيات البارزة في البلاد العربية ومن اعضائها (طم ١٨٦٨)

الامير محمد امين ارسلان	رئيس
حسين بيهم وحنين خورى وسليم بستاني	مميزون
عبد الرحيم بدران وسليم شحادة	كاتبان
سليم رمضان وموسى فريج	مصححان
حبيب الجلج	مدير اشغال
رزق الله خضرا	امين الصندوق

ومن الادباء او الوجها . او رجال الادارة :

كامل باشا . اسير شقير . الشيخ ابراهيم اليازجي . حبيب اليازجي . خليل الخورى .  
وعبد البديع الياني ويوسف سرسق وسواهم . وكان بين اعضائها جماعة من كبار رجال السياسة والادارة بالاستانة فهم فؤاد باشا ورشدي باشا ومصطفى فاضل باشا .

(١٦) مجلة المشرق مجله ١٢ ص ٢٢ - ٢٨ . مقال ابو منقالبان سركيس (١٩) هذه الآراء والاخبار اخذت من طبعته العرب ص ٤٧ وما بعدها (٢٧) راجع تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٨٠ .

وصفوت باشا وروثوف باشا وغيرهم . وكان من اعضائها في مصر سليمان اباطة  
واحمد اباطة .

هذه الجمعية التي ضمت رجال العروبة في مختلف اقطارهم هي اول بادرة  
بشرت بخير في تاريخ الوعي القومي العربي . ومنها خرج صوت ابراهيم اليازجي  
في قصائده القومية المشهورة والصفها بذاكرتنا واشهرها في نوادينا الادبية  
البائية التي مطلعها

تنبهوا واستيقظوا ايها العرب  
فقد طوى السيل حتى غاصت الركب  
ومنها :

فيم التملل بالامال تخدمكم  
كم تظلمون ولستم تشتكون وكم  
نتمروا وانفضوا للامر وابتدروا  
لانتم الفئة الكثرى وكم فـئـة  
تم يشير الى الاتراك :

سلاحهم في وجوه القوم مكرهم  
لا يستقيم لهم عهد اذا عقدوا  
وتأخذ الحماة القومية فيصيح :

بالله يا قومنا هبوا لسانكم  
الستم من سطوا في الارض واقتحموا  
فمالكم ويحكم اصبحتم هملا  
لا دولة لكم يشتد ازركم  
اقداركم في صيون الترك نازلة  
فكم تنادىكم الاسفار والخطب  
شرقا وغربا وغزوا اينما ذهبوا  
ووجه عزكم بالهون منتصب  
بها ولا ناصر للخطب ينتصب  
وحقكم بين ايدي الترك مغتصب<sup>(١)</sup>

وقد انتشرت هذه القصيدة انتشارا واسعا لا في صحف والجلات ولكن  
على السنة القوم . ان روحها الثورية كانت تحول دون نشرها او اظهار

(١) راجعها مع السبنة والجمية في "العوامل المطالة في الأدب العربي الحديث" ص ٦١

اسم قائلاً<sup>(١)</sup> . ولم تكن هذه النفقات الشعرية ينسج وحدها في تلك العهود بل ظهر مثلها كثير في البلاد العثمانية والمهاجر . وكلها تم على تخمير قومي أحدثته الاحوال الجديدة في نفوس الشبيبة لذلك العهد<sup>(٢)</sup> .

هذه لحة سريعة عن مبدأ نشوء الجمعيات الادبية في سورية عرضنا فيها لاول الرواد ولجهودهم المختلفة في حقول الادب والعلم والقومية .

### التمثيل:

تكاد تجمع آراء الذين حاولوا التعرُّس للتمثيل عند العرب على انه بضاغة جديدة استوردناها من الغرب كما استوردنا اشياء جديدة كثيرة في هذه النهضة . وتكاد تجمع الآراء ايضاً على ان اول من حاول هذا الفن هو مارون نقاش من اهل بيروت .

ولد مارون في صيدا في التاسع من شباط عام ١٨١٧ . ونشأ في بيروت اذ جاءها ابوه تاركاً صيدا عام ١٨٢٥ . وكان مولعاً بالعلم والادب واللغات التي اتقن منها التركية والفرنسية والاطالية الى جانب لغته العربية . وفي سن الثانية عشر تعلق بنظم الشعر حتى فاق اقرانه . اذ ان شعره كان طلياً سهلاً مع خلوه من العقادة والركاكة<sup>(٣)</sup> . وكان مولعاً بالفنون ولا سيما الموسيقى . ولكنه اضطر بسبب ظروفه الخاصة ان ينقطع للتجارة وجمع المال . وفي سنة ١٨٤٦ سافر الى مصر ومنها ذهب الى ايطاليا حيث قضى مدة من الزمن اطلع في اثرائها على احوال الاوروبيين وعاداتهم . كما انه اعجب بمسارحهم . فلما عاد الى بيروت تناول رواية " البخيل " لموليير وعربها ونقل حوادثها الى جو عربي . بما فيه من العادات والازياء والاثاث . وفي اوائل عام ١٨٤٨ قدمها في بيته الى اصحابه بعد ان افهم فيها الموسيقى . وقد دعي قناصل الدول واميان البلدة الى مشاهدتها . فاعجب الناس بها ، وقدروا فنه ومواهبه وتحدثت عنها الصحف الاجنبية<sup>(٤)</sup> .

(١) بتقظة العرب ص (٢٤) الصواصل المفصلة ص ٦٢ (٣) راجع لذلك "ارزة لبنان" ص ٤٢ وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ١٥٢ والرهلال (الكتاب الذهبي) ص ١٩٤٢ ص ٨٩ والسنة الاولى من الممتع العرب عد ٦ ومجلة الكتاب السنة الأولى ص ٨٢ (٤) ارزة لبنان ص ٤ (٥) نفس المصدر ص ١٠

وفي اواخر عام ١٨٥٠ قدم في بيته ايضا رواية "ابي الحسن المغفل او هارون الرشيد" مقتبسا حوادثها من "الف ليلة وليلة" وقد دعى اليها والى سوريا وبعض وزراء رجال الدولة العثمانية وقناصل الدول واعيان البلدة . وقد اعجب الناس بها هذه المرة كما اعجبوا بسابقتها وشجعوه على الضي في هذا العمل الطريف المفيد . فلما لس ذلك التشجيع منهم تقدم الى عمله بهمة ونشاط . واقام مسرحه الشهير الملاصق لداره خارج باب السراي<sup>(٤)</sup> وقدم في هذا المسرح "رواية الحسود السليط" وهي رواية اجتماعية في ثلاثة فصول شحنتها بالعظات والنصائح . واسلوبه في هذه المسرحيات يختلف بين الشعر والنثر المسجع واللمحة العامة المحلية ويعد مارون نقاش بحق الرائد الاول لهذا الفن في نهضتنا . ولكنه توفي شابا عام ١٨٥٥ في طرسوس فخرت هذه النهضة بوقلاته ركنا عزيزا من اركانها . ولو مد الله في اجله لكان لهذا الفن شان اخر<sup>(٥)</sup>.

وحوالي عام ١٨٦٦ كان احمد ابو خليل القباني<sup>(٦)</sup> يقدم اولى محاولاته التمثيلية في دار جده في دمشق<sup>(٧)</sup> وطفق بوحى فطرته يخلق للعربية نوطا جديدا للتمثيل هو خليط من هزل وجد وكلام وغناء يعرف عند الافرنج "بالاوبريت" وابدع ضربا حديثا يسميه الغربيون "باليه" واسمه عندنا رقص السماع<sup>(٨)</sup>.

ثم اتسع نطاق عمل ابي خليل . فخرج من دار جده الى الجمهور رغم تأخره "وعدم استعداده لقبول هذا النوع من الفن . ان كانت الحياة الفنية في عهدها البدائي لا تتعدى اماكن الغناء الشعبية ودور "كره كوز" اذ الى ذلك فقدان الامن في الاحياء ما يجعل خروج الناس من بيوتهم لمشاهدة التمثيل لا يخلو من مخاطرة لا يقدم عليها الى القلائل<sup>(٩)</sup> . ومن مسرحياته "وضاح" وهي رواية خيالية عاطفية مثلت امام الجمهور في كازينو الظليان في محلة باب الجابية عند سوق مدحت باشا . وقد شجعه ابو الاحرار على الضي في عمله هذا وامده بمال من صندوق البلدية فاندفع في فنه باخلاص واثق له عدة مسرحيات . وقد اعجب الشعب بجهوده اول الامر ايما اعجاب . الا انه الاعجاب الذي يظهر من المرء امام كل جديد . وهو

(١) هو هذا المسرح بعد وفاته الى كنيسته ثم لأبوصيته (٢) جمعت مسرحيات مارون النقاش واخباره في كتاب "ارزة لبنان" (بيروت ١٨٦٩) (٣) حوالي عام ١٨٧٢ هـ (٤) من مقال للدكتور ابراهيم الكيلاني في مجلة المعلم الجديد السورية العدد الاول من السنة الاولى (٥) من مقالة لطيف مطران عن التمثيل نشر في عدد المجلد الذهبي عام ١٩٤٢ ص ٩٠ (٦) المعلم الجديد ص ٤٧

اعجاب سرعان ما تحول الى مقاومة واحتقار من الرجعيين والمتأخرين . فكان ان  
وشى به احد هؤلاء ، ويدعى الشيخ سعيد الغبراء ، الى السلطان عبد الحميد الثاني  
في المسجد يوم الجمعة . فصدرت الارادة السنية بايقاف اعمال ابي خليل . ولم  
يقف الامر عند هذا الحد ، بل انقض عليه العوام وصاروا يقاومونه ، فما كان منه الا  
ان شد رحاله الى مصر كعبة الاحرار انذاك ، واقام له مسرحا خشبيا بالقرب من  
العتبة الخضراء ، هاتي بالمثلثات والمغنيات من سوريا . وقد لاقى فنه نجاحا كبيرا  
واقبالا شديدا عند جمهور المصريين<sup>(١)</sup> وعنه يقول الاستاذ زكي طليمات :

"على ان القباني لم يأت بجديد من حيث قالب المسرحية واقسامها ، فهو في  
هذا كسابقه متبع لا مبتدع ، يصب على قالب المسرحية الغربية كما انتهت اليه في  
اواسط القرن الماضي ، كما ان نصيب شخوص مسرحياته من التحليل النفسي ضئيل  
ومضطرب .

وانما الجدة فيما اعتقده هي انه كان يقتبس مواضيعه من حوادث التاريخ  
العربي وما ورد في كتب الاخبار ، ومن اساطير " الف ليلة وليلة " مع ابتداء بعض  
الحوادث التي تساعد على اظهار الموضوع وتمهد له وتحسن خاتمته . وبهذا جاءت  
هذه المسرحيات في حبكة ضعيفة وسياسة ساذجة اذا قيست بالمسرحيات المعربة والمترجمة .

وفي هذه المسرحيات جدّة في الاسلوب فهو فيها افصح عبارة " وايبين عربية "   
من اسلوب المسرحيات السابقة ، واكثر حمولة من السجع والزركنشات البيانية . الا  
ان السياقة اللغوية كانت تنتقل بين النثر والنظم بلا قيد ولا شرط ، كما هي الحال  
في مسرحيات النقاش ومن نهج نهجه . وكانى بالمؤلف يرمي بهذا الى ان يقيم  
بين المسرحية الناشئة الدخيلة وبين الوان الادب العربي القديمة والاصلية وشابح  
قريبى ولو في الاسلوب والمظهر .

وفوق هذا وذاك ، فان عامة هذه المسرحيات لم تكن مقصورة على مقومات  
فن التمثيل فحسب ، بل تجاوزتها الى صميم الموسيقى والرقص ، فقد استقام خلط

---

(١) حمد الهمال الذهبى ص ٩٠

الكلام بالغناء على حال ام و ابرز ما ورد في المسرحيات الاولى ، كما انه انصح  
مجالا لنوع من الرقص العربي الاجمعي القائم على السماع . وربما كان القبايني هو  
مبتدع المسرحية الغنائية القصيرة *oprette* في المسرح العربي<sup>(١)</sup>

واذا عدنا الان الى لبنان وجدنا سليم النقاش<sup>(٢)</sup> ابن اخي مارون يوفلف فرقة  
تمثيلية كان من افرادها اديب اسحق ويوسف الخياط ، وبحث مطيته الى مصر عام ١٨٧٦ .  
فيصل الاسكندرية وبمثل فيها وفي ديباط والزقازيق والقاهرة<sup>(٣)</sup> . وقد حملت هذه  
الفرقة معها مسرحيات مارون ، ومسرحيات اخرى ترجمها وعربها سليم النقاش واديب  
اسحق منها "الظلم" و"مي" و"العقار" و"طائفة" و"اندروماك" . وقد انحلت  
هذه الفرقة بعد حين وانفصل عنها يوسف الخياط فقدم القاهرة عام ١٨٧٨ "فنشطه  
اسماعيل وامران تفتح له ابواب الاوبرا لمثل بها رواياته ووعد ان يحضر التمثيل  
بنفسه . فمثل الخياط فيها رواية "الظلم" . وكان اسماعيل حاضرا فغضب لما تخلل  
التمثيل من ذكر الظلم والظالمين . وتوهم انهم يعرضون به وباحكامه فامر باخراج  
الخياط وجوئه من مصر فعادوا الى سوريا<sup>(٤)</sup> .

وفي اثناء تلك المدة كان الشيخ خليل اليازجي يكتب مسرحيته التاريخية  
الشعرية الغنائية "العروة والوفاء" او الفرج بعد الضيق في ثلاثة فصول . وقد  
اختر موضوعها من اشهر وقائع ملوك العرب الجاهلية واجدتها بالتمثيل ان جمعت  
يوم البؤس والنعم وظهر فيها الفرج بعد الضيق وقد شخس فيها غوائل السكر  
وقباحة الظلم واکرام الضيف وكرم الاخلاق عند العرب ومثل فيها العروة والوفاء  
في قراد الكلبي والوفاء في حنظلة الطائي والظلم في النعمان ابن ماء السماء .  
واظهر بعد ذلك فضائل الدين المسيحي في فرضه الوفاء وحب الاعداء ولو تحت  
السيف . وزاد عليها من نفسه مثال الحب الخالص الذي هو غاية الفضل ومنتهاه  
وفيه سعادة الانسان في دنياه . وصدرها بقصيدة طويلة بسط الكلام فيها على الاصول  
والاحكام الواجب مراعاتها في هذا النوع من الروايات مما وضعه من نفسه واستعار  
لها اسما مناسبة لها من ليالي القمرة . واتم نظمها سنة ١٨٧٦ وشخصها مرارا

(١) مجلة الكتاب مجلد ١ ص ٥٨٦ ، ومدرسة القبايني : هرون الرشيدي ، الولاده ، عنتر بن شداد ، السلطان  
حسن ، انيس الجليسي ، ملتقى الخليفين ، ابوهبضر المصنوع ، هرون الرشيدي ، والصبياد (٢) ، راجع لترجمته  
تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ١٥٤ (٣) ، المستمع العربي سنة اولى عدد ٦ (٤) تاريخ آداب اللغة  
العربية ج ٤ ص ١٥٥

سنة ١٨٧٨ وقد طبعت الطبعة الاولى سنة ١٨٨٤<sup>(١)</sup>.

وقد كان في هذه المسرحية من تعجيد العرب وذكر محامدهم وفضائلهم  
يضمن لها النجاح لو مثلت . الا انها من الناحية الفنية تعد محاولة ابتدائية ليس  
لها حظ كبير من قوة الحكمة وانتظام السياق .

وفي اثناء تلك العدة كان الشيخ نجيب الحداد (١٨٦٧ - ١٨٩٩) . حفيد  
الشيخ ناصيف اليازجي ، يقوم بمحاولاته في تأليف وترجمة بعض المسرحيات ، التي لاقى  
اكثرها اقبالا ونجاحا من جمهور القراء والنظارة . ومن مسرحياته "صلاح الدين  
الايوبي" . والقصة للكاتب الانجليزي ولترسكوت ، وترجمها ووضعها في شكل مسرحية .  
وقد مثلت في مصر مرارا ونالت شهرة واسعة . ومسرحية "السيد" ، ولكورنيل  
الفرنسي ، ونقلها الى العربية وسماها "غرام وانتقام" وقد مثلت مرارا . ومسرحية  
"المهدى" وهي تاريخية تعرض بعض حوادث المهدي السوداني . ومسرحية "حمدان"  
عربيا عن "ارنيي" لفكتور هوجو . ومسرحية "شهداء الغرام" وهي معربة عن  
مسرحية "روميوجوليت" لشكسبير ، ومسرحية "الرجاء بعد اليأس" ، و"البخيل"  
وهي معربة عن موليير ، و"غصن البان" و"نارات العرب وسواها"<sup>(٢)</sup> .

ولا ننس هنا جهود فرح انطون السوري الاصل (١٨٧٤ - ١٩٢٢) وان  
كانت متأخرة ، وهو احد الكتاب المتحررين المتطرفين في اواخر القرن الماضي واول  
هذا القرن . وقد قدم الى الادب العربي الى جانب كتبه وتأليفه وترجماته في  
الادب والاجتماع ، عدة مسرحيات بين معربة ومؤلفة . منها "صلاح الدين او فتح  
بيت المقدس" و"مصر الجديدة" و"بنات الشوارع او بنات الخدور" و"ابو الهول  
يتحرك والفراضة ساهرون" و"البرج الهائل" و"ابن اشعب" و"اوديب الملك"  
و"الساحرة" وسواها<sup>(٣)</sup> . وقد خدم بها المسرح العربي خدمات قيمة ، ومهد السبيل  
لظهور مسرحية عربية ناضجة الصنعة مكتملة اساليب الفن .

(١) مقدمة الاستاذ نجيب صدي للطبعة الثانية (٣) رجعت في اثبات اسماء هذه المسرحيات الى مخطوط عن  
فرح انطون بقلم الأئمة منبلة أديب ص ٥٠ (٤) راجع تراجم مشاهير الشرق ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

وبعد ، لقد استعرضنا فيما مضى حلقات من سلسلة تطور الفن المسرحي في ادبنا ، ووجدنا ان الحلقات الرئيسية في هذه السلسلة من صنع السوريين ومن صياغتهم . وهذا فضل يذكر لهم ويسجل لهم بقلم الفخر في سجل النهضة الادبية الحديثة .

### ادب المهجر

ربما نخرج عن غرض هذا الفصل ، بل نخرج عن محيط الكتاب ، اذا تتبعنا حركة الادب في المهاجر واعتبرناها من هبات السوريين التي تفردوا بتقديمها الى ادبنا الحديث . ولكن رغبة في استيفاء البحث ، وجدنا من المناسب ان نتناول بايجاز مفيد هذه الحركة الادبية القوية التي بدأ نموها في اواخر القرن العاشر .

لعل من الاسباب المباشرة لحركة الهجرة هذه ، الحاجة الملحة التي جرّها على ابناء هذه البلاد الضغط الاقتصادي الذي جاء نتيجة لتدابير العثمانيين بعد فتنة الستين وفي ذلك يقول اوغست اديب باشا :

فالسبب الاول في مهاجرة الالوف من اللبنانيين الذين في عنفوان العمر كل عام - تلك المهاجرة التي خفضت عدد سكان لبنان الى ثلاثة اخطاس ما كان يجب ان يكون في احوال عادية - هو القانون الاساسي الذي وضع سنة ١٨٦١ وسنة ١٨٦٤ فان اشد ضرر جلبه على لبنان الذي انما وضع لاجل نفعه هو حصره ذلك الجبل في حدوده الحالية لانه لو كان وضع هذا التحديد على قاعدة العدل والحق والسياسة البصيرة فضمت الى لبنان الاراضي والثغور البحرية التي هي ملكه من اوجه كثيرة لكان القسم الاكبر من تيار هذه المهاجرة قد تحوّل الى اراض خصبة هي الان مهملّة والى مدن طامرة كان في وسع اللبنانيين ان يطلقوا العنان لنشاطهم فيها بل ما كنا رأينا ذلك المشهد المؤلم ، مشهد اناس في ضنك شديد من العيش يرمون من اعالي صخورهم نظرات اليأس الى ما عند سفح جبلهم من السهول الواسعة الخصبة التي يقصيم عنها اختلال الامن واستبداد الحكام العثمانيين ومرض الارتشاء المنتشر فيها .



وسبب اقتصادي اخر لهذه الهجرة هو امتلاك اصحاب الاقطاعات الاراضي الزراعية في الجبل فقد كان الفلاح اللبناني احيانا خصوصا في القرن الماضي وفي مستهل هذا القرن . عرضة لظلم صاحب الارض من اصحاب الاقطاعات يستتبع هذا اتعابه ويصدّه من التقدم في المجتمع فكان هنالك التفاوت من الوجة الاقتصادية وعدم المساواة من الوجة الاجتماعية<sup>(١)</sup> .

هذا هو الدافع الاقتصادي للهجرة . وهنالك دافع سياسي وهو ضغط حكومة الاسنانة على رعاياهم ولا سيما على غير المسلمين منهم . والسبب في ذلك انها لضعفها وتهالكها اونة ذاك كانت تخشى من كل حركة تحررية تدير بوادرها بين الشعب وتحاول خنقها في المهد . لذلك كانت تأخذ بالشبهة . وتجرم المجرم لضعف الشكوك . ما جعلهم يحاولون ان يزرحوا عن كواهلهم عبا هذا الضغط بالمهاجرة اما الى مصر . حيث مجال العمل اوسع واكثر اظهارا للكفالات . او الى اوروبا او الى اميركا حيث يتشوقون عير الحرية المنعسر .

هذان هما السببان الرئيسيان للمهاجرة . ويلحق بهما اسباب اخرى مساعدة منها " نجاح بعض المهاجرين الذين سبقوا واخبار ثروتهم<sup>(٢)</sup> " ومساعدة السابقين من المهاجرين للاحقين من ابناء وطنهم . " وما انطوى عليه اللبناني من الميل الفطري للرحلة والهجرة وحب الكسب وتحسين حياته<sup>(٣)</sup> " وسواها من الاسباب التي كان لها اثر كبير في بناء هذا الجزء الجديد من العالم العربي .

وبهذا نرى جالية سورية تنشأ في اميركا في العقد الثامن من القرن الماضي . وهذه الجالية تأخذ في النمو والانتاع حتى يصبح عددها الان ( ١٩٤٨ ) حوالي نصف المليون في الشمال والجنوب<sup>(٤)</sup> .

والذي يهمنا من هذه العجالة هو الوجه الفكري من هذه الحركة . وهو وجه مشرق ناصع . فقد كتب للكثيرين من هؤلاء المهاجرين ان يبرزوا في الادب بمعناه

(١) "لبنان بعد الحرب" تأليف ادغنت أديب بامنا وتصريب السنج فؤاد هبيش ص ١٠٤ (٢) المهاجرة اللبنانية طيشال بشبي ص ١١ (٣) نفس المصدر ص ١٣ (٤) اخذنا ذلك الدكتور نبيهه امين فارس

الخامس والعام . كما برزوا في نواحي الحياة العملية . ومن علماء الادب او المتأديين ينكر المساهمة القيّمة ، التي شارك بها المهجريون في نهضتنا الادبية الحديثة . ومن منا ينكر جهود الرابطة القلمية التي كان من اعضائها نخبة من ادبائنا المحدثين كجبران ونعيمة وابي ماضي وعريضة وايوب ووليم كاتسفلين وعبد المسيح حداد وندرة حداد وسواهم<sup>(١)</sup> والعصبة الاندلسية<sup>(٢)</sup> التي كان من اعضائها ميشيل معلوف ورشيد خوري والياس فرحات وعقل الجر وشفيق المعلوف وسواهم ولا تزال هذه قائمة حتى اليوم . وهذا لا يعني ان النشاط الادبي في المهاجر انحصر في هاتين الجمعيتين . بل هناك ادباى كثير لم ينتظموا في سلكتهما .

" وقد ظهرت الصحف العربية جنبا الى جنب مع ظهور اول جالية سورية استقرت في شارع وشنطن . وصدرت اول صحيفة عربية في الولايات المتحدة عام ١٨٨٨ باسم "كوكب اميركا" وكان يملكها اثنان من اولاد يوسف عرييلي واول من حررها هو نجيب دياب الذي اسر فيما بعد "مرآة الغرب"<sup>(٣)</sup>

وقد بلغت جرائدهم في الولايات المتحدة تسعا وسبعين جريدة ومجلة وفي كندا ستا وفي المكسيك سبع عشرة وفي البرازيل خسا وتسعين وفي كوبا ثلاثا وفي الأرجنتين ثمانى وخمسين وفي تشيلي ثمانى وفي اورغواى واحدة . هذا كما ورد في تاريخ الصحافة للكونت فيليب طرازى الا ان هنالك عددا كبيرا منها لم يذكر اسمه واكثره ما صدر بعد نشر الكتاب المشار اليه<sup>(٤)</sup> .

ولسنا في معرض التفصيل في امر هذه الحركة . ولا سيما وهي تخرج عن دائرة القرن الذى نتحدث عنه . الا اننا نود ان نجمل رأينا فيها بان نقول : ان هذه المدرسة . التي اتسمت بعزم القوة والتجديد والثورة على كل قديم بال هي اقوى مدرسة في الادب العربي الحديث . وقد ضربت بسهم حائب في حقل الادب . واستطاعت ان تقدم الى ادبنا بعضا من ارواح ما فيه من القصص واجمل ما فيه من شعر مجنح الخيال جديد الاسلوب .

(١) د (٢) راجع الناظمون بالضاد في امريكا ص ٤٠ والطروسة الاستاذ وديح ديب عنه الشعر العربي في المهجر  
الاميركية ص ١١٢ (٣) الناظمون بالضاد ص ٢٢ (٤) اخذنا هذه المطومات عنه الطروسة الاستاذ  
و ديب ص ١٢٤

وتأثير هذه المدرسة القوية قطع المحيط الى مصر وسوريا فوجدنا اثارها  
في كتابات بعض ادباء مصر كفي زيادة . وفي اثار كثير من ادباء سورية . الا ان  
الحرب العظمى الاولى اضعفت اثرها فترة من الزمن ليعود قويا على اقلام بعض  
ادباء مصر وسوريا والعراق وتونس والحجاز اليوم . ولينتابه بعض الضعف اثناء  
هذه الحرب . وقد بدأ الضعف يدب في عناصر هذه المدرسة في المهاجر . اذ ان  
الامداد الاصيل الذي كان يروى عطشها من الوطن . يكاد ينقطع سبله الان . وكل  
اديب يموت هناك يدق مسطارا جديدا في نعر هذه المدرسة .

---

هذه لمحات سريعة عن الحالة الفكرية في القرن التاسع عشر . حاولنا فيها  
ان نخط بسرعة وايجاز . بعض الخطوط البارزة التي مهدت لتصوير هذه النهضة  
الادبية العتيدة . التي تكاد تستم جميع ملامح الخلود والكمال .

## الفصل الثاني

### حياته

وهو دراسة تحليلية علمية لحياته في أطوارها

المختلفة

## لبنان في مطلع القرن التاسع عشر:

ولد الشدياق في لبنان في مطلع القرن التاسع عشر، وقضى طفولته وصباه وطرفا من شبابه فيه، وقد كان ذلك في عهد امير "كان كبيرا باعماله العامة في السياسة والادارة والقضاء والتنظيم وكبيرا باخلاقه الخاصة ومميزاته الشخصية"<sup>(١)</sup> وهذا الامير الذي كان رمز النهضة اللبنانية في القرن التاسع عشر ورجل لبنان الحديث هو الامير بشير قاسم الشهابي، والذي لقب بالكبير لانه كان كبيرا كحاكم وكبيرا كفرد، والذي حكم لبنان فترة طويلة<sup>(٢)</sup> كانت من ازهى فترات تاريخه الحديث، بل لا نكون مغالين اذا قلنا انها ازهاها.

ولد هذا الكبير في غزير بكسروان طم ١٧٦٨ "ولم تضر ثلاثة شهور على ولادته حتى توفي والده بعد ان اقام منصور الشدياق"<sup>(٣)</sup> وصيا عليه وعلى اخيه الامير حسن ووكيلا لارزاقهما"<sup>(٤)</sup> فنشأ يتيما بين رحما، وكانت نفسه كما اراد لها ان تكون، مرآة من طموحه وآماله تنعكس فيها روح العصر وصور المحيط، "فليس هو بالمدلل الذي يقتل فيه التدليل ملكة الجذ والارادة والاستقلال، وليس هو بالمهجور المنبون الذي تقتل فيه القسوة روح الامل وعزة النفس وسليقة الطموح وفضيلة العطف على الاخرين"<sup>(٥)</sup>، وكان عظيم الهيبة يرهبه كل من نظر اليه، عزيز النفس دمت الاخلاق كبير العقل واسع الحيلة متعدد المواهب، مخلصا للرعية يسهر على راحتها ويسعى لاسعادها، وكان شجاعا مقداما وفي حروبه شاهد عدل على ذلك، فكثيرا ما كان يصمد امام العدو منفردا حين ينهزم جيشه، وما اكثر ما كان يحالفه النصر.

كان كبيرا في كل شي، وكاد يكون عظيما في كل شي، لولا بعض عيوب تصغره في عين التاريخ، من قسوة وغدر واستبداد واستئثار وخضوع لرجال الروح ينفذ احكامهم ويحقق رغباتهم، ولكن عصره هو المسؤول عن اكثر ذلك، ان كان يسهل له ويضطر ابناؤه الكبار لان يلقبهم والالتهمهم<sup>(٦)</sup>

(١) تاريخ الامير بشير ص ٩ (٢) ص سنة ١٧٩٠ - ١٨٤٠ (٣) هذا عهد فارس وقد عاش منه سنة ١٧٤٧ - ١٧٩٢

(٤) تاريخ الامير بشير ص ٩ (٥) عبقرية محمد للفقاد ص ٤٧ (٦) راجع تاريخ حروبه في القسم الثالث من هذا كتاب الادعيان

(٧) تاريخ الامير بشير ص ٩

وكان امير السياسة في ذلك العصر، محنكا داهية، اذ استطاع بثاقب رأيه  
وبعرونته المتناهية ان يجنب لبنان، اخطارا كثيرة في الداخل والخارج، كان  
مصدرها تنافر الاقطاعيين والعائلات والطوائف في الداخل، وجشع "الرجل  
العريض" وشروعاته وتدخل الدول الاجنبية في الخارج، فلما انتب الامر في يده  
قضى على الرؤوس الناتئة في الداخل، حتى يمهّد الطريق امام مشاريعه الاصلاحية  
التي كان يؤمن بها ايمانا عظيما، ويعتقد ان لا سعادة لهذه البلاد الا اذا تمت  
فيها هذه المشاريع التي كان يرمي من ورائها الى تقوية الجهاز الداخلي ووضع  
جسم الامة في حالة من العافية والقوة تمكنه من الصمود امام النزاع التي كانت  
تنقل اليه الاوبئة من "الرجل العريض". فنصب ميزان العدل حين كانت موازين  
الظلم تقبله، فالتقف ميزانه الموازين ووطد اطناب الامن حين كانت عواصف الفوضى  
والتشعث تتلاعب بخيامه، وضبط الضرائب بعد ان كانت سلعة تطرح للمزاد كما  
كان لبنان بين يدي ولاية عكا، وحقق المساواة بين الناس لا فرق بين مقذهب  
ومتذهب الا بالطاعة والاخلاص، واوجد لهم مجالس الشورى تحقق مبادئ المساواة  
والعدالة بينهم وتنظم علاقات الحاكم بالمحكوم، واهتم بصحة افراد الشعب الذي  
كان يعدده لمهابة المستقبل الوضاح الذي كان يهيئه له، كل هذه، واصلاحات  
غيرها، يسرت العيش وانهشت المرافق ونشطت التجارة والصناعة، وطاب الادب  
بجانب كل ذلك كريمه الوجه عزيز الجانب، وتتابعت وفود التبشير تحمل كتاب  
الله في يد ومشمعل الثقافة والهدى في الاخرى، فاصبحت البلاد غير البلاد  
وازينت الارض وخلعت الحياة اسمائها لتأثر بحلى الرفاهية والعافية والمنفعة،  
وما عم ان اصبح للبنان جيسر قوى عزيز تتسابق حكومات الامم المتطاحنة انذاك،  
في ذلك الصعيد القلق، الى خطب وده، والتقرب الى ظله.

انه طاب في عصر قوى، يبتلع كل قوى وتحترق في اتونه اصغر الشخصيات  
واصلحها للحكم والرئاسة، الا انه كان عظيما يلبس لكل حالة لبؤسها ويرتوى  
من كل ما، ويركب في سبيل المجد كل مركب؟

---

هذه الأفكار مأخوذة من تاريخ الأمير بشير ص - ص ٢٩، ٣٠.

وفي اخبار سياسته كل الصيد ، وفي حنكته ومداراته وقوته اعظم دليل على انه كان رجل العصر الذي تصغر امامه الرجال ، وتتكسر على صخرة قدرته امال الطامعين . وتتحل بين اصابعه اعقد العقد وتتداوب امام همته اصعب العقبات .

في هذا الظل الظليل وفي هذا العصر المتفتح كتب للشدياق ان يولد في بيت من الشعبة الوسطى ، وتحدر عن اسرة كريمة عريقة هي اسرة الشروقي التي انجبت نقرا كريما من اقطاب الطائفة المارونية ورجال لبنان البارزين .  
 "بيت الشدياق فرع من اسرة كبيرة متشعبة تزيد فروعا على نحو ستين فرعا متفرقة في انحاء شتى من لبنان وسورية والعراق ومصر وسواها . وتنسب الى جدها الجامع الشدياق شاهين الشروقي الذي نشأ في حصرون بجبة بشرى احدى مقاطعات لبنان الشمالية في اوائل القرن الخامس عشر . وكل من هذه الفروع او البيوت ينتسب اما الى الجد المتحدر منه واما الى حصرون موطن الجد الاصلي الجامع ."<sup>(١)</sup>

" والشدياق شاهين هو ابن سليمان بن داود بن الخوري يعقوب . . . بن يوحنا بن ابراهيم ابن يعقوب بن يوحنا بن الياس بن يوحنا بن سمعان بن يوحنا بن الياس الذي يمت بصلة النسب الى الامير يوحنا من امراء المردة وهو امير الموارنة الذي قتل في قب الياس بمكيدة من بوستيانيس الثاني الاخرم ملك الروم ."

وقد تحدرت عن الشدياق شاهين هذا بيوت ثلاثة ترجع الى اولاده الثلاثة وهم رعد ومخايل وشمعون<sup>(٢)</sup>

" ١ - رعد : اما رعد فمن صلبه اعقاب المقدم خاصر الحصري وياخوته عواد وشمعون ومطر وهم جدود بيت داود وبيت ثابت وبيت سعد وبيت بركات وبيت عواد وفروعه وبيت السمحاني وفروعه وبيت مطر وبيت فرحات وهو فرع منه . وهناك بيوت اخرى تحدرت من حلب رعد نظير بيت سعادة وبيت شمعون وبيت فهد وهو عدة فروع اهمها فرع الشدياق<sup>(٣)</sup> في حدث بيروت . . .

(١) فارس الشدياق \* ليونس مسد ص ٦ (٢) نفس المصدر ص ٧ (٣) راجع اختيار بني شدياق منقده في امبار - البيان ص ١٨٧ - ٢٠٠ (٤) الشدياق لقب من القاب الشرف التي كان يلقب بها كبار القوم من ابناء البدر وكان يطلقه اولا على السماء ثم توسعوا في دلوله فصاروا يطلقونه على المتعلمين وهم في الغالب من اصل طبقة انخيه او بعبارة اصح من سادة البدار وعظاما<sup>(٥)</sup> (مسد ص ٨)

٢ - مخايل : ومن صلب مخايل بيت العفريت وهو عدة فروع معظمها في حصرون وسواها من قرى جبة بشرى .

٣ - شمعون : ومن صلبه بيت الحوراني وهو عدة بيوت .

وقد نبع من هذه البيوت عشرات من رجال العلم والادب والسياسة بينهم علماء اعلام يحتلون المقام الاول بين علماء الشرق ومصلحيه ويعدون من اعظم مفاخره نظير المونسنيور يوسف السمعاني العلامة الشهير مؤسس القسم الشرقي في مكتبة الفاتيكان والبطريرك يعقوب عواد وابن اخيه البطريرك سمعان عواد والمطران اسطفان عواد السمعاني ابن اخت المونسنيور السمعاني ويوسف لويس السمعاني والمطران مخايل سعادة والمطران يوحنا الحوشي والعالم الشهير المطران جرمانوس فرحات الذي احتفل بنصب تمثال له في حلب في شهر ايار سنة ١٩٣٤ وفارس الشدياق الذي كان اكتب اهل زمانه وشقيقه طنوس الشدياق المؤرخ الشهير والكاتب اللغوي الكبير المدير يوسف الشدياق والبطريرك بولس مسعد العلامة والمؤرخ الشهير والبطريرك يوحنا الحاج القانوني الكبير والمطران بولس عواد العالم المدقق والعالم اللغوي الشهير الاب انستاس ماريني الكرمليني (من بيت عواد) والاسنان الكبير النابغة داود يركات رئيس تحرير الاهرام سابقا والاباء العلماء الافاضل الخوري بريدو يوسف فاضل السمعاني وابن شقيقه المونسنيور لويس السمعاني والمونسنيور بولس عبده السمعاني والمونسنيور انطون عبود من العفارة وغير هؤلاء من الرجال الذين نشأوا من هذه البيوت وكان لهم شأنهم ومقامهم بين رجال لبنان وسورية وهم يعدون بالعشرات بل بالمئات (٧)

بيت الشدياق :

الى هذا الرعييل الموهوب والى هذه الكثرة من رجال العلم والادب والسياسة ينتسب الفارياق . اما جده فلقد منصور (١٧٢٣ - ١٧٩٣) الذي صرف شطرا كبيرا من حياته في خدمة الامراء والوصاية عليهم . ونخص منهم بالذكر الامير

(١) بولس مسعد ص ٧ - ٨



قام صر ثم ولديه الأمير بشير الكبير وإخاه الأمير حسن ثم الأمير حيدر الحرفوش  
من أفراد بعلبك وسواهم .

أما أبوه فهو يوسف ( ١٧٦٢ - ١٨٢١ ) " وكان حنطي اللون نحيفا قليلا  
كبير الأنف معتدل القامة عاقلا شجاعا لا يهاب أخطار الحرب حاد المزاج دينا  
مستقيما كريما كثير المطالعة <sup>(١)</sup> . " درس الانشاء والادب والرياضيات على والده  
الشدياق منصور الشهير <sup>(٢)</sup>

وقد عمل يوسف وبعض اولاده عند الأمير سليمان سيد احمد شهاب حين  
تولى الحكم عام ١٧٦٠ . وفي عام ١٧٩١ رد عسكر الجزائر والأمير بشير عن الأمير  
حيدر حين حاصروا بيته في بعبدا . وفي عام ١٧٩٨ عين وصيا ومدبرا لولدى  
الأمير يوسف شهاب . " وفي سنة ١٨٠٢ لما توفي الأمير سيد احمد بقي يوسف عند  
الأمراء اولاده مدبرا لهم <sup>(٣)</sup> وفي عام ١٨٠٤ استدعاه اولاد الأمير يوسف الى جبيل  
وكلفوه بالقيام ببعض المهام الادارية لهم . وفي عام ١٨٠٥ استدعاه الأمير حسن صر  
الشهابي الى خدمته وامره ان يتوطن كسروان فذهب اليها وسكن في عشقوت .  
وكان الأمير حسن هذا يحبه ويشق به ويعهد اليه بتدبير المهم من اموره ويستشير  
في كل ما يحز به من الامور . ولما مات الأمير حسن عام ١٨٠٨ انتقل يوسف الى  
خدمة الأمير بشير الكبير بطلب منه . ولكنه عاد الى حدث بيروت عام ١٨٠٩ .

وفي عام ١٨٢١ استدعاه الاميران حسن علي وسلمان سيد احمد ليكون مدبرا  
لهما حين آلت ولاية البلاد اليهما . وجعل بعض اولاده واولاد اخيه فارس كتبة  
عندهما . ولما هاجم الزعيم الدرزي الشيخ حمود النكدى الاميرين في الحدث هب  
آل الشدياق لنصرتهمما وابلوا في ذلك بلا حسنا . وفر الاميران من وجه الأمير  
بشير واستصحبوا معها يوسف ومعه اولاده طنوس ومنصور وغالب وابن اخيه  
انطون الى قرية تل حنين من قرى دمشق . حيث توفي يوسف بالاستسقا وعمره  
ثمانية وخمسون عاما .

<sup>(١)</sup> اخبار الأعيان ص ١٩٧ (٢) فارس الشدياق ص ١٠ (٣) اخبار الأعيان ص ١٩٤

هذا ابوه قدمناه اليك مثقفا كما يفهم العصر الثقافة . واداريا يتقلب في مناصب الادارة ويخدم عند الامراء والحكام . وكثيرا ما كان يستصحب ابناءه معه فيشبهون مثله يعرفون الادب ويستنعمون الى عيونه في قصور الاحكام . ويتصرفون الى الادارة واسياسة في بلاطات الامراء ودواوين الحكام .

اما امه فهي بنت الشيخ يوسف زيادة مسعد . همة البطريك بولس مسعد . تزوجت اولاً عباس ابا حيدر الشدياق . من بيت اخره وترملت عنه فتزوجها يوسف . وقد انجبت خمسة اولاد هم طنوس ومنصور واسعد وغالب وفارس<sup>(٧)</sup>

طنوس ( ١٢١١ - ١٨٦١ )

كان طنوس يعد في الطليعة من ادباء البيثة ومفكرتهم . وقد كان ملماً بمعظم علوم عصره . من اللغة وادابها والفقه وفروعه . وقد ذاعت شهرة علمه وعقله حتى اصبح ثقة الناس في امور الدنيا والدين . وقد اشتغل في السلك السياسي كما فعل ابوه . وكان مستشاراً عند الاميرين الشهابيين حسن وعلي وسليمان سيد احمد . وكانا يعهدان اليه ببعض المهام السياسية فقد ارسله مرة الى والي عكا عبد الله باشا ليلتصر منه اطلاق المشايخ المحجوزين عنده<sup>(٨)</sup> وقد نجح في هذه المهمة نجاحاً حاز اعجاب الاميرين . وقد اعتزل طنوس السياسة وقضى الشطر الاخير من حياته في المطالعة والدرس ونسخ الكتب واخرج لنا تاريخه " اخبار الاعيان في جبل لبنان<sup>(٩)</sup> ويقع في ثلاثة اقسام الاول في جغرافية لبنان والثاني نسبة اعيان النصارى الموارنة واعيان الدروز واعيان المسلمين والمتاولة من امراء ومشايخ والقسم الثالث اخبار ولاية لبنان وفيه يؤرخ للمردة وللتنوخيين والقيسيين والمعنيين وبني سيفا الاكراد والشهابيين والارسلانيين واللمعيين . وقد ابتدأ فيه من سنة ٦٠٠ وانتهى الى سنة ١٨٥٥م ورجع فيه الى خمسة عشر مؤرخاً<sup>(١٠)</sup> وكتابه هذا يعد من المراجع الاولى لتاريخ لبنان . وقد رجعنا اليه لتحقيق بعض الاخبار ولتفهم روح العصر .  
وعنه يقول بولس مسعد :

٧ فارس الشدياق ص ٩ (٨) تاريخ الأعيان ج ١ ص ١٩٦ (٩) راجع تقدمه بقلم فارس في مكتوف عدد ١٧ ص ٢ (١٠) طبع الكتاب في بيروت سنة ١٨٥٩ بناية المعلم بطرس البستاني .

"وله فضل عظيم في انشائه لانه جمع مواد من حيث لا مضوع ولا مطبوع ولا مصدر ثقة يرجع اليه ولا مواصلات سهلة يستعين بها على احتياز شتاته . وعرف اهل الفضل والادب له فضله فقدروا تاريخه واكبروا جهاده دونه وعدوه بحق ابا المؤرخين العالميين في لبنان<sup>(١)</sup> . ولم ينحصر فضل طنوس في السياسة والتأليف بل كان يجيد الخط ايضا وقد مكته ذلك من نسخ عدة كتب في الطب والهندسة وعلم الفلك والصرف والنحو وغير ذلك مما ادى به خدمة كبيرة للمكتبة العربية انذاك .

منصور ( ١٧٩١ - ١٨٤١ )

هو ثاني ابناء يوسف الشدياق وكان كاكثر الشدايقة ادبيا وسياسيا . تلقى علومه في عين ورقه حيث اتقن القلم السرياني ونسخ به عدة كتب . وقد عمل في ديوان الامير سلمان سيد احمد شهاب . وكان يخصص هذا بالكثير من رعايته لما كان يتحلى به من الاخلاق الرضية والصفات المحبوبة التي اهلته لارفع المناصب . وقد كان متدينا ادبيا فصحا . ولذا احبه الناس واغزوا جانبه<sup>(٢)</sup>

اسعد ( ١٧٩٨ - ١٨٣٠ )

وسنقف على تاريخ حياته وقفة طويلة لانه بالنسبة الى فارس كان ينبوعا من ينابيع العبقرية ، وسببا من اسباب بناء العمارة الفارياقية . وبالنسبة الى روح العصر كان شهيد الاضطهاد الديني والاقطاعية الدينية . حين كانت الكنيسة ، كما يقولون ، حكومة في داخل حكومة ، وحين كان البطريرك له يده الباطشة القوية يسيطر بها على الحاكم ويتصرف بالرعية كما يطب له . ويوجه سياسة البلاد كما يشاء .

اسعد الشدياق هو الشهيد السوري الاول شهيد حرية الرأي وحرية التذهب وهو "باكورة سورية" . وهو ثالث ابناء يوسف الشدياق . ولد في حدث بيروت في ٢١ ايار سنة ١٧٩٨ وتعلم علوم العصر الابتدائية في مدرسة القرية وكان اخوه طنوس يعلمه السريانية والعربية وادابهما . وفي ١٥ حزيران سنة ١٨١٢ دخل

(١) فارس الشدياق ص ١١ (٢) فارس الشدياق ص ١٢

مدرسة حين ورقه كلية العصر، حيث درس اللغات والمنطق والفلسفة والطبيعيات ف  
والخطابة واللاهوت وعلم الذمة . ثم انتقل الى الحدث يعلم الاولاد مبادئ القراءة .  
وفي سنة ١٨١٨ انتقل الى دير القديس انطونيوس بعهدا حيث عهد اليه بتدريس  
السريانية واللاهوت وعلم الذمة للرهبان الانطونيين . فاختصر والف بعض الكتب  
الدينية لهذه الغاية . ثم عمل كاتباً في ديوان البطريركية ثم في ديوان اسقفية بيروت  
عند المطران بطرس كرم حيث قضى سنتين . وكان المطران يحبه كثيراً لحسن  
انشائه وبراعته في حل المشاكل<sup>(٤)</sup> وقد نظم في تلك الاثناء ابياتا كثيرة . واكثر من شعر  
المناسبات . جمعها في ديوان لا يزال مخطوطاً<sup>(٥)</sup>

وفي سنة ١٨٢١ التحق بخدمة الامير حسن العلي الشهابي الوالي . ولما  
اغار الشيخ حمود النكدى على الحارة ودهم الامير حسن العلي المذكور . اختبأ اسعد  
خوفاً ثم فر هارباً الى قنويين يحتفي عند البطريرك يوحنا الحلو واقام عنده مدة .  
ثم طردوا البطريرك المذكور من عنده وذلك اجابة لطلب الامير بشير الشهابي الذي  
كان يتهم اسعد بانه من حزب اعدائه . فتوجه اسعد الى مدينة طرابلس نزيلاً على  
الشيخ محمود الدسوقي وكان اماماً للامير سلمان الشهابي عند ولايته<sup>(٦)</sup> .

ثم تقلب في عدة مناصب دينية ودنيوية الى ان جاءت سنة ١٨٢٥ حين سار  
اسعد الى دير القمر واخذ يعلم المبشر الاميركي لويس كنج *L. King* اللغة  
السريانية ولقت نظره ما هو عليه من الفطنة والذكاء فقال فيه " انه على حدائته من  
افهم شبان جبل لبنان<sup>(٧)</sup> . وما مكث عنده مدة ثلاثة اشهر يعلمه . وكثيراً ما كان  
يتجادلان في مسائل الدين والمذاهب<sup>(٨)</sup> وكان اسعد في مجادلاته صريحاً صبوراً على  
الاستماع لاقوال مجادله . شأن من يبحث عن الحقيقة ويتحدى الطريق القويم .

وعند سفر كنج الى اميركا رجع اسعد الى الحدث . ولم يطل مكثه فيها بل  
سرطان ما توجه الى بيروت واخذ يعلم المبشر الاميركي اسحق بورد اللغة العربية .  
وقد تأثر اسعد كثيراً بمنطق المبشرين الاميركيين . فآظهر ميله الى مذهبهم ولم يعتم  
ان يبلغ امره سامع البطريرك يوسف حبيش<sup>(٩)</sup> فشق عليه الامر ولا سيما ان اسعد من

(٧) هذه الأخبار مأخوذة عن " قصة اسعد الشهابي " ص ٤ وما بعدها . والأقتباس مأخوذ عن ص ٩

(٨) قصة اسعد الشهابي ص ٨ (٩) نفس المصدر ص ١١ (٤) فارس الشدياق ص ١٤ (٥)

(٦) مدونة ١٧٨٧ - ١٨٤٥ Bible Work in Bible Land - I Vol p.p. 18

تلاميذ مدرسة عين ورقة البطيريركية الاكليركية . وخروجه على الدين في مثل ظروفه  
هذه يعد في نظر البطيريرك ورجال الدين جرما عظيما ولا سيما ان لبني الشدياق  
فضلا على هذه المدرسة الطائفية . يرجع الى عهد عيدها بطرس الشدياق الذي  
وقف عليها بقاطا واسمة من جيل موسى الذي كان يمتلكه<sup>(١)</sup> .

وربما كان هنالك سبب اخر لتجريم اسعد . وهو انه قد يكون انتقاما مائليا .  
فقد تقلب الشدايق في مناصب الحكم والياسة وكان منهم اصحاب نقوز وكلمة مسموعة  
عند مخدومهم . وربما كان بعضهم قد اساء الى احد الجيشين بطريقة ما<sup>(٢)</sup> .

استدعى البطيريرك اليه اسعد ليرده الى الحظيرة . ولكن اسعد اظهر الجراءة  
والتردد . فتركه البطيريرك مدة لعله يشوب الى نفسه فيرجع عن زيغته . " وبعد ان  
قضى اياما في الرياضة الروحية استدعاه ثانية وثالثة وكان اسعد صلب العود لا  
تلين له قناة فظل مصرا على رأيه<sup>(٣)</sup> فما كان من البطيريرك الا ان سجنه في غرفة  
مظلمة في دير سيدة قنوبين وهو المقام البطيريركي وفتنذ . وقضى مدة في العزلة  
الموحشة . وكان يتردد عليه رجال البطيريركية محاولين رده عن غيه . ولكنه كان  
ثابت الجفان متمسكا بعقيدته الجديدة . وقد قضى مدة في سجنه حتى اعتلت صحته وبلغ  
به الاهتلال مبلغا عظيما . فاضطر اقرباؤه الى ان يتوسلوا الى البطيريرك ليسمح له  
بالخروج . فسمح له على ان يعود في موعد ضربه له . فغادر الدير الى عشقوت .  
وعندما حان وقت العودة . اخفاء اقاربه في (بقعاتنا) . فنقم عليهم البطيريرك . وامر  
حاكم البلاد ان يسترده منهم ويعاقبهم على ذلك . فاجابه الى رغبته واعاد اسعد الى  
سجنه في دير قنوبين . وظل فيه الى ان بلغت الوفاة عام ١١٣٠ .

" واختلف الرواة في محل وفاة اسعد . فمنهم من قال انه توفي داخل  
السجن ومنهم من قال انه توفي خارج السجن . ولكنهم اتفقوا على انه توفي في  
الدير من دون ان يؤذن له بالخروج منه البتة . وكذلك الاختلاف واقع من جهة  
السبب القريب لموته . والاكترون على انه توفي بداء الاستنقاء . وذلك لا يبعد عن

(١) فارس الشدياق ص ١٧ (٢) هذا رأي وضمناه مخمليه روادنا وقع على وثائقه ثبتته (٣) فارس  
الشدياق ص ١٧

التصديق لان الاوساخ والقذار والهوام التي تراكمت عليه في ذلك السجن الضيق المظلم ورداة الهواء وخبائة الطعام مع اسباب اخر من شأنها ان يتولد منها الداء المذكور<sup>(١)</sup> واليك وصف بعض انواع التعذيب التي كان يلقاها اسعد " وعند هوله امر البطرك بضربه حارما كل من لا يضربه . فضربوه ضربا ليما وكسروا عليه عدة عصي خضراء ولم يزل قوم من الذين ضربوه احياء الى الان<sup>(٢)</sup> وهؤلاء يشهدون بانه كان يحتمل كل ذلك بالصبر ولم يتكلم بكلمة ردية بل كان يقول يا رب لا تقم عليهم هذه الخطيئة . ثم وضعه في سجن وسخ مظلم وقيدته بالسلاسل وغير اسمه من اسعد الى راب اشبول ومعناه رئيس جهنم . ولم يزل البعض يسمونه كذلك الى الان ترهيبا لغيره . وكان كل يوم على ثمانية اعوام . بضربه ضربا شديدا على رجليه حتى يغمى عليه ويقارب الموت . وكانت فرشته رقيقة وغطاؤه ثيابه وطعامه ستة ارغفة رقيقة وقيل رغيضان من خبز الدير مع قليل من الماء . ثم سدوا باب سجنه بالحجارة والجبر وابقوا له نافذة صغيرة يتناول منها الطعام وربطوه من عنقه بحبل اخرجوا طرفه من تلك النافذة وربطوه خارجا فكان كثيرون يمسكون ذلك الحبل من الخارج ويجذبونه به لاجل تعذيبه ويقولون له لماذا لا ترجع عن غيئك وضلالك يا معاند يا هرطوتي . قيل وان كان اسعد ذات يوم راكعا يصلي اتى رجل من خارج وجذب ذلك الحبل جذبا عنيفا فانطرح اسعد مغشيا عليه .<sup>(٣)</sup>

هذه هي صفة اسعد واوزانها ايجازا شديدا . وقد كان لها اثر كبير في الجو الروحي والاجتماعي في العصر كما انها اثرت على اهله وخصوصا على اخيه فارس . وسنين ذلك في مكانه .

(١) قصة اسعد الشياخ ص ١٠٠ (٢) الى وقت طبع قصة حوالى منتصف القرن الماضي (٣) قصة اسعد الشياخ ص ١٠١

في لبنان :

في ذلك العصر الذي قدمناه وهذا الكتاب، وفي تلك البيئة المضطربة في السياسة والاجتماع وفي بيت لبناني عريق "طلع ذووه السياسة في الدنيا والدين فعركتهم عرك الرحي بثقالها"<sup>(١)</sup> ولد جبار ادباء الحرب وهو يحدثنا عن ابويه باسلوبه التهكمي اللطيف فيقول :

"وكان والداه من ذوى الوجاهة والنباهة والصلاح (مرحى مرحى) الا ان دينهما كان اوسع من دنياهما وصيتهما اكبر من كيسهما (برحى برحى) وكان لطبل ذكرهما دوى يسمع من بعيد، ولزواجح شأنهما عجاج ثناء يثور في الجبال والبيد ولتكرير العفاة عليهما واعضاء الوفود لديهما تعطلت سبل دخلهما ونزحت بثر فضلها فلم يبق فيها الا تزازات يلقى فيها المخفق المحروم سدادا من عوز<sup>(٢)</sup>

ولا نعرف سنة ولادته على وجه التحقيق، فبعض الروايات تذهب الى انه

ولد عام ١٨٠٤<sup>(٣)</sup> في عشقوت، وفي هذه الرواية تناقض ظاهر، ان والده لم ينتقل الى عشقوت الا سنة ١٨٠٥ حين استدعاه الامير حسن عمر النهابي لخدمته وامره ان يتوطن في كسروان، وهذا ما ذكره ابنه الشيخ طنوس في كتابه "اخبار الاعيان"<sup>(٤)</sup> ونحن لا نستطيع التوفيق بين الروايتين الا اذا فرضنا ان يوسف والده كان قد زار عشقوت سنة ١٨٠٤، واصطحب عائلته لقضاء حاجة خاصة او للاصطياف، وفيها ولد فارس. الا ان المصادر وبينها "تاريخ الاعيان" الذي حاول مؤلفه طنوس ان يذكر اخبار الشدايقة بالتفصيل، ولا تشير الى شيء من هذا. قد نقنع بهذا الفرض البعيد الاحتمال لولا ان بعض المصادر تشير الى انه ولد في الحدث عام ١٨٠٤<sup>(٥)</sup> وهذا مما يوقعنا في حيرة من امر تحقيق ولادته. ويضطرنا الى ان نعتمد على احد فرضين. فاما ان نعتبر تاريخ ولادته عام ١٨٠٤ فيكون قد ولد في الحدث ووطن ابيه او في عشقوت حسب فرضنا السابق، وهذا ما نستبعد حدوثه.

(١) مدققالة لماون عبود في المثلثون عدد ١٧، ص ٢ (٥)، لسور على ب. ج. ١ ص ١٤ (٦)، هذه هي رواية تراجم مشاهير ليرة ج. ٢، ص ٧٤، وتاريخ الصحافة لعرية ج. ١ ص ٩٦ و المثلثون عدد ١٧، والجامع للمفوض ص ٥٢٢. (٦) ص ١٩٤ (٥) منها آتفاء القوع ص ٤٠٦ والاعدمم للزركلي ج. ١ ص ٥٨

او ان نعتبر ولادته تمت في عشقوت . متابعين في ذلك اكثر المصادر . فتكون ولادته عام ١٨٠٥<sup>(٧)</sup> والاسنان بولس مسعد في كتبه عنه يميل الى هذا الرأي<sup>(٨)</sup> وكذلك الاسنان يوسف يزبك<sup>(٩)</sup> . والفاريق يحدثنا عن هذه الولادة في الساق فيقول :  
 " كان مولد الفاريق في طالع نحس النحوس والعقرب شائلة بذنبها الى الجدى او التيس والسرطان مائس على قرن الثور<sup>(١٠)</sup> "

ولم تطل اقامة ابيه في عشقوت فقد طاد باسرتة الى الحدث عام ١٨٠٩<sup>(٥)</sup> وهناك قرأ فارس الذبور في كتاب القرية . وقد كان مليثا باللحن والخطأ مما جعله بتقادم الزمن عليه صعب الفهم " وقد زاده ابهاما وغموضا فساد ترجمته الى اللغة العربية وركاكة عبارته حتى كاد ان يكون ضربا من الاحاجي والمعنى<sup>(٦)</sup> . وبعد ان ختم هذا الكتاب اخرجته والداه منه . واخذ يتلقى شيئا من اللغة والنحو على اخيه اسعد " ثم ادخل مدرسه عين ورقة المارونية الاكليريكية في كسروان فتلقى مبادئ العربية والسريانية ومبادئ العلوم<sup>(١١)</sup> "

" كان للفاريق ارتياح غريزي من صفوه لقراءة الكلام الفصيح وامعان النظر فيه ولالتقاط الالفاظ الغريبة التي كان يجدها في الكتب . فان اباه قد احرز منها كتبا عديدة في فنون مختلفة . وكان هـ اى الفاريق ، يتهاقت منذ حدايته على النظم من قبل ان يتعلم شيئا مما يلزم لهذه الصنعة . فكان مرة يصيب ومرة يخطئ<sup>(١٢)</sup> . ولما دهم الشيخ حمود النكدى الاميرين الشهائيين حسن على وسلمان سيد احمد في الحدث " قائله وكسراه ونهضا بخدمهما الى العامية في لحفد ومعهما يوسف واولاده طنوس ومنصور وغالب وابن اخيه انطون . ولما وصلوا الى حدث الجبة وبلغهم انهزام العامية فر بنو الشدياق مع الاميرين الى قرية تل منين من قرى دمشق<sup>(١٣)</sup> فاصبح فارس يعيل امه ويتعاطى النساخة<sup>(١٤)</sup> ولم يلبث في عام ١٨٢١ ان جاءه نعي ابيه " ومنذ ذلك الوقت عرف انه لا ملجأ له بعد الله غير كده فعكف على النساخة . غير ان هذه الجرفة مذ خلق الله القلم لا تكفي المحترف بها ولا سيما في بلاد لوقع قرشها طنين ورنين . ولرؤية دينارها تكبير وتعويد . الا ان ذلك جود من خطبه

(١١) لقد ذكر يردكلمان في الموسوعة الاسلامية مجلد ٤ وفي كتابه " تاريخ الأدب العربي " ج ٤ ص ٥٠٥ انه ولد في بيروت وهذا خطأ (١٢) فارس الشدياق ص ١٦ (١٣) المثلوثي عدد ١٧ ص ٨ (١٤) اسعد ج ١ ص ١٤ (١٥) اخبار الأعيان ص ١٩٥ (١٦) اسعد ج ١ ص ١٥ (١٧) فارس الشدياق ص ١٧ (١٨) اسعد ج ١ ص ٢٠ (١٩) اخبار الأعيان ص ١٩٦ (٢٠) اسعد ج ١ ص ٢٧



ودقق من فهمه<sup>(١)</sup> . وقد شاعت براءته في نسخ الخط فاصبح الامراء يستعملونه في وظائفهم الكتابية وفي نسخ بعض الكتب لهم . ومنهم الامير حيدر احمد الشهابي<sup>(٢)</sup> . وفي ذلك يقول الفارياق متهكما :

"انه لما شاعت براءته في النسخ ارسل اليه من اسمه على وزان بعيد بعيد يستدعيه لنسخ دفاتر كان يودعها كل ما كان يحدث في زمانه . وليس الغرض من ذلك افادة احد من العالمين وانما فان اساكنا للحوادث من ان تتفلت من مدار الايام او تنفك من سلسلة الاحوال<sup>(٣)</sup> .

ولما ضاق عليه العير امتهن عدة مهن . فاشترك مع صديق له في تجارة متنقلة . لم تجر عليهما الا الخسران المبين . فباط البضاعة والحصار<sup>(٤)</sup> واستأجرا خانا مكثا فيه مدة ثم تركه ليعلم احدى بنات الامراء<sup>(٥)</sup> وبعد الفراغ من هذه المهمة عاد الى حرفته القديمة والنساخت<sup>(٦)</sup> .

الا ان الرزق الذي يأتي من شق القصة لا يكون الا نذرا يسيرا وقديما  
قال الحريري :

ان الرزق يرتجى من شق تلك القصة

فاضطر فارس الطموح ان يفتش عن طريق اخرى للكسب . فوافق في تلك الاونة . اضهاد الاكليروس لاخيه اسعد الذي كان يحبه ويوثره ويميل الى الاعتقاد معه في وجوب منح الفرد حرية اختيار المذهب . وكان الاميركيون يعرفون ذلك فيه وقد اختبروه فانفسهم اثناء اتصاله بهم حين كان اسعد في الامتحان . وخافوا عليه من بطش الاكليروس وبتش اهل الذين كانوا يخافون البطريك ويتجنبون اغضابه<sup>(٧)</sup> . فعرضوا عليه السفر الى مصر ومنها الى مالطة ليعلم اللغة العربية في مدارسهم . فما كان من <sup>بصرى</sup> اسعد الا ان اظهر قبوله لهذا العرض مدفوعا بحب الشهرة والكسب . وبعامل الخوف من بطش الاكليروس واتباعهم . وبتش الامير بشير<sup>(٨)</sup> . فارسلوه الى مصر . آملين فيما يجنونه من ورائه من الفوائد . بعد ان تأكدوا من انه اعتنق مذهبهم .

(١) ا. و. ج. ١ ص ٢٨ (٢) نظره انه كتب عنه بفضاً عند كتابه "الفرح الحان في اخبار انباء الزمان"  
(٣) ا. و. ج. ١ ص ٢٩ (٤) ا. و. ج. ١ ص ٢٦ (٥) ا. و. ج. ١ ص ٢٨ (٦) ا. و. ج. ١ ص ٤٨ (٧) ا. و. ج. ١ ص ٥٢ (٨) لقد عذبه اهل صارا لهذا السبب ، وقد ورد ذلك في "قصص امير المؤمنين" ص ٧٢  
(٩) "عند اكبر البواقي على حجة فارس انه بنى الدبابة كانوا في حجة ، الذي تأمره الامير بشير ، ليروا خط الامير حاكمهم في عادية المختار المشهور ، وفاقا لهؤلاء ، انتقامه وفارس يؤمنه شاب تعلم نفسه في الجيازة والحد في مضارع الفرية ، فوافقوه على اربعين انقاداً له مع شري الاصل (معرض ، ١٧)

في مصر : ١٨٢٥ - ١٨٣٤

جاء الشدياق مصر مطاف الطائفين و ملقى عها المتشردين . وكانت انذاك تنهيا لوثبتها الحضارية التي اعد لها محمد علي . وفيها بدأت عبقريته تتفتح . واذ اخذ يعمل في الوقائع المصرية محرراً<sup>(١)</sup> . وارتقى في ذلك حتى تولى رياسة التحرير بدلا من رفاة بك الطهطاوى . فارتقت لغتها واخذت شهرته الادبية تسير مع الجريدة انى توجهت . وحيثما سارت . حتى بلغ رتبة سامية اكسبته ثقة الحكام والنوؤساء واحترامهم .

واكتب في مصر على الدرس والتحصيل فدرس النحو والمنطق والفقه وعلم الكلام والعروض . وتعلم على نصر الله الطرابلسي ( ١٧٧٠ - ١٨٤٠ ) وهو ابن فتح الله بن بشارة الطرابلسي . وولد في حلب ثم ارتحل به ابوه الى طرابلس ثم رحل الى مصر عام ١٨٢٨ عندما تحامل عليه اعداؤه . وفيها تعرف الى بني البحرى من اعيان طائفته . وكانوا متقدمين في الدواوين . وبواسطتهم تقرب الى محمد علي باشا فمدحه ونال استحسانه<sup>(٢)</sup> . واتصل بالشاعر شهاب الدين محمد بن اسماعيل الملكي ( ١٨٠٣ - ١٨٥٧ ) وقد احتك معه اثناء عملهما في تحرير الوقائع . وقد كان شهاب الدين بارعا في الكتابة والنعر<sup>(٣)</sup> . وقد تمكن الفارياق بواسطتهما من التعمق في اللغة وسبر اغوارها على عمقها وتباعدها .

وقد مكث في مصر مدة طويلة خبر فيها الحياة المصرية على تنوع مسارها وتشعب طرقها . وفيها تأملت امواء خزانة الفكرى . وبدأت قريحته تستعد للمجود الفكرى الكبير الذى ستنهض به في المستقبل . وقد اصيب فيها بانواع من الامراض كالديدان والحكاك والرمد والهوا<sup>(٤)</sup> الاصفر<sup>(٥)</sup> . وفيها تزوج من فتاة من آل الصولي . من اعيان السوريين هناك . وولد له منها ولدان سليم ( ١٨٢٦ - ١٩٠٦ ) وفايز ( ١٨٢٨ - ١٨٥٦ ) وهولا يبخل علينا بوصف زواجه باسلوبه الحي الطريف . كما انه قدّم له بفضل من اجمل فصول الكتاب وادلها على غزارة مادة المؤلف .

(١) اخبار اعيان ص ١٩٨ (٢) الآداب لعربي في القرن التاسع عشر ج ١ ص ٥٧ (٣) نفس المصدر ص ٨

(٤) (٥) ج ٢ ص ١٤٠ - ١٤٦

واحاطة علمه بالحياة . وقد وصف فيه طادات المصريين في الزواج وصفا رشيقا فيه الكثير من الدعاية والتهمك<sup>(١)</sup> ؟

في مالطة ١٨٣٤ - ١٨٤٨

قصده الفارياق مالطة . بطلب من المرسلين الاميركيين . ليعمل هناك في تصحيح الكتب التي تصدر عن مطبعتهم وليعلم اللغة العربية في مدارسهم . وتذهب المصادر الى انه اعتنق المذهب الانجيلي هناك<sup>(٢)</sup> . ولكننا عثرنا في الساق على ما يثبت انه كان اعتنق هذا المذهب اثنا وجوده في لبنان قبل سفره الى مصر . والقصة التالية تشير الى ذلك

"واتفق وقتئذ ان قدم عنقاش يحدد على شراء السلع القديمة وعلى اصلاحها او على مقايضتها او على صبغها . وادعى انه يقدر ان يعيدها الى لونها الاول وانه لا يعجزه شيء من احوالها بحيث ان صاحب السلعة نفسه اذا رآها بعد صبغها وتصليحها يتعجب منها غاية العجب ولا يعود يعرفها . وانه اي عنقاش لما بلغه في بلاده فساد تلك السلع اقبل حفدا الى تلك البلاد وهو يحمل خرجا كبيرا فيه من الاصباغ والادوات ما يرفأ كل خرق ويعيد كل لون نافس . فسار اليه الفارياق صيالا الى المقايضة وواطأه على ابدال ما عنده من السلعة القديمة باخرى جديدة رافت لعينه . فقد يقال لكل جديد بهجة . ثم قفل الى منزله مسرورا بصففته . فلما علم اهله وجيرانه بذلك استشاطوا عليه غيظا وقالوا : لعمر رب الجنود ما جرت العادة في بلادنا بتخيير البياط ولا بمقايضتها ولا باصلاحها ولا بصبغها . ثم لم يلبث الخبر ان بلغ مطران الصقع وكان من الضواطرة الكبار . فكانما كان سكيئا سقط على حلقونه او خردلا دخل في خرطوميه فهاج وازبد وابرق وارعد الخ . . ونادى يا خيل الله على الكفار . انهم صالحوا النار . كيف تجرأ هذا الشقي المنحوس المعتوه المهلوس على ان يذهب مذهبا غير ما نهجه له حائليقه وسلكه فيه بطريقه . . الخ<sup>(٣)</sup> ثم يمضي في حديثه معددا ما صار بينه وبين المطران . ورجوعه الى الخرجي (المبشر)<sup>(٤)</sup> طالبا الحماية من اذى الطائفة . وكيف صار المبشر يمتحنه ويختبر قلبه ليعلم

(١) الساق ص ١٦٧ "في ابعثه والزواج" (٢) منه هذه المصادر "فارس لزيارة" لولس ص ١٨  
والآداب العربية في القرن التاسع عشر" لسيبو ج. ص ٧٩ "تاريخ اصبافه" ج ٢ ص ٩٦ (٣) لانه  
ج ١ ص ٩٤ (٤) يفهم منه سياحه الكتاب انه الخريجي منهم المبشرون الانجيليون وانه لوقبيهم علم لوارنه

هل نهر فيه حب السلعة الجديدة نبضا قويا اولاً<sup>(٤٥)</sup> وفي هذا الحديث نرى الشدياق مؤمنا، على تهكمه بالذهبيين، بالمذهب الجديد، وكانه اظهر هذا الايمان ليتمكن من السفر الى مصر، حيث يلعب نجم شهرته :

"ثم قال (اي اغارياق) للخارجي قد وصيت يا سيدي كل ما اوصيته اذني وما اري الحق الا معك واني مشايحك ومتبعك وحامل الخرج معك . ولكن اجرني من هؤلاء الصعافيق فانهم كالاسود الضارية لا تأخذهم في خلق الله رافة ولا شفقة . وعندهم ان اهلاك نفس غيرة على الدين يكسبهم عند الله زلفى<sup>(٤٦)</sup>

وهكذا نرى الشدياق يسافر الى مصر، وقد تمذهب بالمذهب الجديد . ويشبه ذلك انه عندما اراد ماهرة آل الصولي مانعوا في بادئ الامر لانه كان انجيليا بينما هم كاثوليك . وقد قالت له امها انذاك :

"قد علمت ان السوقيين لا يبغون ماهرتك فان كان غمك على ان تتزوج ابنتي ينبغي لك ان تتسوق ولو يوما واحدا<sup>(٤٧)</sup> ."

هذه الادلة تثبت قطعيا على انه اعتنق المذهب الانجيلي في لبنان قبل مغادرتها الى مصر وهذا اقرب الى العقل ماذ انه يستبعد ان يركن اليه المبشرون ويشقوا به دون ان يكون قد برهن لهم بادلة لا تقبل الشك على انه يؤمن بذهبيهم .

ولم يستمر مكثه في مائطة بل سافر مرة الى لبنان وسوريا مع رئيس البعثة التبشيرية وزوجته فوصل اليها عندما خلع الناس الطاعة لوالي مصر<sup>(٤٨)</sup> وسافر الى ايطاليا مع سامي باشا<sup>(٤٩)</sup> وسافر الى تونس عام ١٨٤١<sup>(٥٠)</sup> في رحلة قصيرة وفيها مدح الباي بقصيدة طويلة "ذكر فيها كل ما شاقه هناك من المحاسن<sup>(٥١)</sup> فاجابه وزيره مصطفى باشا الخازندار برسالة في شباط ١٨٤٢ ارفقه بحكمة من الالمان هدية من الباي . وسافر اليها مرة ثانية بدعوة من الباي على اثر قصيدة مدحه بها . عندما زار فرنسا وفرق على فقراء مرسيلية وباريس وغيرها اموالا جزيلة شاع

(٤٥) الس. ج. ١ ص ٩٧ (٤٦) الس. ج. ١ ص ٩٩ (٤٧) الس. ج. ٢ ص ١٧٧ (٤٨) الس. ج. ٢ ص ٢٤٨

(٤٩) الس. ج. ٢ ص ٢٦٧ (٥٠) مقال لطفي بربيس في الملتوف عدد ١٤ ص ٢ (٥١) الس. ج. ٢ ص ٢٦٧

ذكرها . وقد ارسل اليه الهاي في هذه المرة بارجة حربية وبالغ في احترامه  
واكرامه حتى قال : " لعمرى ما كنت احسب ان الدهر ترك للشعر سوقا ينفق  
فيه . " (٤)

ثم سافر الى انجلترا عام ١٨٤٥ ليترجم كتاب صلوات للجنة في بلاد الانجليز  
فمكث فيها مدة ترجم فيها الكتاب ثم جاء الى باريس فمرسيلية . ثم عاد الى الجزيرة (٥)  
وفي الجزيرة طبع الفاريق بعصر كتبه واكثرها يغلب عليه الطابع التعليمي  
ومنها الوساطة في معرفة احوال مالطة " واللفيف في كل معنى طريف " والباكورة  
النهية في نحو اللغة الانجليزية والمحاورة الانسية في اللغتين العربية والانجليزية  
وعرب شرح طبائع الحيوان . وسنتحدث عن كل منها في موضعه .

في أوروبا : ١٨٤٨ - ١٨٥٦

ثم دعت جمعية ترجمة الاسفار المقدسة ليساعد في تعريب ترجمة التوراة .  
التي كان يشرف عليها الدكتور لي . فاشتراط على حاكم مالطة ان يغيب عنها عامين  
واذا رجع يوظف في وظيفته الاولى فقبل الحاكم بشرطه (٦)

وقد اتم ترجمة التوراة في اقل من عشرين شهرا . وفاوضته الجمعية بشأن  
تصحيح الطبع فقبل على شرط ان يقيم في باريس ليتعلم اللغة الفرنسية . فسبح له (٧)  
وقد قضى في اوروبا بضع سنوات متنقلا بين مدنها بزيه الشرقي وبطربوشه .  
وقد اتيح له في هذه الفترة ان يتمكن من اللغتين الانجليزية والفرنسية . وقد  
الف في هذه الفترة عدة كتب منها " كشف المخبا عن فنون اوروبا " وقد وصف  
فيه تلك البلاد وصفا دقيقا فتناول احوال البلاد عامة وتاريخها واهلها وعاداتهم  
وغير ذلك مما سنذكره في مكانه . كما انه طبع في باريس كتابه " الساق على الساق "  
عام ١٨٥٥ وتروى المصادر (٨) انه تزوج في انجلترا من فتاة انجليزية لم تنجب له  
اولادا . ولكنه لا يذكر لنا في كتبه شيئا من ذلك . وجاء في موسوعة البستاني

(٤) اسفح ج ٤ ص ٤١٦ (٥) نفس المصدر ص ٤٠٥ (٦) نفس المصدر ص ٤٧٧ (٧) كشف المخبا  
ص ١٤ (٨) كترابح مشاهد اسفح ج ٤ ص ٧٦ " وفارس ابتدائة " ص ١٧

انها انجبت له ولدا مات صيبا ولا تزال (ط ١٨١٨) في قيد الحياة في تونس<sup>(١١)</sup> ونال الحماية الانجليزية واقسم اليمين التالي :

"انا فلان اعد واقسم صادقا بانى اكون امينا ومخلصا للطاعة لسعادة الملكة فكتوريا واحامي عنها بغاية جهدى وطاقتي ضد جميع من يتحالف عليها او يهجم بسوء عليها سواء كان على شخصها او تاجها او شرفها وابذل غاية جهدى في ان اكتف لسعادتها ولورثتها ولمن يخلفها جميع الخيانات والخائنين والمتفادين عليها او عليهم واعد بامانة انى ابذل غاية استطاعتي في ان احفظ واسند واجبر خلافة التاج المعبد عنه في الاحكام بحكم كذا الح<sup>(١٢)</sup>

وعندما شاعت اراجيف حرب القرم بين الدولة العليانة وروسية نظم وهو في لندن طم ١٢٧٠ هـ (حوالى ١٨٥٤ م) قصيدة يمدح فيها السلطان عبد المجيد ، ومطلعها :

الحق يعلو والصالح يعمر  
والنور يحق والفساد يدمر<sup>(١٣)</sup>  
وقدمها لسفيره الامير موسورس فبعث بها الى رشيد باشا . فلم تعز ايام حتى بعث الوزير المنار اليه الى السفير يخبره بان القصيدة قدمت الى السلطان ونالت قبوله ورضاه وامر بتوظيف ناظمها في ديوان الترجمة السلطاني<sup>(١٤)</sup> . واخذ الفارياق يستعد للسفر ولكنه سافر الى تونس بدعوة من الباي . كما ذكرنا سابقا . على اثر قصيدته التي نظمها في مدحه ومطلعها :

زارت سعاد فقلبي اليوم مقبول  
فما الرقيب بغير النشر مدلول  
وقد حيب اليه احد اقطاب البيت العالي الاقامة فيها دون الاستانة<sup>(١٥)</sup>

حياته في تونس : ١٨٥٧

خبر الندياق تونس ومكت فيها ردحا من الزمن معززا مكرما . ويقول شيخو<sup>(١٦)</sup> ويتابعه في ذلك زيدان<sup>(١٧)</sup> ومسعد<sup>(١٨)</sup> وبركلمان ( Brockelmann )<sup>(١٩)</sup> . انه حرر في الرائد التونسي " ويرد طرازى هذه الدعوى قائلا .

(١) ذاكرة المعارف ج ١٠ ص ٤٩٤ (٢) كشف الجناح ص ٤٨ (٣) اساطير ج ٤ ص ٧٩ (٤) ج ٤ ص ٧٩ (٥) فارس ادياب ص ٤٠ (٦) الاداب العربية في القرن التاسع عشر ج ٤ ص ٨٠ (٧) تراجم مشاهير تونس ج ٤ ص ٧٧ (٨) فارس ادياب ص ٤٠ (٩) II Suppl. G. A. L. Vol. ١٥٧ ص ١٥٧

" وقد روى جرجي زيدان في ترجمة احمد فارس الشدياق المطبوعة في كتابه تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ان احمد فارس حرر في جريدة الرائد التونسي . والحال ان المشار اليه زار تونس قبل سنة ١٨٥٧ ولم يعد اليها مرة ثانية . وكان ذلك قبل تأسيس الرائد التونسي بربيع سنين في عهد الباي احمد باشا . وروى مثل ذلك الاب لويس شيخو في كتابه الاداب العربية في القرن التاسع عشر فاقتضى التنويه لانه لما صدر الرائد التونسي كان احمد فارس يحرر جريدة الجوائب في الاستانة التي لم يزايلها الى اواخر ايامه<sup>(١)</sup> . ونحن نوفق بين الطرفين فنقول : ربما كان احمد فارس يتحف هذه الجريدة . بين الان والاخره بمقالاته من الاستانة . لارضاء الباي الذي كان يمدّه بخمسة ليرة عثمانية كل عام . ومتابعة لرسائله الاصلاحية . وعملا للخلافة الاسلامية التي كان من دعاتها . هذا اذا ثبت ان الرائد التونسي ظهرت عام ١٨٦٠ تماما .

وفي تونس وجه اليه الباي مناصبا كبيرا . وهناك اعتنق الديانة الاسلامية<sup>(٢)</sup> على يد شيخ الاسلام وسي احمد . وربما يكون الشدياق قد اعتنق هذا الدين عن عقيدة وايمان او طمعا في المناصب وركضا وراء عصى الدنيا . كما اعتنق المذهب الانجيلي سابقا ونحن نميل الى الرأي الاخير . فالشدياق الطموح . كان لا يترك شيئا يقف في سبيله . سواء في العقيدة او في سواها . اذا كان هذا الذي يعترض تقدمه ونجاحه .

امضى الشدياق مدة في تونس كان فيها موضع الاعجاب والتقدير . وقد طارت شهرته في الاقطار الاسلامية وخصوصا في الاستانة . فطلبت له الصدارة العظمى من الباي فارسله اليها مكرها .

في الاستانة ١٨٥٧ - ١٨٨٧

قدم الفاريق الاستانة عام ١٨٥٧ في حكم السلطان عبد المجيد وكانت البلاد مضطربة عقب حرب القرم . ولكن السلطان كان حسن النية فحاول ان يصلح بلاده

(١) تاريخ الصحاح ج ١ ص ٦٦ (٢) الاداب العربية في القرن التاسع عشر ج ٢ ص ٨٠ وتراجم مشاهير الشرق

وان يضع خططا وقوانين للاصلاح تضمن رفاهية الجميع<sup>(١١)</sup> . وقد بدأ الفاريان عمله فيها مصححا في مطبعة الحكومة ، وكان المرجع الأول في الامور الهامة . وظفر بعطف السلطان والثقاته السامي فانعم عليه بالرتب والاوزمة العالية الشأن ونسجت الحكومات الاوروبية على منواله فاغدقت عليه نياشينها واختصه الملوك والامراء برعاية خاصة وخاطبه عظماء العالم واقطابه وكبار علمائه ونبغته باحسن النعوت واجل الاوصاف . وبالاجمال قد احرز وهو في القسطنطينية من المكانة السامية والنفوذ السياسي والادبي ما لم يحرزه واحد من معاصريه في عاصمة بني عثمان<sup>(١٢)</sup> . وكانت داره مجمع اصحاب الحاجات ، يومونه ليوطاً لهم الامور ويقضي لهم المآرب .

وفي شهر تموز عام ١٨٦٠ ، اصدر الشدياق جريدة "الجوائب" التي سنتحدث عنها فيما بعد . وقد ظل يعمل في التأليف والتحرير الى اواخر ايامه . وقد قدم مصر عام ١٨٨٦ مصحوبا بعائلته وقد شاح وهرم . وقد شاهده جرجي زيدان وقال عنه :

"وفي سنة ١٨٨٦ قدم صاحب الترجمة الى هذه الديار وقد شاح وهرم واتيح لنا مشاهدته وقد علاه الكبر واحدى بحدقيته قوس الاشياخ واحدودب ظهره ولكنه لم يفقد شيئا من الانتباه او الذكاء . وكان الى اخر ايامه حلو الحديث طلي العبارة رفيق الجانب مع ميل الى المجون .

وقد لاقى اثناء اقامته بمصر هذه المرة حسن الوفادة فزار الوزراء والعظماء وتشرف بالمشول بين يدي الخديوى السابق فاكرمه ولاطفه وذكر خدمته للشرق<sup>(١٣)</sup> .

وفي الاستانة انجز عدة كتب اهمها "سر الليال في القلب والابدال" في مجلدين و "الجاسوس على القاموس" و "المرآة في عكس التوراة" و "لا تأويل في الانجيل" و "الاجرومية" و "النفائس في انشاء احمد فارس" و "الروض الناضر في ابيات ونوادير" و "غنية الطالب ومنية الراغب" و "منتهى العجب في خصائص لغة العرب" و "التقنيع في علم البديع وسواها .

(١١) راجع لذلك تاريخ الدولة اعلية ، محمد فريد بك ص ٢٥٦ ، (١٢) فارس ، شدياق ص ٢٠٠ ، (١٣) تراجع شاهير ، ص ٧٩



وفاته :

كان الشدياق في اواخر حياته يحاول الرجوع الى وطنه لبنان ليموت فيه متغيثا ظلل ارزه بين اهله واقاربه<sup>(١)</sup>. ولكن الضنية حالت بينه وبين تحقيق هذه الامنية . وحوالي اوائل ايلول عام ١٨٨٧ ساءت حالته ولما شعر بدنو اجله سأل حرمه ان تشترك معه في احصاء عدد الذين سبقوه الى عالم الارواح من خلاله واصدقائه وذكر ١٨١ نفسا قال ان اعزهم لديه سامي باشا ونجده صبحي باشا وكمال باشا وعالي باشا وفؤاد باشا - وهم من اقطاب الدولة في ذلك الحين - واستاذان يعرف لهما فضلها عليه هما الشيخ شهاب الدين الخفاجي<sup>(٢)</sup> والسيد نصر الله الطرابلسي الحلبي وهما اللذان اتم عليهما دروسه في العلوم العربية وهو في مصر<sup>(٣)</sup> . ولنتذكر الان لبولس مسعد ان يصف وفاته ومآته فقد ابدع في ذلك : قال

وفي اول سبتمبر (ايلول) انحرفت صحته ونجده سليم في باريس وحدثته نفسه بدنو اجله فارتبك وكان الاستاذ نجيب هندية احد محرري جريدة القاهرة التي انشأها سليم ملازما له وقتئذ فانابه بانه قلق البال مضطرب الافكار واوعز اليه ان يستقدم ابنه من باريس على جناح السرعة ففعل . وفي صباح ١٩ سبتمبر وصل سليم الى الاستانة فابتهج فارس بلقياء وانتعشت نفسه وخيل الى اسرته انه بات في منجاة من الخطر . ولكن ما غربت شمس اليوم التالي وهو يوم الثلاثاء الواقع في ٢٠ سبتمبر حتى ساءت حاله وبعد ان طبع قبلة على جبين نجله اتكأ على الوسادة واستغرق في النوم ثم استيقظ يقظة الموت . وفي الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة من تلك الليلة نفسها لفظ انفاسه الاخيرة بين ذراعي نجله سليم .

وكان لوفاته دوى عظيم تردد صدهاء في انحاء الشرق والغرب . وفي صباح الاربعاء ظهرت صحف الاستانة مطوقة بالسواد حدادا عليه وراثه كتابها بمقالات ضافية عددوا فيها مآثره ذاكرين فضله على اللغة والعلم . ووصلت صحف لندره وباريس فاذا بها تنعيه لقرائها بعبارات مؤثرة تشف عن تقديرها لعلمه وفضله .

(١) جامع المفصل ص ٥٢٦ (٢) انظر انصاف تحريفا في الأسماء، في الأسماء الحقيقية هو محمد شهاب لبيد الحلبي

(٣) فيس، زيادة ص ٢٤

وطير منعه الى الاقطار العربية فاكبرت فجميعه العرب فيه وابدعت صحفها في  
رثائه ووصف جهاده ورتاه الشعراء والكتاب في كل ناد وصقع، بينهم طائفة  
مختارة من امة اللغة واقطاب الاقطار الشرقية وامراؤها وعظماؤها وبالاجمال ان  
وفاته عدت في المحافل العلمية والاندية الادبية والسياسية سواء في الاستانة او  
في المعالك الاسلامية او الاوروبية خسارة عظيمة على اهل الادب والفضل في  
الاقطار العربية .

وكان فارس اوصى بان يدفن في وطنه لبنان وعصا بوصيته حنطت جثته  
ووضعت في تابوت من الرصاص ووضع هذا التابوت في تابوت اخر من الجوز ثم  
في صندوق متين من الخشب ونقل النعش اولا من قصره في "قاضي كوي" الى  
قصر نجله سليم المجاور لنظارة المعارف . وفي صباح الخميس في ٢١ سبتمبر غص  
القصر بالمعزين من الامراء والنبلاء والعلماء ورجال الفضل والادب من وطنيين  
واجانب وارباب المناصب العالية من ملكيين وعسكريين بينهم كثير من الصدور العظام  
السابقين والوزراء واقطاب الدولة وكبرائها . . . . . وخرج الموكب من القصر  
في نظام بديع بين صفين من الجماهير المحتشدة على جانبي الطريق حتى الميناء .  
فكان مشهدا فخما رائعا قلما شهدت الاستانة مثله وكان اثنان من وزراء الدولة  
النخام يرافقان نجل النقيب ويمزيانه . ونقلت الجثة الى الباخرة النسوية التي  
اعدت لنقلها الى لبنان على زورق جميل نشرت فوقه الاعلام منكسة بين صفين من  
الزوارق تقل عظماء الدولة وكبرائها .<sup>(١)</sup>

وقد وصلت الباخرة بيروت في صباح الاربعاء الموافق ٥ تشرين اول  
وكان في استقبالها جمع غفير من رجال بيروت ووجهائها . ونقل النعش على زورق  
حكومي الى الشاطئ . وسير به الى الجامع العمري الكبير حيث صلي عليه . ثم نقل  
باحتراف مهيب الى الحدث ، حيث كان في استقباله فرقة من فرسان الجند اللبناني .  
وجمع من اقطاب البلاد وكبرائها وامرائها . وقبل ان يوارى في التراب ابنه

(١) فارس اوصى ص ٢٧ وما بعدها

بعض العلماء والادباء ومنهم الشيخ ابراهيم الاحدب والشيخ قاسم ابي حسن الكسبي  
والامير شكيب ارسلان وسواهم<sup>(١)</sup> . وقد جمع الاستاذ يوسف آصاف الصحافي، المراثي  
والتآيين التي قيلت فيه، وما نشرته الصحف عنه في البلاد العربية عامة في كتاب  
اسماه " هو الباقي"<sup>(٢)</sup> . وقد دفن الفارياب اولاً في الحدث ثم عاد سليم ونقل جثته  
منها الى الحازمية<sup>(٣)</sup> وذلك لان ليس في الحدث احد من المسلمين . وقد اشترى  
لذلك ارضاً فسيحة ليجعلها وقفاً ينتفع بريعها شخص مخصوص وحارس يحرس اللحد .  
وفي عزمه ان يقيم للضريح زاوية تقام فيها الصلاة<sup>(٤)</sup> . وقبل مدة لا تتجاوز عشر القرن ،  
نقل نعش الفقيد من مكانه الى مكان اخر لاسباب فنية اقتضاها فتح طريق جديد ، وكان  
مدير وزارة الاشغال العامة انذاك ميشيل الباحوط<sup>(٥)</sup> ورسم ضريحه الجديد ابراهيم  
نقولا ششم<sup>(٦)</sup>

وما قاله الامير شكيب ارسلان في رثائه :

ليال لها بالمجد صف الروامس  
لنعم رجال الدهر شم المعاطس  
وجوما قد اسوتت وجوه المدارس  
لذن غاب عنه اليوم احمد فارس  
تجمع فيها كل قرم ممارس  
وان قال لم يترك مقالا لنا برس  
واوقد ناراً امها كل قابس  
لاثاره الايام غير فسهارس  
على عفو هاتيك الرسوم الطوامس  
بانشائه كانت طراز المسجالس  
بها وتثنى العصر عن عطف مائس<sup>(٧)</sup>

تادت علينا بالحضوب الدوامس  
واحمت رجالاً للزمان وانهم  
احقا عباد الله ذا اليوم انه  
واصبح مضار البلاغة خالسيا  
هو الفارس الباقي في كل حلبة  
اذا حال لم يترك مصالا لغيره  
اقام منارا هاديا كل حائر  
غدا ذكره ملء الزمان ولم تكن  
وشيد للفصحى قصورا شواهاقا  
لقد جابت الدنيا جوائبه التي  
تبلج نور الشرق عن وجه سافر

وما قاله الكونت فيليب طرازي :

هو فارس الشدياق بهجة عصره

من طاب اصلا في العلوم ومحتدا

(١) راجع فارس ابدياته ص ٦٠٤٥ (٢) اجمعنا هذا الكتاب في دار الكتب اللبنانية وهو مطبوع في طبعة  
جريدة، لقاوه المرحه عم ١٤٠٥ هـ . (٣) هو الباقي ص ٤٧ (٤) المثلثون عدد ١٧٠ ص ٨ (٥) اخبرنا  
الاستاذ يوسف زيدك . (٦) فارس ابدياته ص ٤٤

عين النباهة والحذاقة والكـرامـة  
دار السعادة فجعت لمصابه  
وبكى عليه الشرق دمعاً بل دما  
يبكي عليه كل حي ناطق  
والفصاحة والحصافة والندی  
اذ كان للاداب فيها مقصدا  
والغرب في حسراته رد الصدى  
بالضاد اذ كان الامام المفرداً<sup>(١)</sup>

وللشاعر الاديب الياس زخريا قطعة جميلة كتبها يوم نقل جثمانه عام ١٩٣٨ هـ

قال :

على خشخشة معاول الفعلة في مدائن "الحازمية" وفي نبضات عروقهم التعبه  
وقبيل قلبه الشمس، اطل عليهم من طاقة القبر ومن مدى عتمه خمسين عاما، وفي جبة  
من الرصاص، وفي جثمان لم يعكر صفو غفوته التراب، ولم تهدمه اصابع الزمن الخشنة  
في كرتة المستمرة الهدامة :

احمد فارس الشدياق

وتطلع اليهم وهز رأسه لدى معاولهم ومسح لبنان، لبنان هذا . . . . . بطرف  
عينه، ثم ضم الرصاص وتلمس دمعته فسقطت المعاول رجفا من ايدي الفعلة، وتزلت  
الشمس وسقطت الظلمة واطبق باب القبر . . . . .

.....

يا احمد فارس الشدياق هـ  
يا جيلا فسي رجل  
يا قلب لبنان  
يا جبهتنا يوم الفخر

شاءت حكومة "لبنان" ان تزيل هذه "العكنة" التاريخية التي ثويت فيها وهي  
لم تعلم قط انك فيها بل ظنتها قبورا لاموات . . . . . فاذا بك بعد نصف جيل تعيش  
في مرقدك، ولم تزل على حالك كأنك مت امس .  
ها هي لحيتك، وها هو وجهك المشرق وها ان الكفن، الكفن نفسه، لم يزل

(١) فارس الشدياق ص ٢٨

عليك حيا مختوما بخاتم دائرة الصحة العثمانية .  
فأعمر النعش، بحياتك، وانظر في ابعاد القبر انه لا خف عليك من التطلع الى  
لبنان، لبنان الذي راح يعكر صفو طمأنينة اكفانك، ولبنان الكافر الذي يخلق العباقره  
ثم يهوى على اكفانهم بالمعاول القاسية<sup>(١)</sup> .

وبعد، فهناك نقطة هامة اضطررنا لان نتعرض لها، على نقر منا، وهي  
مسألة دين الشدياق حين وفاته . فقد ذكر الاب شيخو في كتابه "الاداب العربية في  
القرن التاسع عشر"<sup>(٢)</sup> ان الشيخ ظاهر الشدياق احد انساب احمد فارس اخبره انه  
مات كاثوليكيًا، واعترف بخطاياہ قبل وفاته الى احد كهنة الارمن . وقد شهد على  
الامر خليل افندي يعقوب الذي حضر وفاته .

وتمر ثلاثون عاما على هذه القضية، ولتبعث من جديد على ايدي الاديبيين  
يوسف يزبك ومارون عبود . فيزيك يذهب الى هذا الرأي فيقول :  
"كان لمؤسس "الجوائب" في شيخوخته سكرتير من انسابه هو المرحوم خليل  
يعقوب جفال الشدياق (محرر جريدة "صدى الشرق" المصرية بعدئذ) لازمه في  
ايامه الاخيرة ملازمة الظل . وقد روى لنا - كما روى لغيري من انسابنا ومن  
زائريه - ان منشي "الجوائب" لفظ انفاسه الاخيرة وهو مستند الى ذراعه ومتكى  
على ركبته، وانه لما شعر بدنواجل سيده بعث واستحضر كاهنا ارمنيا "زود  
المحتضر الاسرار المسيحية الاخيرة" - كذا .

وقد اعترضت على هذا الخبر بقولي "ان احمد فارس صلى عليه ودفن بموجب  
الطقس الاسلامي فلو كان ارتداده الى النصرانية صحيحا لاي الشيوخ المسلمون الصلاة  
عليه والضي في ماتمه ! . . .

فاجاب المرحوم خليل : - لم يدر احد بما فعلنا لان زيارة الكاهن تمت سرا  
وبكل احتراص .  
- وهل كان الامام مالكا وجمه .

(١) مجلة الجمهور عدد ٧٢ ص ٤٠٤ (٢) ص ٤٠٤ ص ٨٠

- الوعي كله . . . . . وقد فهم كل حركة جرت حوله . . . . . وازيد على ذلك ان الاحتضار طال وطفق المرحوم احمد فارس يتعذب . . . . . فذكرت انه يحمل في عنقه ذخيرة عود الصليب اعطته اياها والدته قبيل مغادرته لبنان فاحتفظ بها منذ شبابه حتى ساعته الاخيرة . فنزعت تلك الذخيرة من عنقه فتوفي حالا .

فسألت خليلا : - وهل عرف ابن الفاريابي (سليم فارس) بما قصصته الان علي ؟  
فاجاب سكرتير الامام : - لقد اخبرته الحقيقة فاسكتني بغضب وامرني بان لا ابوح لاحد بشي" مما جرى .  
- ولماذا ؟

- لا شك في انه كان يخاف على ضياع مركزه الخطير في حالة ثبوت ارتداد ابيه الى دين اجداده . . . . .

قلت : - لا اعرف مبلغ هذه الرواية من الصحة ، ولكن المرحوم خليل يعقوب الشدياق اكدها لي مرارا كما اكدها لبعض انسيائه واصدقائه . وكثيرا ما كان يردد على سامعنا هذه الجملة المعربة بحزم وتأکید " الامام مات نصرانيا " .  
- ترى : هل يكون الضعف الجسدي قد اثر في ذلك العقل الجبار في ساعته الاخيرة فاضعه الى هذا الحد ؟

انه لموضوع يستحق الدرس وان كنت لا اجزم به<sup>(١)</sup> اه .  
ويرد عليه الاستاذ مارون عبود ، محاولا ان يثبت ان الشدياق طمس مسلما ومات مسلما وان رواية يعقوب جفال الشدياق كانت مجرد خرافة لا اكثره وفي رده وفي رده ضعف ظاهر ولا يمكن ان نعتمد عليه في اثبات حقيقة دين الشدياق حين وفاته . كما كانت رواية يزيك اضعف من ان تكون تكأة ترتكز عليها . ان نراه هو نفسه لا يجزم بصحة ما ذهب اليه . بقي ان ننقل ما قاله الاستاذ مارون عبود في هذا الشأن انصافا للبحث وللباحث . قال :

"يقول المرحوم خليل يعقوب جفال الشدياق انه احضر كاهنا ارمينيا ليزود مولاه الامام الاسرار الالهية ، وبميتته على دين اجداده وانه فعل ذلك سرا .

قلت : هب ان احمد فارس كان يريد ان يعود الى ربه الاول ففي مكتبته ان يفعل ذلك بلا هذه السفارة الارمنية . فالله كما تعلمنا . طويل الروح شديد العقاب يكفي ان يقول احمد : ايمان بطرس ايماني ليروح احمد ويرجع فارس وتنتهي القصة . . . . . ويستقبله ببشاشة صاحب المفاتيح وعلى رضوان السلام .

كان على اخي يوسف ان يطمر هذه القصة لان كذبتها بين مثل عين الشمس . وكيف لا ينكرها والدليل على اختلافها قول صاحبها " وطال الاحتضار وطفق المرحوم (احمد فارس) يتعذب فتذكرت انه يحمل في عنقه ذخيرة عود الصليب . فنزعت تلك الذخيرة من عنقه فتوفي حالا . "

حيف على التاريخ ان يدون مثل هذه الاخبار . وان يصدقها كاتب نبيه كالاستاذ يزبك ولا يرميها . ان نزع فولتير لم يسمع بمثله التاريخ فهل كان يحمل فولتير مثل هذه الذخيرة العجيبة ولم يفظنوا لها ؟؟ وصديقي الاباتي بطرس حداد انطفاً كالسراج وفي عنقه ذخيرة قدر الرغيف . ان هذه الرواية وحدها تكذب ما رواه هذا السكرتير غفر الله له . ومن عشر بحرف من الناموس عشر الناموس كله " اه .

نرى في هذا الرد ان الاستاذ مارون يعتمد في دفاعه على شيئين : السفارة الارمنية ، و ذخيرة عود الصليب . اما السفارة الارمنية ، فمعقولة جدا . لان العائت في حالة ضعفه لا يثق بنفسه وحدها بل يحاول ان يطمئنهما بالسفارات وبالوسائط ، ولذلك من المعقول جدا ان يكون الفارياقي ، او من حوله . وقد استدعى هذا الكاهن الارمني ، الذي ربما كان قريبا من بيته انذاك . وثم هذا الاستدعاء بخفية وتستر . اما ذخيرة قصة عود الصليب ، فمن الجائز المعقول ، ان الشدياق طال احتضاره بطريق الصدفة ، فحاري خليل يعقوب الاعتقاد السائد ، وعهد الى ذخيرة عود الصليب ونزعها فمات الشدياق بطريق الصدفة ايضا . اما رد الاستاذ يزبك ففيه لوم للاستاذ مارون على نفيه الخبر بلا مستند ولا برهان . ولا يكفي الاستاذ يزبك بل يحتكم واياه الى مكتبة بكركي ولعلها عاثران بين اوراقها على الرسائل التي قيل ان الشدياق كان قد ارسلها الى ابن خاله بولس صمد . ويطلب فيها العودة الى لبنان

ليموت فيها على دين ابيه<sup>(١)</sup>؟

ونحن لا نعرف ما تم بين الاديبين . ولكن لنا رأينا الخاص في المسألة نود ان نقوله . وهو ان الحجج التي دم بها الاستاذ يزبك رأيه ليست كافية لاثبات وفاة الشدياق على دين ابيه . ومجرد الاعتماد على رواية رجل من الشدايقة . الذين كان يهمهم امر رجوع الشدياق الى حظيرة الكنيسة . لا يعد كافيا في نظر العلم . وقد تكون حكاية ذخيرة الصليب . تليقا اراد به الراوى . بطريقة ناعمة لا يحس بها . ان يثبت ان فارسا كان يعلقها على صدره . لانه كان يظهر خلاف ما يبطن . او انه استنجد بها عند وفاته ليموت مطمئنا مرتاحا .

اثباتات الاستاذ يزبك لا تكفي . كما ان رد الاستاذ مارون عبود كان ضعيفا فيه خروج ومداورة . وان كذب الحكاية لا يظهر . كما يقول الاستاذ عبود . مثل الشمس . بردود ضعيفة كتلك الا اصطنعها هو . اما قوله " ومن عثر بحرف من الناموس عثر الناموس كله " فلا نطق في العلم . الذي يجب ان تؤخذ فيه الحقائق مفردة . وان تعامل كل منها على حدة . وتعطى حكما خاصا بها .

نحن لا نشق برواية خليل يعقوب . التي فصها على ظاهر الشدياق قبل ان يقصها على الاستاذ يزبك بما لا يقل عن الثلاثين عاما<sup>(٢)</sup> ما لم ترافقها اثباتات اخرى . كما اننا لا نقف في صف الاستاذ عبود لنقول انه كات مسلما وانتهى الامر . بل نقول ان عودته الى دينه الاول . عندما شعر بضعفه امر محتمل القوع . فان الانسان يذكر ربه في حالة الضعف ويذكر الآخرة حين يشعر ان الدنيا تكاد تنفلت من يديه . واخبار التاريخ تحوى امثلة كثيرة على هذا النوع الذي يبديه الانسان . عندما يكون مسجى على فراش الموت . واذا ثبت لدينا ان الشدياق غير مذهبه اولا ثم دينه ثانيا لغايات دنيوية . ولا عن اعتقاد ويقين . هان علينا ان نقول انه غير دينه في ساعة النزاع الاخير . ولعل في اشارة المطران يوسف الدبس<sup>(٣)</sup> الى انه اطلع على رسالة كتبها الشدياق الى احد انسيائه يقول فيها انه كان ينوى العودة الى لبنان موطنه

(١) الجمهور عدد ١٠٤ (٤) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٨١ (٥) ابي مع . المنص ص ٥٤٦



ليموت بين اهله ومواطنيه وانبا' ملته اثباتا لما ذهبنا اليه . ولكن حكما هذا لا يمكن اثباته الا اذا وضعنا يدينا على رسائل يثبت انها وردت من فارس الى بولس مسعد . وثبت ما ذهب اليه الدهس ويزيك .

وبعد فهكذا تفتتح امامنا حياة الشيخ الجبار، جبارة زاخرة بمعاني الحيوية والعظمة، ومختلفة المذاهب، متغلية في فضاء الله الواسع، وبين اديان الله الواسعة . حياة طبعها التطرف في العزم والتأمل والدرس والتفكير والشهوة وفي علاقاته مع الناس . ويسمها التقلب السريع، فقد كان عصبي المزاج سريع الانفعال كثير التقلب من طرف الى طرف في المشاعر الانسانية . وتغلب على حياته المادية، فتغيير الاديان كتغيير الثياب، وتخصصه شعره بالمدح والمناسبات، واغفاله الحركات القومية التي كانت تفتتح ببطنها في البلاد العربية، ووصله لمساعدة سياسة الانجليز، وتحبيب العثمانيين بهم امور تقنعنا بانه كان نهما يحب المادة ويفرط في هذا الحب، كما كان يحب المرأة ويفرط في حبها . وهو يلخص هذا الميل في قوله محذوا الشعر:

فما الشعر ما اعياك في الليل نقده  
ولكن ما اغفانك في الصبح بالنقد<sup>(١)</sup>

وصفة اخرى للشدياق هي الصراحة وحرية الضمير والجرأة في القول والعمل . وهذا يتجلى لنا في كتاباته . فالساق بلغ اوج الجرأة والصراحة والميل والتحرر . وميله الصريح الى الخديوى اسماعيل، وبينما كان السلطان ولي نعمة الفارياق يعقته ويخدره اثر من اثار هذه الجرأة .

وهذه الحياة، المتعددة الجوانب، البعيدة الاغوار، الكثيرة النواتج، صعب على الكاتب ان يلم اطرافها، وان يجمع شتاتها . وتزداد هذه الصعوبة، عندما تكون المصادر صامتة اذا استنطقناها لا تجيب، واذا استحدثناها لا تتحدث . وهذه الالمامة على ما فيها من جهد، ومحاولة للتدقيق والتعمق في البحث، عجزت عن ان تجمع من حياة الفارياق ابعادها المختلفة .

(١) فارس، شدياقه، ص ٤١

## الفارياق المعلم

كما نود ان نغرد لهذا البحث فصلا خاصا به ، لولا انه يقف قزما بين  
الفصول الاخرى ، ويتضال اثره في حياة الشدياق . ونكتفي هنا بالاشارة الى جهوده  
التعليمية .

وهل انسلك الشدياق في مهنة التعليم حتى نخصها بهذا البحث؟ ربما لم  
يعان الشدياق هذه المهنة بصورة منظمة ، ولكنه على كل حال عمل فيها وعمل لها .  
وان نظرة واحدة الى تاريخ حياته ، ترينا انه حاول ذلك بصورة خاصة ، و اشار  
اليه في الساق ، مع انه تنصل منه في مكان اخر . قال في الساق :  
"فتقول ان صاحبنا الفارياق بعد اقامته مدة على الحالة التي ذكرناها جرى  
بينه وبين جده من النزاع والمناقشات ما اوجب عليه ترك ما كان فيه واقتفاء طريق  
اخر من طرق المعاش . فتاح له ان يكون معلما لاحدى بنات الامراء ، وكانت ذات  
طلعة بهية . . . الخ" (١)

ويقول اخوه طنوس في " اخبار الاعيان " :  
" وشرع فارس يدرس النحو والبيان عند احد علماء الازهر ويعلم النحو  
اولاد جرمانوس البحرى الحمصي الملكي الكاثوليكي (٢) .

ولكن فارس في سنة ١٨٥٦ ، حين بلغ ما بلغه من العز فصار الملوك والامراء  
يخطبون وده ، يتنصل من ذلك ويقول في رسالة ارسلها الى اخيه هذا ، ينتقد  
فيها كتابه المذكور :

" والثاني انكم نسبت الي شيئا يخجلني عند الخاصة والعامة بقولكم انني كنت  
اعلم النحو اولاد جرمانوس البحرى ، مع ان ذلك نقيض قولكم اني كنت في خدمة محمد  
علي باشا نعم ذا الذي اخبركم بهذا ولم لم تسألوني عن الواقع لعمر الله ان الحرية  
تموت ولا تأكل بشديبها (٣) .

---

(١) الساق ج ١ ص ٤٧ (٢) اخبار الاعيان ص ١٩٨ (٣) المكشوف عمد ١٧ ص ١٥

ويقول زيدان متحدثا عن مجيئه الى مصر :  
" وكان مجيئه اليها بصفة استاذ للمرسلين الاميركان لتعلم اللغة العربية  
وقواعدها واشياء اخرى " (٤)

ويقول في موضع اخر :

" ولبت في مصر بين تعليم وتعلم ..... (٥)

ويقول ايضا متحدثا عن حياته في مالطة :

" وفي سنة ١٨٣٤ سافر الى جزيرة مالطة واقام فيها زهاء اربع عشرة سنة  
يدرس في مدارس الاميركان (٦)

ويقول الكونت طرازي في ترجمة حياته :

" ثم دعاه المرسلون الاميركان سنة ١٨٣٤ الى جزيرة مالطة حيث عهدوا اليه  
ادارة مطبعتهم وتصحيح مطبوعاتها . فاقام عندهم ١٤ سنة وعلم في مدارسهم (٧)

ويتابعها في ذلك بولس مسعد في ترجمة حياته يقول :

" وفي سنة ١٨٣٤ طلبه المرسلون الاميركان في مالطة فغادر مصر اليها  
واقام فيها ١٤ سنة يعلم في مدرستهم (٨)

ويقول المستشرق هنري بيري

" فالمؤلفات التي نشرها في مالطة بين العام ١٨٣٤ والعام ١٨٤٨ ولا سيما  
الليف في كل معنى لطيف ( ١٨٣٩ ) تحمل الطابع المدرسي الذي كان يشغل دماغه ،  
وتدل على ان نظامه كانت محدودة لا تتجاوز حيورته استادا للغة العربية في  
مدرسة من مدارس المبشرين البروتستنت كزميله اليازجي (٩)

ونحن نعتقد ان ما ذهب اليه بيري وصحيح الى حد بعيد فان مطامح

الشدياق لم ترتق الا بعد ان اعتنق الاسلام . واتصل بالعثمانيين . وقبلها لم يكن  
مستقبلة يتعدى مستقبل اديب ليتعيش من شق قلمه . واذا رجعنا الى الكتب التي

---

(١) تراجم مشاهير مشرق ج ٢ ص ٧٤ (٢) نفس المصدر ص ٧٥ (٣) نفس المصدر ص ٧٦  
(٤) تاريخ الصحافة ج ١ ص ٩٦ (٥) فانس بديار ص ١٨ (٦) في مقال نشر في المصنف

اشار اليها بيريس والتي الفها الشدياق في الفترة التي سبقت اتصاله بالسلطان . نجد انها في الغالب مدرسية . ومن هذه الكتب :

١ . الباكورة الشهية في نحو اللغة الانجليزية ، والمحاورة الانسية في اللغتين

العربية والانجليزية - مالطة ١٨٣٦

٢ . الليف في كل معنى ظريف - مالطة ١٨٣٩

٣ . شرح طبائع الحيوان (معرب) - مالطة ١٨٤١

٤ . السند الراوي في الصرف الفرنسي ١٨٥٣

٥ . كتاب قراء للصغار .

كل هذه الكتب يطبعها الطابع المدرسي ، ولعل الشدياق احتاج الى بعضها اثناء قيامه بمهمة التدريس في مالطة عند ما كان استاذا في مدارس المبشرين . وقد عرضنا لبعضها في هذا الكتاب ، وفي غير هذا الفصل ، ونعرض الان لكتاب اخر .

### الليف في كل معنى ظريف

وضع الشدياق هذا الكتاب ليدرس في الكتاب الذي انشأته اللجنة المنتدبة

بترقية الصالح وجعلته قيما عليه<sup>(١)</sup> . وعنه يقول :

" وقد كنت اكثر من الجمع في هذا الكتاب من حكم مفيدة وكلم سديدة وامثال

ادبية ، وحكايات تهذيبية ونوادير تفكيهية ونكات لهوية ، ينفكه في حدائقها الخاطره ،

ويتزه في روائعها الناظره ، ثم قسمته الى ثلاثة اقسام (الاول) يشتمل على خرافات

موضوعه (والثاني) على ادبيات من جد وهزل (والثالث) على ذكر بعض المشاهير

من العرب المتقدمين والمتأخرين<sup>(٢)</sup>

ومن يتصفح الكتاب يلاحظ انه حوى كل ما يحتاجه المبتدى في تعلم اللغة

العربية ففيه تعاريف على النطق بالحروف منفردة ثم النطق بها في كلمات ، وفيه صيغ

مختلفة من الافعال ومستقاتها ، وفي تخصيص الحسن وتخصيص الطعام وفي تفصيل الطريق

والريح والارض وفي انواع الماء والوان الخيل واسماء التراب واسماء المطر وفي

(١) اللقب ص ٥٥ (٢) اللقب ص ٤

صفات الانسان الحميدة وفي صفاته الذميمة وفي خصال المرأة . وفيه قصر طريفة عن الحمقى والمغفلين ومن نوادر جبا وقره قوش وابي العنبر وابي الزنبور . وفيه الكثير من الحكم والاداب واشعار المختارة . وفيه كثير من الخرافات اخذ معظمها عن كتاب "كليلة ودمنة" لابن المقفع .

واعتمد ان الشدياق استطاع ان يصل الغاية التي كتب من اجلها الكتاب ، وهي تعليم اولاد المكاتب اللغة العربية وتمرينهم على النطق بها وتسهيل قراءتها على من يرغب في تعلمها في وقت قريب . وتظهر ذلك في كثرة الامثلة التي جاء بها . وفي تشكيلة اكثر الكلمات شكلا تاما وفي ايراد القصص والخرافات التي تحوى عظة اخلاقية ومغازى تهذيبية . والكتاب يدل على حسن مرهف وذوق انيق في اختيار الامثلة .

#### انتاج الشدياق :

ليس من المهيّن جمع كل ما انتجه الشدياق في عالم الادب . فهناك كتب كثيرة ضاعت له لاسباب مختلفة اهمها نزعه المتطرفة في انتقاد احدى الطوائف المسيحية ، مما جعل افراد هذه الطائفة ، ورجال الاكليروس فيها يسعون الى حرق اثاره والقضاء عليها . وسنورد هنا ما انتجه الشدياق معتمدين على المصادر مرتبا حسب سني الطبع<sup>(١)</sup>

١٧ . خبرية اسعد الشدياق - مالطة ١٨٣٣

٢٧ . الواسطة في معرفة احوال مالطة - الطبعة الاولى : مالطة ١٨٣٤ ، والثانية : الجوايب (الاستانة) ١٢٩٩ هـ .

٣٧ . الباكورة الشهية في نحو اللغة الانجليزية ، الطبعة الاولى : مالطة ١٨٣٦ والثانية الجوايب (الاستانة) ١٢٩٩ (طبعت هذه الطبعة مع المحاوراة الانسية في اللغتين الانجليزية والعربية)

٤٧ . اللفيف في كل معنى ظريف : في جزئين (طبع الاول فقط) الطبعة الاولى : مالطة ١٨٣٦ والثانية : الجوايب (الاستانة) ١٢٩٩ هـ .

(١) اعتمدنا في تحصيلنا هذه "الاداب العربية في القرن التاسع عشر" لسيخو ج . ، و"تراجم مشاهير العرب" لزياد ج . ، و"تاريخ الصحافة العربية لطرزي ج . ١٠ ، و"فارس الشدياق لبولس سعد . وجميع المطبوعات العربية والمغربية لبونفا ايدان سركيس والطبعة الكتاب تاريخ الادب II لبروطلمان ، ولجميعها عند المصادر

- ٥٠ . المحاوراة الانسية في اللغتين الانجليزية والعربية : الاولى : مالطة ١٨٤٠  
والثانية : الجواب (الاستانة) مع الباكورة الشهية سنة ١٢٩٩ هـ .
- ٦٠ . شرح طبائع الحيوان : في جزئين طبع الاول منهما فقط : مالطة سنة ١٨٤١  
وهو معرب عن كتاب *Natural History for the use of School B.W.F. Meier*
- ٧٠ . قصيدة في مدح احمد باشا تاي تونس - ١٨٥١ - تجدها مع الترجمة الالمانية  
في مجلة الجمعية الاسيوية الالمانية Z.D.M.G. المجلد الخامس ص ٢٥٠
- ٨٠ . سند الراوى في الصرف الفرنساوى بالاشتراك مع غوستاف دوجا . باريس ١٨٥٣
- ٩٠ . الساق على الساق فيما هو الفاريق او ايام وشهور واعوام في عجم العرب  
والاعلام الطبعة الاولى : باريس ١٨٥٥ بنفقة رافائيل كحلا الدمشقي والثانية في  
مصر (١٩١٩) بنفقة مكتبة العرب لصاحبها يوسف توما البستاني في مطبعة  
رعسيس والثالثة في مصر بنفقة المكتبة التجارية عام ١٩٢٠
- ١٠٠ . ترجمة الكتاب المقدس - لندن ١٨٥٢
- ١١٠ . كشف الصخبا عن فنون اوروبا - الطبعة الاولى في تونس (١٢٨٣ هـ) والثانية  
في الجواب (الاستانة) ١٢٩٩ هـ .
- ١٢٠ . غنية الطالب ومنية الراغب في الصرف والنحو وحروف المعاني - الطبعة الاولى  
في الجواب ١٢٨٨ هـ والثانية فيها ١٣٠٦ هـ
- ١٣٠ . كنز الرغائب في منتخبات الجواب - في سبعة اجزاء : الاول : وهو يحتوى على  
بعض ما في الجواب من الفصول اللطيفة والمقامات الظريفة والمقالات الادبية  
التي لمحرر الجواب . والثاني يحتوى على اخبار حرب السبعين بين فرنسا  
وبروسية والثالث يشمل على بعض القصائد التي نظمها صاحب الجواب بالاستانة  
والرابع يحتوى على القصائد التي نظمها افاض العصر من العلماء والادباء في  
مدح صاحب الجواب . والخامس والسادس والسابع تشتمل "على ما في الجواب  
من الحوادث التاريخية والوقائع الدولية من جعلتها الاوامر السلطانية التي صدرت  
في الخطوب الشهيرة وغير ذلك من الفوائد التي يحتاج اليها كل اديب اريب  
ويحتاج اليها كل مؤلف لبيب (٥)

- ١٤ ✓ • كنز اللغات : فارسي وتركي وعربي - بيروت ١٨٢٦
- ١٥ ✓ • الجاسوس على القاموس : بدأه اثناء تجوله في اوروبا<sup>(١)</sup> وطبعه في الاستانة  
علم ١٢٦٦ هـ .
- ١٦ ✓ • سر الليال في القلب والابدال في جزئين . طبع الاول في الاستانة سنة ١٨٨٤  
والثاني لا يزال مخطوطا .
- ١٧ ✓ • العقامة البخشيشية او السلطان بخشير . طبعت مع الترجمة الفرنسية بقلم  
م . ارتو في الجزائر سنة ١٨٦٣
- ١٨ • فلسفة التربية والادب - وهو جملة اقوال مختارة من جمل الشدياق الادبية  
التي نشرها في الجوائب<sup>(٢)</sup> طبع على نفقة علي خطاب بالاسكندرية سنة ١٩٢٤
- الكتب المخطوطة<sup>(٣)</sup>

- ١٩ • المرأة في عكس التوراة : وهو سفر ضخيم في نحو ٧٠٠ صفحة افترغه في قالب  
بديع لم ينسج احد على منواله وقد شرع في انشائه على اثر ترجمته للتوراة  
في لندن واتمه في اواخر حياته وكان قد اوعز الى ابنه الا يطبعه الا بعد  
وفاته .
- ٢٠ • منتهى العجب في خصائص لغة العرب : " وقد قضى في تأليفه اعواما فجا  
سفرافيا طويلا بلغ عدة مجلدات بحث في خصائص الحروف الهجائية عند  
العرب ونسج في وضعه واسلوبه على منوال لم يسبقه اليه احد من ائمة اللغة .  
ولكنه احترق مع ما احترق من مخطوطاته هذه وسواها من الاوراق التي لم  
يتصل بنا نياها<sup>(٤)</sup> .
- ٢١ • النفائس في انشاء احمد فارس
- ٢٢ • الروص الناضر في ابيات ونوادير
- ٢٣ • التقنيع في علم البديع
- ٢٤ • لا تاويل في الانجيل<sup>(٥)</sup>
- ٢٥ • ديوان شعري يحوى ٢٢ الف بيت وقد صححه علم ١٨٨٢

(١) مجلة الجمعية الآسيوية الألمانية J. D. M. G. مجلده ص ٤٤٩ (٢) تجدوا في كنز اللغات  
ع ١ ص ٢٦ (٣) فارس الشدياق ص ٤٥ (٤) فارس الشدياق ص ٤٦ (٥) تاريخ الحروف ص ١٤ ص ١٤

- ٢٦ • نبذة شائقة في الرد على مطران مالطة .  
٢٧ • فصول ورسائل شتى نشر بعضه في الكتب والصحف والمجلات<sup>(١)</sup> ومنها ما هو محفوظ حتى اليوم عند اقاربه .  
٢٨ • مناظراته لابراهيم اليازجي نشرت في مجلة الجنان<sup>(٢)</sup>  
٢٩ • تراجم مشاهير العصر<sup>(٣)</sup>

### اولاده :

تختلف المصادر في تعداد اولاده كما تختلف في اشياء كثيرة تتعلق به .  
ولكننا سنعمد هنا على الروايات الاقرب الى العقل والى القياس التاريخي .

خلف احمد فارس ثلاثة اولاد هم سليم ولد في القاهرة عام ١٨٢٦ وتوفي عام ١٩٠٦ او ١٩٠٧ وفايز ولد في القاهرة عام ١٨٢٨ وتوفي طم ١٨٥٦ في الاستانة واسعد ولد طم ١٨٥٠ وتوفي ١٨٥١ في ضواحي لندرة وقد رثاه والده بقصيدة مطلعها

الدمع بعدك ما ذكرتك جار      والذكر من ورائك توب وار<sup>(٤)</sup>

اما سليم فهو بكر ابيه . ولد في مصر واهه بنت الصولي . وقد اشتهر امره في الاستانة حين صار يساعد ابيه في تحرير الجوائب وحين استقل باصدارها في الاستانة حتى عام ١٨٨٤ وحين تعطلت على اثر احتلال الانجليز لمصر . وفي تونس بعد ذلك وفي جريدته القاهرة الحرة التي اصدرها بالاشتراك مع الاستاذ يوسف آصاف المحامي<sup>(٥)</sup> . وكان لهذه الجريدة لم تنجح فاضطر لايقانها<sup>(٦)</sup>

وقد لمح سليم في السياسة الداخلية والخارجية حتى اصبح من كبار الساسة العثمانيين . فدخل جمعية " تركيا الفتاة " واشترك في وضع الدستور الذي اقترحه

(١) نشر بطلا في الملتوف عدد ٧٠ والبعض الآخر في مجلد رسالة اسلام المجلد السادس ص ٦٧  
(٢) سنة ١٨٧١ (٤) ذكره زيدان فقط في تراجم مشاهير مصر ج ٢ ص ٨٢ (٥) هذه الأخبار رواها سعد في " فارس الديانة ص ٤٧ (٦) فارس الديانة ص ٤٤ (٧) The Arabic Press of Egypt - Literature



مدحت باشا في عهد عبد الحميد • وكان من انصار السلطان مراد وخدمى مصر •  
"وقد ظفر بثقة السلطان عبد الحميد فاخصه بالرتبة الاولى المتمايزة وجال في عواصم  
اوروبا واتصل بانظابها وحكامها وورث عن ابيه كنوزه وثروته العظيمة مادية كانت  
او ادبية فكانت له عوناً على الاحتفاظ بمقامه ومكانته الادبية العالية"<sup>(١)</sup>

وقد ترك سليم بنتا اسمها روز وهي مسلمة ولدت له من زوجته الشركسية  
التي تزوجها في الاستانة • وقد تلقت العلوم في كلية روبرت في اسطنبول •  
وتزوجت من الجنرال ليج وهو ضابط برتبة يوزباشي في الجيش البريطاني • ولكنهما  
اختلفا بشأن التصرف بثروتها الخاصة فطلقها • وقد كانت الى عام ١٩٢٤ حية •  
وعندها جل آثار جدها الادبية • وقد ابت التخلي عنها بحجة خوفها عليها من  
الضياع • ولا سيما انها مخطوطة بقلم جدها •

وتوفي سليم عام ١٩٠٦ في لندرة على رواية بولس مسعد<sup>(٢)</sup> • اما شيخوفانه  
يقول انه توفي عام ١٩٠٧ في سان ريمو<sup>(٣)</sup> ولا ندرى اى الروايتين نعتمد • وليس  
فيما بين ايدينا من المصادر ما يوضح ذلك •

اما فائز فتروى المصادر ومنها زيدان<sup>(٤)</sup> انه توفي في ضواحي لندرة  
ورثاه ابوه بقصيدة مطلعها : الدمع بعدك ما ذكرك جار الخ • والبعض الاخره  
ومنه لبولس مسعد • يقول انه توفي في الاستانة عام ١٨٥٦ • واذا تابعنا رواية مسعد  
في انه ولد عام ١٨٢٨ في القاهرة • فلا يمكن ان يكون هو الذى توفي في ضواحي  
لندرة ورثاه ابوه بالقصيدة الرائية • لان الشدياق روى في الساق ان ابنه هذا  
كان عمره حوالى العامين<sup>(٥)</sup> • ونحن نعلم ان الشدياق سافر الى اوروبا في سنة ١٨٤٨  
ومكث فيها بضع سنوات • فيكون عمر فائز قد جاوز العشرين •

اما هذا الولد الذى رثاه ابوه • فمن المحتمل ان يكون • كما روى بولس مسعد<sup>(٦)</sup> •  
هو اسعد وقد ولد سنة ١٨٥٠ وتوفي سنة ١٨٥١ او ابنه من زوجته الانجليزية  
الذى توفي صغيرا حسب رواية البستاني<sup>(٧)</sup> • ونقف عند هذا التخمين • حتى نعر على  
مصادر جديدة تعدل اقوالنا هذه او تثبتها •

(١) فارس الشدياق ص ٤٧ (٢) فارس الشدياق ص ٤٧ (٣) تاريخ الآداب العربية في اربع اول مسد  
لقرن العشرين ص ٦٤ (٤) تراجم مشاهير اشراف ج ٤ ص ٧٥ (٥) فارس الشدياق ص ٤٧ (٦) اسعد  
ج ٤ ص ٤٥ (٧) فارس الشدياق ص ٤٧ (٨) دائرة المعارف ج ١٠ ص ٤٤٩

## الفصل الثالث

### الكاتب

ويتناول ادبه الثرى بالمرح والتجليل والد راسة

### الفصل الثالث الشدياق الكاتب

يبرز لنا ادب الشدياق الكاتب في "الساق على الساق" و"الواسطة معرفة احوال مالطة" و"كشف المخبا عن فنون اوروبا" وفي "الجوائب" . هذا عدا عن الرسائل والاخوانيات التي كان يكتبها الى اصدقائه واقربائه وعدا عن مقدمات كتبه المختلفة . ولكن اجلى ما يظهر فيه اسلوب الشدياق الفني هو "الساق" . لانه يقف منفردا بين مؤلفاته ، لا يجمعه واياها جامع الا انها جميعا فيخر عبقرية واحدة . وسنتحدث في هذا الفصل عن هذه الاثار الجليلة .

#### ١ . الساق على الساق فيما هو الفارياق :

اذا ذكرنا الشدياق الاديب المبتكر، الذي قدم لنا على مائدة الادب في القرن التاسع عشر طعاما شهيا فيه لذة للاكلين حين كانت موائد الادب تزخر بالمجففات . ذكرنا هذا السفر الجليل ، الذي نعدّه من اغنى الاثار الادبية التي صدرت في هذه النهضة ، في الروح التي تستر وراءه ، وفي العبقرية التي فاضت به ، وفي القلم الذي صور لنا تلك الروح ونقل الينا تلافيف تلك العبقرية . وعن هذا الكتاب يقول الاستاذ مارون عبود :

"لم يكتب مثله شرقي كما يقصر عنه الكثيرون من نوايح الغرب . فايام طه حسين وكتاب الفونس دوديه ، مثلا ، الهية بالقياس اليه . وربما كان بينه وبين اضرافات روسو بعض القرابة الدموية" .<sup>(١)</sup>

وقد يكون هذا الكتاب انفس معطيات الشقاء الذي لازم المؤلف في الجزء الاكبر من حياته : شقاء في الحياة ، وشقاء بمقتل اخيه الذي كان يحبه حبا جما ، وشقاء نبع من مصدر قل ان ينبع منه شقاء ، وهو حب الجمال ، اذ اولع به وبصاحباته الى بعيد ، فخصر له ولهن نصيبا كبيرا من ساقه . وهو يتنوّه بالاسباب التي دعت الى وضع هذا الكتاب فيقول :

١ . الساق على الساق هي الحب التي يجسك القاص انسا دقص حفايا . والفاربا به ام سوت من ام المؤلف

حزازات على ذات النطاق  
واضئ القلب من اهل النفاق  
وذو المكر المناق في نفاق  
وحبي الله يعلم ما الاقي<sup>١٥</sup>

كتبت الفاريق وفي فوادى  
وزاد الخطب شرا ما شجاني  
اذ الاوفي لديهم في كساد  
فكنت ملاقيا منهم عذابا

وفي الساق ذكر لهذه الاسباب مفرقة في اماكن مختلفة ومكررة في اكثر الاحيان وبالاجمال يمكننا ان نرجع هذه الاسباب الى ما يلي :

١٠١ رغبة فنية دعت المؤلف الى وصف حياته واسفاره واحواله الخاصة وبيئته  
باسلوب فني جميل . اعمل فيه ترتيب الحوادث وذكر السنين . وهو ككل فنان اصيل  
يكتب اولا لذاته ولا تهمة ذوات الناس . وهو يكتب ليشبع نهما في نفسه . وليشفي حكة  
في قرنه :

اني به لن استفيد رغيفا  
خزا على وقدي ولا كرسوفا  
اني اطاح مرة تألـيـفا<sup>١٦</sup>

وحياة رأسك ان رأسي طرف  
كلا ولا اقطا ولا حشفا ولا  
لكن بقربي حكة حاجت على

ويشير الى ذلك في عرض الكتاب بقوله :

"ولعمري انه ليس في هذا الكتاب شيء يعاب سوى وجدانك الفاريق فيه  
تارة يحشر بين الغواني وتارة يدمق عليهن وهن آمنات في حجالهن او في حديقة او  
في زاوية او على السرير . ولكن لم يكن لي بد من ذلك . ان الكتاب موضوع على  
قصر اخباره وعلم احواله<sup>١٧</sup> ."

وربما كان من نتيجة هذه الرغبة الملحة انه احب ان يظهر مقدرته على  
الكتابة . قديمها وحديثها . واضعا امامه ناصيف اليازجي . الذي كان يرأس مدرسة القديم .  
خصما له . وفي ذلك قال هنري بيريس :

"وهناك صدفة عجيبة حقا : ففي الوقت الذي كان فيه ناصيف اليازجي يطبع  
كتابه مجمع البحرين في بيروت كان فارس الشدياق يفكر في مشروع الساق على الساق

١٥ . كنز الريفان ج ٢ ص ١٤٤

١٦ . الساق ج ١ ص ٦

١٧ . الساق ج ١ ص ١٤

ويحققه . هل اراد ان ينافس الكاتب اللبناني ويسبقه ؟ اما انا فاميل الى الاعتقاد بانه قصد الى المنافسة والسبق لانه كان مطلعا على حركة النتاج الادبي في بيروت عن طريق الجاليات السورية في مرسيليا وباريس ولندن واستطاع ان يلبي دعوة اصدقائه المنفيين الى الكتابة ههههه الاصدقاء اليسوريين الذين كانوا يعرفون احبانا كيف يظهرهم بمظهر المشجعين البصيرين للادب والذين لم يكونوا يترددون وبالرغم من بعدهم عن ارض الوطن وفي مساعدة اخوانهم الادباء شأنهم في هذا شأن الكثيرين من زملائهم التجار الانجليز او الفرنسيين . ثم لانه ، على الخصوص ، اختار لكتبه اسلوب المقامات مما يترجح لدينا معه ان يكون قد قام بين فارس وناصر سباق ادبي حمله عليه اصدقاؤه .<sup>١٠</sup>

٠٢ التعريض برجال الدين الذين اضطهدوا اخاء اسعد وعذبوه وساقوه الى القبر سوفا . وقد خصهم بمختلف انواع الشتائم وفنون الاقذاع وحتى ظهر الكتاب والطابع الغالب عليه هو شتم رجال الدين وذكر القصر والوقائع التي تسيء الى سمعتهم ، وهو يشير الى ذلك بصراحة اذ يخاطبهم قائلا :

" لقد تفلت من ناديك وانلص من بين اياديكم وعنجر في وجوهكم جميعا واصبح لا يخاف لكم وعيدا . وبقي الان ان اذكركم ما اشططتم به من الظلم والطغيان والجور والعدوان على اخي المرحوم اسعد . ان اودعتموه السجن في داركم الوزيرية بقنوبين نحو ست سنين . وبعد ان انقتموه جميع ضروب الذل والهوان ، والبؤس والضنك في صومعة صغيرة لزمها فلم يكن يخرج منها الى موضع يبصر فيه النور او يستنشق الهواء اللذين يمن بهما الخالق على الابرار والفجار من عباده ، قضى نحبه . وما كان سجنكم له الا لمخالفته لكم في اشياء لا تقتضي عذابا ولا عتابا . وما كان لكم عليه من سلطان ديني ولا مدني . . . . . الخ " الى ان يقول :

" وان اخي رحمه الله وان يكن قد مات فذكره لن يموت . وكلما ذكره ذاكر من اهل الرشد والبصيرة ذكر معه ايضا سوء فعلكم وافحاشكم وغلوتكم وجهلكم وشناعتكم " .<sup>١١</sup>

١٠ . المكتوب عدد ٤١٥ ص ٢  
 ١١ . السامه ج ١ ص ١٠٢ ، ١٠٤

٣ . وصف النساء : وقد حاول الفارياق ان يجمع جل ما يتعلق بهن من اوصاف حسنة ورديئة . ولكن الحين عنده يغلب الردى . وهو يشير الى هذه الغاية بقوله :

\* بل فيه من ذكر الجمال واهله ادام الله فرهن ما يوجب اعظامه وتقريظ مؤلفه حيا ثم تأبينه بعد مفارقتها اياهن برغم انه \* :<sup>١٠</sup>  
ويقول في موضع اخر :

\* هذا واني قد الفتته وما عندي من كتب العربية شي اراجعه واعتمد عليه غير القاموس . فان كتبي كانت قد فركتني فاعتزلتها . غير ان مؤلفه رحمه الله لم يغادر وصفا في النساء الا وذكره . فكانه كان الهم ان سيأتي بعده من يخصص في قاموسه على جمع هذه اللالي . في مؤلف واحد متسق لتكون اطلق بالذهن وارسخ في الذكر . ولولا اني خشيت غيظ الحسان علي لكنت ذكرت كثيرا من مكايدهن وحيلهن ومحالهن . لكني قصدت بتألفه التقرب اليهن وترضيهن به \* :<sup>١١</sup>

٤ . الاصلاح الاجتماعي : ولعله لم يكن دافعا مباشرا الى تأليف هذا الكتاب . الا اننا نستنتجه ضمنا من مطالعتنا لابهائه . وهذا الاصلاح يتناول معظم وجوه الحياة وقل ان يخلو منه اثر من اثار الشدياق .

٥ . ايراد الالفاظ المترادفة : وقد رتبها في مجاميع حسب المواضيع . وقد ذكر منها الشيء الكثير وجعل لها فهرسا خاصا في اخر الكتاب . وهو يشير الى ذلك بقوله :

\* ولعمري لو لم يكن من شافع لقبوله واجرائه عند الادباء وعندكم انتم ايضا مجرى كتب الادب سوى سرد الفاظ كثيرة من المترادف لكفى \* :<sup>١٢</sup>

هذه هي الاسباب التي دفعت الفارياق الى كتابة هذا المؤلف . وقد الفيناها منتشرة في عرض الكتاب . مسفرة احيانا ومشترة اخرى . الا اننا نعتبر السبب الاول هو المباشر . لانه الدافع الاول في انتاج كل اثر فني . والمنتج اول ما ينظر الى

١٠ . الساج ١ ص ١٠

١١ . الساج ١ ص ١٢

١٢ . الساج ٤ ص ١٠

نفسه، واول ما يحاوله هو تحقيق رغباتها وابرار تجاربها واحساساتها في زى  
جميل، وتعقبه الراحة والقرار .

عوض الكتاب : قسم الكاتب هذا المؤلف الى اربعة كتب تناول فيها تاريخ حياته منذ  
طفولته الى ان زار اوروبا لنسأهم في تعريب ترجمة التوراة . وقد صور في اثناء  
ذلك الانطباعات التي تركها البلاد التي زارها في نفسه، وتصويرا جميلا رائعا كان  
يمتزج في اكثر الاحيان بالتمكيم المر والسخرية اللاذعة . والشدياق نقادة حماس،  
ترسم في نفسه ارق الصور وتنطبع في حسه ادق الخلجات . ولذا جاء كتابه هذا  
عمارة فنية عديدة الاركان سامقة البنيان، قل ان نتعرف الى مثلها في ارب النهضة  
الحديثة . واذا ذهبنا نتلمس اثار الابداع والظرافة فيه الفيناها كثيرة متنوعة،  
واعترفنا للمؤلف انذاك بانه في طبيعة المجددين في الدنيا الحديث، وبان ساقه  
هذا تاريخ ثورة .

يستعمل المؤلف الكتاب بقصيدة من الشعر الفكاهي، اراد بها ان تكون مقدمة  
للكتاب . وفيها يبين لنا ماهية هذا الاثر الذي تقدم الى قراءته، فيقول :

هذا كتابي للظريف ظريفا	طلق اللسان وللسخيف سخيفا
اودعته كلما والفاظا حلت	وحشوته نقطا زهت وحرولا
وبداهة وفكاهة ونزاهة	وخلاعة وقناعة وعسسزونا

ثم يبين لنا انه انما فصله على عقله بمقصر فنه، لا بمقصر فن القارى

فصلته لكن على عقلي فما  
مقياس عقلك كان لي معروفا

ثم يمضي معددا فوائده، واصفا مميزاته، فيقول :

تبلته لك دون طاهي القوم	بالربلات فهي تزيل منك خلوفنا
وتصح ما بك من طلاطلة ومن	ضرس فتلقم بعد ذاك الوقا
يغنيك عن مين الطيب وسحله	ما من جراء تخازم الحتروفا

روضا وجنات تروق وريفا  
دها يفتن حسنها الغطريفا  
والفارض القرطاس والسرعونا  
وغرائق ما ان تزال انوفنا

قد انبتت غصرا ارض سطوره  
فتشم منه عرف كل ربحسلة  
وترى الملطعة الشناط بجانبها  
ووراها وامامها مرمورة

ثم يقصر علينا كيف حبلى به رأسا ، لا بطنه عاما كاملا ، خلافا للنساء ، وكان العام كله خريفا . ثم وضعه في ثلاثة اشهر :

حبلى به رأسي خلافا للنساء  
لكن تولد في ٣ اشهر  
لم ادر هل رجلى او مخظته او  
عانيت فيه من الزحير اجارك المولى  
عنا لا يكال جزيفا

حتى اذا وقع الخلاص وتم الوضع (قطع سرته على اهل الحجى وارضعه بفكره)

وقطعت سرته على اهل الحجى  
ما كان من ظئر له عندي سوى  
قدما عليه توحمت نفسي ولم  
وعلى اسمهم لا يبرحن موقونا  
فكرى ومع ذا خلته مسروفا  
يك شوقها عن نحوه مسروفا

ثم يذهب في تعداد منافبه ، وما يتخذه من المواقف امام اصدقائه (قراءة) ، على اختلاف مشاربهم . فتارة تراه سلسا لطيفا طيما ، تسمح له اثناء القراءة نغما مطربا ، وطورا تراه شديدا جافيا يقسو على قارئه اذا رمى به جانبا ومال عنه الى كتاب اخر ، يسمعه مزيفا كعزيف الجن ، فكانه روح خفي يسعد من يانس اليه ويشقى من يرمى به ولا يابى له :

من كان يرغب فيه فهو موفى  
في الليل يسمع منه غطغطة يظيب نعاسه  
ولرب نور ساطع يغدو اذا  
اولا فقد ضل السبيل وايفا  
بدوامها وجـحيفا  
قابلته يوما به مكـسـوفا



وكبير بطن ضاق منه وفاتك  
كالزئبق العرار ينظره ولا  
يهوى هوى الريح في الوادي اذا  
هو خير داح للذي لم يرضى من  
ان تتله يطربك حسن بسفاهه  
فيه ترى البرد مشى ثم ان  
واذا ثقلت من الطعام وغيره  
واذا اتخذت حديقة فاغرس بها  
ذى شرة عنه يخيم ضعيفا  
يستطيع يمسك من قفاه صوفا  
ما هيج ثم يسمن الشنعوفا  
لعب الزمان ولهوه جذروفا  
او تلغه يسمعك منه عزيزفا  
تارت خجوجات السهام مصيفا  
تلقى به من ثقله تخفيصفا  
منه كليعات تزدد قظوفا ١٥

وكثيرا ما ينصب نفسه حكما بين الناس . فانه اذا رأى شخصين يتخاصمان في  
الشارع فانه لا يكاد يعرف الاشقى منهما حتى يسارع الى لحيته ينقض عليها وينتف  
شعرها :

واذا تخامم كاذبان فلحمة الاشقى يغادر شعرها مستوفا  
حتى كان الشعر من لحيتهما  
قطن الحشايا ناعما مندوفا ١٦  
وهو يقدم اليك هذا الكتاب لوجه الله . غير امل ان يجنى من ورائه جزاء ولا شكورا  
وغايته الاولى فنية محضة :

وحياة راسك ان رأسي طرف  
كلا ولا اقطا ولا حنفا ولا  
لكن بقروني حكة هاجت على  
من كان يوجركي يؤولف خطبة  
ما راج من قولي فخذة وما تجد  
لا بد ان تجد الصيارف مرة  
اني به لن استفيد رغيفا  
خزا على وتدى ولا كرسوفا  
اني اطالج مرة تأسيفا  
فهو الخليق بان يعد عسيفا  
من زائف فاتركه لي ملفوفا  
بين الدراهم درهما مزبوفا ١٧

وهكذا يقدمه الينا ، طالبا منا ان نقف منه موقف الحاكم العادل لا نميل مع هذا  
ولا مع ذاك . وانما نحكم عليه بما يستحقه . يقدمه الينا نظيفا نقياً ، فان قبلناه قبولاً

١٦. الساجح ١ ص ٥٠

١٧. الساجح ١ ص ٦٤

١٨. نقى المصدر -



مدة طويلة . جاد فيها خطه . واتسع قاموسه اللغوي . وقد كان له منذ صغره . ارتياح  
غريزي لقراءة الكلام الفصيح وامعان النظر فيه . ولالتقاط الالفاظ الغريبة التي كان  
يجدها في الكتب . فان اياه كان قد احرز منها الشيء الكثير . في مختلف الفنون .  
وكان يتهافت منذ حداثة على النظم دون ان يتعلم شيئا مما يلزمه . فكان يصيب مرة  
ويخطئ مرات .

وفي صغره اتفق ابوه مع بعض مشايخ الدروز على خلع امير الجبل . ولكنهم  
اخفقوا وقرّوا الى دمشق يطلبون النجدة من وزيرها . فوعدهم ومضاهم . واصبح  
الفارياق يشتغل في النساخة ويعيل امه . ولم يلبث ان جاءه نعي ابيه من دمشق .  
فاضطر لان يعكف على النساخة . ولما شاعت براعته فيها ارسل اليه الامير حيدر شهاب  
ليطلي عليه بعضا من تاريخه المشهور . وبعد ان فرغ من هذه المهمة عاد الى بيته  
يشتغل بالنساخة ثانية حتى ملها . وقد دفعه هذا الطل الى ان يفكر عن مرفق  
جديد من مرافق العيش . فاشترك مع صديق له في تجارة متجولة . ولكن سوء الطالع  
الذي كان حليفا له . لازمه في هذه المرة ايضا . فباعت التجارة بالخسران . فباعا  
انحمار وما تبقى من البضاعة وطادا الى حالتها فاذا بها اسوء من قبل . فانتهجوا  
طريقا جديدا . واستأجروا خانا مكا في مدة اضطر فارس فيها لان يغادره الى بيت  
امير من امراء العصر . ليعلم ابنته مبادئ العلم . ولبت يعلم سيدته الصغيرة . وجعل  
من دأبه ان يتودد اليها باغضاء النظر على اصلاح غلطها . بل لم يكن يرى ان  
صاحبة هذا الجمال يجوز ردها . فتأخرت هي في العلم وتقدم هو في الهوس  
فما قال فيها :

بروحي من اعلمه وقلبي اسير هواه لا يستطيع صبرا  
اغار عليه وجدا من حروف يفوه بها فتلثم منه ثغسرا

وبعد ان انتهت هذه المهمة الحلوة اللذيذة عاد الفارياق الى عاداته القديمة . ومن  
نسخ الكتب ومدارستها . الى ان حدث ما حدث لاختيه اسعد . وتيسر له امر الاتصال  
بالمرسلين الاميركيين . فاعتنق مذهبهم . فارسلوه الى مصر تمهيدا لارساله الى مالطة .





"والظاهر ان سادتنا رؤساء الدين والدنيا لا يريدون لرعيتهن المساكين ان يتفقوا او يتفقدوا بل يحاولون ما امكن ان يفادروهم متسكعين في مهامه الجهل والغباوة (اع اع) ان لو شاءوا غير ذلك لاجتهدوا في ان ينشئوا لهم هناك مطبعة تطبع فيها الكتب المفيدة سواء كانت عربية او معربة (سر سر) فكيف ترضون يا سادتنا الاعزة لعبيدكم الاذلة ان تربي اولادهم في الجهل والعمه (عزوى عزوى) وان يكون معلومهم لا يعرفون العربية ولا الخط والحساب والتاريخ والجغرافية ولا شيئا غير ذلك مما لا يد للمعلم من معرفته (تعزى تعزى) فكم لعمرى من ملكات براعة وصدق من الله تعالى بها على كثير من هؤلاء الاولاد . غير انه لفقده اسباب العلم وعدم ذرائع التأديب والتخريج طفت جذوتها فيهم صغر بحيث لم يمكن ان يتقيا بهم تتف التحصيل على كبر (اوه اوه) هذا وانكم بحمد الله من المتمولين لا يعجزكم ان تنفقوا كذا وكذا كيسا على انشاء مدارس وطبع كتب مفيدة (ايه ايه) فان لبطرك الطائفة المارونية دخلا له وقع عظيم وقدر جسم بحيث يمكنه ان يحيي به قلوب طائفته هذه الثارزة التي لا هم لها في المنايسة والعبارة في شيء يبين من سبقوهم الى كل علم وفضل (هيس هيس) وانما همهم ان يتعلموا بعض قواعد في نحو اللغتين العربية والسريانية لمجرد العلم بها فقط من دون فائدة (آه آه) ان لم يعلم الى الان ان احدا منهم ترجم كتابا او كراسة مفيدة في هاتين اللغتين ولا ان البطرك امر بطبع كتاب لغة فيهما (تغ تغ) .

وكثيرا ما يعرض بسلوكهم مع نساء رعيتهن فيصفهن بالاندفاع في الشهوة وبالفساد وبالجشع في الجنس:

"وكان هذا القسيس الصالح قد تمكن من حريمه تمكنا لا يباريه فيه النسيم والقي عصاء عند احدى بناته وكانت ذات وجه وسيم ومنطق رخيم وكانت تزوجت برجل قد جن وتخبّل مخلته وجنونه واعتصمت بقوة ابيها فكان القسيس أمرا عليها مطاط وناهما وزاطا . فكانت كلما دخل فيها شيء او خرج منها شيء تطالعه به لانها كانت ممن فقط قصرى الدين والدنيا معا . وكانت تعترف له بجرائرها في الخلوة وهو يسألها عن كل زلة وهفوة . فيقول لها هل تتذبذب اليثاكن ويتدحرج ثدياكن عند صعودك الدرج او

عند العشي . وهل يحدث فيك هذا الارتجاج من لذة . فقد ورد في بعض الاخبار ان بعض الجلامظة كان يرتاح الى اى ارتجاج كان . حتى كان كثيرا ما يتمنى ان تنزل الارض من تحته وتمور الجبال من فوقه . وهل يمثل لك في الحلم ضجيج يكافحك وخليج يضافحك اذ لا فرق عند الله بين اليقظة والنام . وان اعظم الحقائق انما بني على الاحلام . وهل وسوس اليك الوسواس الخناس فاشتبهت ان تكوني خنثى اى ذكرى وانثى لا ذكر ولا انثى كما تقول العامة . فان هذا القول لم يرتضه المحققون من الربانيين الراثين وغير ذلك من المسائل التي يضيق عن تفصيلها هذا الفصل ١٨

وهو يذم الراهبات والرهبان ويعد الرهبانية ملجأ من البطالة . نعم ان الرهبانية هي ملجأ من البطالة فكل من كان عطالا عن علم او صنعة يقصدها <sup>١٩</sup> ويقول عن الدير والرهبان الذين يسكنون فيها :

" انظر كم عندنا في بلادنا من دير وعلى كم تشتعل هذه الاديار من الرهبان . ولم ار احدا منهم نبخ في علم ولا من اثرت عنه مكرمة . بل لا تسمع عنهم الا ما يشين الانسان في عقله وعرضه <sup>٢٠</sup> . ويذكر من فصصهم قبائح ومخازي مشيفة . وتدفعه الحماسة الى ان يضح شروعا وقوانين للرهبانية فيقول :

" لا بأس في الرهبانية تطوعا لا بأس انما هي طريقة محمودة . ولكن بشرط مجاوزة الخمسين سنة وان يكون الداخلون فيها من اهل الفضائل والمعارف . يشتغلون بالعلم وبتهذيب املاء اخوانهم ومعارفهم . ويحضون على مكارم الاخلاق والاتصاف بالمزايا الحميدة . ويؤلفون كتب المفيدة وينهجون لقومهم المناهج المؤدية الى الخير والفلاح والفوز والنجاح . لا مثل هؤلاء الذين لا يعرفون شيئا من الدنيا سوى التقشف والرشاقة <sup>٢١</sup> .

وكثيرا ما يهاجم كتب الكنيسة . ويرمي لغتها بالركاكة والضعف . كما تقرر في عقولهم من ان من خواص دين النصارى ان تكون كتبه ركيكة فاسدة ما امكن <sup>٢٢</sup> قال معرضا بلفظ رجال الكنيسة وكتبها وبالطيران اتناسيوس الحلبي التوتونجي (لانه انتقد

كتاب صلوات ترجمة الشدياق :

وان لاسفار الكنيسة منهجا  
وان لفي اللفظ الركيك تبركا  
وان غناء اللحن في القول عندهم  
وان نسبة المولى الى الله فكر  
وان تكاة جمع متكى اتسى  
والشعب دون القوم معنى مشهر  
وان عيدا لا عبادا مضافة  
وان عذابا كالكراكات جمع  
وما واعظيها قيل بل موعظيها  
ومن رد قل ان شئت صوغ اسم فاعل

بخالف اسفار الورى ويغايير  
ويعنا لقوم عنهم العار ظاهر  
لكا للحن في الايقاع والاصل ظاهر  
ومن ولوا الادبار كل يحاذر  
وان مصونا لا مصانا لنا در  
وفي ملك لا في ملاك كباثر  
الى الله اولى ما لذا الحكم ناكر  
وان لم يرادف باقي الشيء سائر  
ومن قال ادوا دون ودوا مكابر  
مرد كذا قال النصارى الاواخر

اما المرأة فقد خصها الفاريابي في كتابه هذا بجزء كبير ربما قارب الثلث . وهو يتعمق في وصف اخلاقها وتصرفاتها وعلاقاتها بالرجل ومعجزاتها وبدعها . وهو يلم بكل ذلك الما واسعا دقيقا حتى لتخاله عالما نفسيا يكشف لك عن عوالم المرأة الداخلية . بيان رائع وتهكم لاذع وفكاهة وظرف . كما انه يحلل علميا الخارجي ودقائق جسمها ، دقيقة دقيقة ، مفتنا في ذلك الافتتان كله ، اسمعه يحلل صفات المرأة مبينا اوجه افضليتها على الرجل :

" قال بعض الفحول من العلماء ان المرأة اشرف من الرجل وافخم وانبل واحلم وافضل واكرم . اما وجه كونها اشرف فلان شاهدهى ثابتهما واقفان في محل مرفوع . بحيث يمكن لها ان تراهما او تربهما ايان شاءت من دون تعاطي رأس وانحناء . وفي ذلك من العز والشرف ما لا يخفي . الا ترى ان بعض الادباء قال ان من عز لا ان يقولها وهو رافع رأسه . ومن ذل نعم ان يقولها وهو خافضه . اما شاهدا الرجل



فهما منكوسان في محل منخفر بحيث لا يقدر ان يراها الا اذا تطأطأ وانحنى .  
 واما كونها افخم فلأن ساقها اللتين هما عمودان لهيكل الجسم ، وبطنها الذي هو  
 منبت لتكون النسمة ، وعجزها الذي هو مورد للاعجاز ، تكون افخم من ساقى الرجل  
 وبطنه وعجزه . واما وجه كونها انبل فلانها تنبل بما يلقي اليها مدة تسعة اشهر .  
 واما وجه كونها احلم فلان سمة الحلم ترى في شأهدى ثابثها . واما وجه كونها  
 افضل فلانها خلقت من الرجل وعقبه وهو خلق من تراب . لكنها اذا ماتت (معان  
 الله من ذلك) تستحيل الى تراب كالرجل لا الى اصلها الذي اخذت منه ان لا تصير  
 رجلا ولا ضلعا . واما وجه كونها اكرم فلانها ارق فوادا وارحم قلبا والين طبعها  
 فاذا رأت احدا محتاجا شي من عندها لم تضن به عليه . ثم يمضي في كلامه متحدتا  
 عن صفاتها الخارجية والداخلية ، محللا انفعالاتها واختلاجاتها وخطائرها وعاداتها .  
 كانه الجراح الماهر يحمل مبضعه الحاد ، فلا يترك دقيقة الا وشرحها .

ولو ذهبنا نستقصي الاسباب التي جعلته يكتب عن المرأة بتوسع واحاطة ، ويمعن  
 في وصف دقائق خلقها وخلقها ، لما اخطأناها . فهو لا يضمن علينا بها " لكني انما  
 قصدت بتأليفه التقرب اليهن وترضيهم به " وهو يرضاهما بذكر ما حسن من صفاتها  
 احيانا ، ويتغذيلها على الرجل اخرى ، كما اشرنا سابقا .

ولكنه قد يخرج احيانا عن هذه الخطة ، فلا يعمل على ترضيهم ، بل نراه يصف  
 من حيلهن وفنون مكرهن ودهائهن الشيء الكثير . وهو في كل موافقه منه ، محلل  
 متعمق بارع ، يصدر عن خبرة واسعة ، ومعرفة دقيقة . وهو يعترف لنفسه بذلك فيقول  
 (متحدتا عن نفسه) :

" ولكن لا بد لي قبل رحيله من هذه المدينة الشريفة ان ارفقه واعسره حتى  
 يصف لنا محاسن نساءها ، اذ هو لا يحسن شيئا غيره " ويقول في موضع اخر :  
 " قلت في نفسي من لنا اليوم بالفارياق ، فيفتينا في هذا الامر الرباب ، فانه  
 اطلق بالنساء من الريبة واعرف باحوالهن من ذى شيبة وسببية . فلقد ذاق منهن  
 الحلو والمر ، ولقي من حبهن النفع والضرر . " .

١. السامع ٢ ص ١٠٦ وما بعدها

٢. السامع ١ ص ١٤

٣. السامع الفصل " في زينة الخوض بعينه " ص ١٠٦ - ١٠٧

٤. السامع ٢ ص ٤٥

٥. السامع ٢ ص ٤٧



"وقول ان المحبة هي مما غرس في الطبيعة البشرية من يوم الوضع في المهد الى يوم الوضع على النعش . فلا بد لهذا المخلوق الادمي من ان يحب ذاتا من الذوات او شيئا من الاشياء او معنى من المعاني . وكلما زاد حبه في قسم منها نقص في قسيمة الاخر . وقد يكون احدها سببا في زيادة حبه للاخر . مثال ذلك من كلف بالشعر او الغناء او التصوير فكلفه هذا يكون باعنا له على حب الذات الجميلة . ومن كلف بالعلم والقتال والفخر والسيادة فلا بد وان تقل رغبته في النساء بل ربما لهي جنهن بالكلية . ومن كلف بالخيل المظهمة والسلاح النفيس فقد يكون كلفه هذا شائقا له الى حب الذات اولا . وعد بعضهم من هذا النوع السرابانية وهم المنظفون لمراحيرهم واسقطه غيرهم بدليل انها حرفة يحتاج اليها الانسان لتحصيل معاشه لا كلف من هوى النفس ."<sup>١٥</sup>

وهكذا يمضي في الحديث عن حالات الحب باعتبار القلة والكثرة وباعتبار المكان والزمان وباعتبار الاستطاعة وعدمها . ثم يتكلم عن بواعث المحبة وعن انواع العشاق . وعن صفات النساء . ومواقفهن المختلفة من العشق والعشاق .<sup>١٦</sup>

وكثيرا ما كان يضع الحوار على لسان زوجته . تصف انواع المحبة والمحبين . فتقول مثلا :

"فاعلم ان الكاعب من النساء تحب الغلمان والاحداث بشرط كونهم حسانا . والمعصر تحب اشبان بالشرط المذكور . وقد تأثر بالكهل اعتقاد ان يكون بها ارفق واعشق . ولكن ذلك لا يسمى محبة لانه يؤول الى نفع نفسها . ومن شرط المحبة ان تكون مجردة عن الاستنفاع . ولكن هيهات فان كل محب اذا تحقق دوام حرمانه من محبوبه وعدم الانتفاع به مله بل ربما كرهه . فعلى هذا فالمحبة عندى لفظ يرادفه الفائدة . فقول القائل انا احب فلانة حقيقة معناه انا استفيد منها . فاما العانس فتحب الصنفين المذكورين ومن جاوزهما في السن قليلا بالشرط المذكور . واما النصف فتحب الثلثة والكهل ايضا بذلك الشرط . واما العجوز فتحب الجميع ."

١٥. السامح ٢ ص ١٧١  
١٦. تجلذ من نعتي في فضل الموسوم ب (المتعة) بزواج ... (السامح ٢ ص ١٦٧ - ١٨١)



على زوجتي بان تطلعتني على جميع ما يخطر ببالها ويخرج صدرها من الافكار والهواجس  
وبما تحلمه ايضا في الليل من الاحلام التي تنشأ عن امتلاء الدماغ من بخار الطعام  
او من دخان الغرام قبل النوم . وقلت لها ان لم تخبريني باليقين اضربت بك  
ابانا القسيس فيكفرك ويخطر عليك ثم يستخرج منك كل ما تكتمين وتضمرين ويطلع  
على كل ما تشتريين وتخفين وتصونين . وعلى ما تحذرين منه وتحرصين عليه وترتاحين  
له وتميلين اليه وتكلفين به . وقد خرجت من داري غضبان متنفرا وجزمت بان لا  
اصالحها الا اذا كانت تقص علي احلامها . وبعضهم قال ان مصيبتني في بنتي اعظم  
وذلك انها بعد ان تمسحت اليوم وتعصبت وتعطرت وتطيبت وتطوست وتبرمشت .....  
جلست بالشباك لتنظر الواردين والصادرين . فنهيتها عن ذلك فانصرفت ثم خالفتني  
فرجعت الى موضعها . واوهمتني انها تخطط هناك بعقد ملبوس لها . فكانت كلما  
غرزت بالابرة غرزة تنظر نظرتين . فقامت اليها مستشيطة غيظا وجذبتها بشعرها  
الذي مشطته وضفرتة وعقصته فطلع بيدي منه خصلة وها هي معي . وهيهات ان  
تنتهي عن غيرها ولو نتفت شعرها كله فانها كالمهرة الجامحة بغير عنان لا يرداها  
لكم بالاكف ولا ضرب بعيدان .<sup>٢٥</sup>

ويقول في موضع اخره منددا بالناس مشيرا الى انهم انما يهتمون بالظاهر  
دون الباطن . وبالقشر دون اللب وبالعرض دون الجوهر :

\* وكان له صديق صدوق يراقب احواله . فاجتمع به مرة وخاضا في حديث  
افضي الى ذكر المعاش والتظاهر بين الناس باحسن الرياش . فقرر رأى كل منهما على  
ان الانسان في عصرهما لا يعد انسانا بفضله ومزيتته بل ببزته وزينته . وان الناس  
المولودين من الخبز والحرير والقطن والكتان المعلقين في اوتاد حوانيت التجار  
اعظم قدرا من الناس الماشيين العارين عنها . وان المرء اذا كان ضيق الصدر والرأس  
بحيث يكون واسع السراويلات واللباس . كان هو النبه الافق المشار اليه بالبنان المحمود  
بكل لسان .<sup>٢٦</sup>

وكثيرا ما نراه ينادى بوجوب منح الحرية لكل من الرجل والمرأة في اختيار شريك حياته فيقول :

"انه اذا كان المراد من الزواج ان كلا من الزوجين يزواج صاحبه لنفسه لا لاهل البلد وللمعارف والاصحاب كما كان عليان يأكل فخذ الدجاجة لام علي .  
لم يكن من المعقول ان يدمق عليهما ذو فيعة فيقول للمرأة لا تتزوجي هذا لكونه لم يسم بطرس ثم يقول للرجل لا تتزوج هذه لانها لم تسم مريم ."

وقد تظهر عنده في بعض الاحيان نزعة اشتراكية فيهاجم الاقطاعية والجور في توزيع الثروة ويحاول ان ينتصف للفلاح ، فيقول :

"فان واپ الصانع كدأب الفلاح من جهة انه يشقى ويكد النهار كله ولا حظ له في الليل سوى اغمار عينيه . فكيف يزين هذا الصنف من الناس الدنيا ويبهجونها ويعمرونها وهم عطل عنها ومحدودون منها . والمتترفون فيها لا يحسنون عمل شي . وربما لم يكونوا ايضا يحسنون الكلام . واذا كان الناس عباد الله في ارضه على اختلاف احوالهم ومراتبهم هم كالجسم الواحد باختلاف ما فيه من الاعضاء الجليلة والحقيرة فلم لا يجرى العدل بينهم كما يجرى بين الاعضاء . فان الانسان اذا اكل شيئا او لبس شيئا فانما يفعل ذلك لاصلاح الجسم كله . ام يزعم المشرون اذا وسعوا على هؤلاء الضناك الصعاليك ونفسوا عنهم الكرب الذي يكابدونه من جهد المعيشة ومن عدم قدرتهم على تربية اولادهم انهم يحطونهم على اهمال شغلهم وعلى تركهم الارض بورا فتتعطل وتمحل فيهلكون جوعا . فما بال ذي الدولة اذا يولي المبالغ الجسيمة والجوائز الجزيلة لمن يقلده عملا ويرقيه مرتبة ولا يحاف ان يفسد عليه بكثره ما يعطيه . لا بل ان الفقير اذا كفاه واليه او سيده المونة وهو الشئ بالنسبة اليه هين فانه يؤدي ما يجب عليه من الخدمة والعمل عن طيب نفس . ويدعو له بزيادة الخيرات والبركات بدل ما انه يببب الليالي شابحا يديه بالدعا عليه لتيقنه ان حقه ضائع عنده وان هزاله وضواء ذاهب في تسمين غيره . وفي حمله على البطر والعنو واقتنا ما لا تلزم قنيتة من الخيول المظلمة وامراكب النفيسة والاثاث المنضد ."

فيأكل الغني لقمته ، والحالة هذه ، ومغموسة بدعاء الفقير عليه . أم يحسبون الله تعالى  
انما خلق الفقراء لخدمتهم فقط . لعمرى ان حاجة الغني الى الفقير اشد من حاجة  
الفقير الى الغني ، ام يأنفون من النظر من مقامهم الرفيع السامي الى ذوى الصنعة  
والخول خشية ان يسرى اليهم من بؤسهم ما يسوءهم ، كمن ارتقى شرفا باذخا وتحت  
هوة عظيمة فهو يأبى من ان يتطأطأ وينظر اليها لئلا يلحقه من ذلك دوار او غشيان  
فيهبط من شرفه . ليت شعري هل جرب الاغنياء حينما من الدهر ان يسعدوا الشقي  
بمالهم وينعمشوه برفدهم ، ثم وجدوه مقابلا نعمتهم عليه بالكفران والباطلة وباهمال  
ما فرص عليه من قبل الله والطبيعة . وانما هو محصر وهم دخل في رؤسهم مع الرحيق  
فخرج هذا ولم يخرج ذاك . الا فليمكنوه من ان يذوق لذة العيش ويرى الدنيا  
كما هي عليه شهرا واحدا في صره في الاقل او يوما في العام حتى يسموت راضيا  
قوير العين . واذا كانوا يخشون منه الفساد لكسبه وتعطله فخوفهم من فساد نيته  
لفقره ومن كراهته اياهم اولى . لان الشقاوة ادهى الى الفساد من السعادة . ١٠٠

وله في الاصلاح طريقة مفيدة ، وهي عرض الحالة المثالية او القربية منها ، حتى  
تكون امام عين القارئ ، يقتدى بها ، فانه يتحدث عن الحضارة الاوروبية ويبرز لها  
نايذا القشره ويرينا محاسنها ، ومحاسن عادات اهلها واخلاقهم ، بينما لا يتواني عن  
ذكر مساوئها ومساوئهم ، ونقائصها ونقائصهم كلما رأى مجال ذلك مفتوحا امامه . (٤)

كل هذه الاخلاق والعادات والصفات يعرضها الفارياق علينا عرض محقق دقيق  
الملاحظة ، وكثيرا ما يدم اراءه بالملاحظات النفسية التي تجعلنا نعدده ، الى حد بعيد  
نفسيا يحاول ان يتعمق الى دقائق نفسيات الافراد ونفسيات الجماعات ، ويعطينا في  
كل ذلك ملاحظات طريقة دقيقة . وابحاث الشدياق في المرأة وفي الاصلاح الاجتماعي  
طريقة بالنسبة الى العصر الذى طر فيه ، مما يدعونا الى ان نعتبره عالما اجتماعيا  
نفسيا ، يستقرى الاحوال المختلفة التي تتغلب فيها حيوات الافراد والجماعات ، ويعرضها  
على ميزان التمدن الصحيح وعلى ميزان النقد الاجتماعي والنفسى الدقيق . ويخرج

من كل ذلك بأسس ومبادئ يقررها لبيئة لكي تدير عليها اذا ارادت الفلاح . واذا  
ابت التخلف من ركب الحضارة العالمية .

اما الالفاظ المترادفة والمتجانسة ، فقد عرض لنا منها مجموعات طريفة في  
موضوعات مختلفة تتعلق بالفرد والكون والمجتمع كمرادف الاصوات والعشق والناسك ،  
وتشائم ، واسماء الات الحرب والنجوم والعمائم والسراويل والفرش والانية والطعام  
والشراب وسواها . واهم ما يلفت النظر فيها احتفاله الشديد بالمرأة وما يتعلق بها  
وقد جعل الفاريق لهذه المترادفات والمتجانسات فهرسا خاصا بها اثبتته في اخر  
الكتاب ، ليسر للقارئ امر تناولها واستعمالها . ولا نرى من الضرورة التمثيل  
عليها هنا فقد مر بنا بعضها في الامثلة التي اقتبسناها في هذا الكتاب .

وهكذا ينتهي كتاب الساق ، وهو علم بحاله ، فيه ما في العالم من خوف الحياة  
وانواع الناس ، وهو كتاب اليقظة العريية الجديدة ، بدون شك ، لانه يجمع اكثر ما في  
هذه اليقظة من العوالم الادبية . ولو جاز لنا ان نتنبأ ، لقلنا ان الشدياق ، لو لم  
تلهه السياسة التي ما دخلت شيئا الا افسدته ، ولو لم تشغله حياة المناصب والترف  
في الاستانة ، ولو لازمه الالم طوال حياته كما لازمه في اولها ، لانتج لنا قصصا عربيا  
يضع به اساسا متينا لهذا الفن في ادبنا ، ولكانت قصتنا اليوم ، بحكم التطور ، تعد  
بحق في صف القصة العالمية ، فالعبقرية الفارياقية ، التي جادت علينا بهذا الاثر النفيس ،  
والتي ارتشفت من مناهل الادب الغربي الصافية حتى رويت ، كان من السهل عليها  
ان تشق الطريق لهذا الفن ، وان تضع حجر الزاوية في عمارته ، لولا تلك العوائق ،  
التي زلت به عن الطريق الممهّد الذي يسر له والتي وقفت حائلا بين عبقرته وبين  
هذا النوع من البناء .

وبعد ، فهل تأثر الفاريق في ساقه بمثل من امثلة الادب ؟ هذه نقطة جديدة  
بالبحث التفت اليها المستشرق الفرنسي هنري بيريس ، فادعى ان الفاريق تتلمذ على  
الادب الاوروبي وخاصة على الكاتب الفرنسي فرنسوا رابليه . وهو يثبت ذلك بقوله :



\* ان سرد حياة بطل من الابطال منذ ولادته حتى وفاته لم يكن شيئاً مألوفاً في الادب العربي ، فيرجع لدينا ان يكون فارس الشدياق قد اكتسب هذه الطريقة من مطالعته الروايات الانكليزية او الفرنسية . الا انه يمكننا ان نؤكد انه قرأ لامرتين<sup>٤٦</sup> وشاتوبريان<sup>٤٧</sup> لانه استشهد باقوالهما . ولم يحجم عن الاستعانة بفولتير بدليل نقله فقرات كثيرة من "محاولة على الاخلاق" الى كتابه في كشف المخبا<sup>٤٨</sup> . وقد لا نكون مغالين اذا اكدنا ان "القاموس الفلسفي" اوحى بعض الاراء لناقد المجتمعين الشرقي والاوروبي . واما المؤلفون الانكليز فقد عرف فارس الشدياق منهم سويفت وسترون وج . كلياند<sup>٤٩</sup> . على ان "رابله" كان له اكبر الاثر في توجيه نبوغه<sup>٥٠</sup> .

ثم يتقدم بيريس الى اظهار اثر رابله في مؤلف الساق فيقدم الدلائل والاثباتات قائلا :

"اذا قرأنا نثر الساق على الساق وهذا النثر المتين المتدفق كنهج عجاج احيانا ولا حظنا هذا الاقدام على الكلام الجري ، وتتبعنا هذه الانتقادات للمجتمع . تسترها سذاجة ظاهرة او جنون مصطنع ، وذكرنا حتما من اعتبر بحق اول عامل من عمال اللغة الفرنسية واكبر مفكر لانح الهجاء في عصر النهضة الاوروبية .

من المرجح ان يكون فارس الشدياق قد قرأ رابله اثناء اقامته في باريس . واذا جاز لنا ان نشك في شيء ففي انه لم يقرأ هذا الناثر الكبير في طبعة كاملة من مؤلفه وفي نصه الاصلي . الا ان المشابهات الكثيرة التي نلاحظها بين الكتب الثلاثة الاولى من "غرغنتوا وبانطافرويل" وبين الساق على الساق تسمح لنا بان نستنتج ان اتصاله برابله لم يكن اتصالا سطحيا . قال فارس الشدياق " واول من نهج طريقة المجون فيما اظن كان "رابله" الفرنسي المشهور وهو ايضا من اهل الكنيسة<sup>٥١</sup> ( كما كان الروائيون الانكليز سويفت وسترون وكلياند ) .

ويصعب علينا ان ننكر ان فارس الشدياق بعد ان قرأ مقاطع من رواية "رابله" فكر في وضع كتابه الذي لم يقصد فيه الى التحرش بالقساوسة في لبنان وحسب .

١. الساحة هو ترجمة حياة مؤلفه حتى قدومه الى الاسكندرية فقط . الساحة ١ ، فصل ٥ ص ٥٠ وهو استيراد اقتبسه من المقدمة الثانية لمصنفه (راجع التامرات العربية الطبعة الثانية لدنوبه باريس . ١٩٤٠ ج ٢ ص ٢٩٠ . ١٩٤٤) . الساحة ١ ، فصل ٥ ص ٤٠ - ٤٦ وهو استيراد اقتبسه من رحلة الاسكندرية (راجع طبعة لومبر ١٨٨٧ الدولى ص ٢) . ٢. كتف الحياض ٤٨٧ ، ١٨٨٤ ، ١٩٠٠ ، ١٩٠٤ ، ١٩١٦ ، ١٩٢٠ ، ١٩٤٠ ، ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ ، الساحة ص ٥٩ . ٣. الحكواتي عند ٢١٦ ص ٤٠ . ٤. الساحة ص ٩٠ . (استشارات بيريس مأخوذة من الساحة طبعه بـيس ص ١١٦)

بل قصد الى نقد المجتمع في الشرق الادنى وفي اوروبا باسلوب يجمع بين الجد والهزل وبين الروح الانسانية العميقة والحقيقة العارية الجريئة .

ولعل درسنا مفرداته يعطينا الدليل الاول على ما نذهب اليه في هذا الصدد لو ان فارس الشدياق عمل في اثناء مسدود شأن ناصيف اليازجي . فيغلب على الظن انه كان اكتفى لمناسبة مجمع البحرين بوضع كتاب شبيه به عن اللغة العربية في ستين امثلة . او كان جعلها سبعين امثلة ليتفوق على منافسه . ولكن الساق على الساق خرج بتأثير رابله عن كونه كتاب مفردات وتجاوزت قيمته هذا الحد . وانما المفردات ساعدت على اظهار فكرة المؤلف . ثم لم تلبث ان اصبحت وسيلة للتعبير عن آرائه . وفارس اشبه برابله من حيث انه يعرض المفردات تارة في قالب بسيط تجر الكلمة اختها او يجر معناها معنى اخر . وطورا في شكل جداول يتألف السطر الواحد منها من لفظة او لفظتين . واذا كان وصف الالفاظ بعجلة مستعملا في اللغة العربية كما في اللغة الفرنسية . فان وضعها في جداول من اختراع رابله واحده . بحيث لا تخطى اذا قلنا ان فارس الشدياق مدين لصاحب غرغنتوا وبانطافرويل بهذه الطريقة الادبية التي لاقت . ولا ريب . صدى للمنازع العميقة في فكر فارس .

واذا كان رابله قد صرفه الى حد ما ، الشدياق عن الطريقة اللغوية المتوارثة التي وضعها الناثرون العرب في العصر الكلاسيكي . وفي مقدمتهم اكثرهم حدلقة . ضيت بهم اصحاب المقامات . فانه قد وجهه الى ما هو اهم من هذا فاوحى اليه بمواضيع وارا . كان يصعب على عبقرية حديثة كعبقرية الشدياق ان تتخيلها او تفكر فيها .

صرح فارس في مقدمة كتابه انه لم يقصد الى عمل لغوي وحسب . بل قصد الى "ذكر محامد النساء" ومذامهن . فابن وجد هذه الفكرة ؟ ما لا شك فيه ان الادب العربي لا يخلو من مؤلفات تعتبر المرأة تارة شر الحيوانات وتارة اخرى اسمي المخلوقات . ولكن يجب الا ننسى ان الكتب العربية التي تمجد المرأة وتتغنى بمحامدها كانت لا تزال مخطوطة . اي انه لم يكن يقدر لاي كان الاطلاع عليها حتى

لو كان مثل فارس الشدياق شديد الرغبة في معرفة كل شيء . ففي العام ١٨٥٥ (وهو تاريخ ظهور الساق على الساق) لم يكن قد صدر بعد ديوان الشبابة لداود الانطاكي ، ولا طوق الحمامة لابن حزم الاندلسي ولا كتاب الزهرة لابن داود الاصفهاني ولا الروض العطير للنفزاوي ولا رسائل الجاحظ في الحب والنساء .<sup>١٤</sup> ولا نعتقد ان فارس لما كان في باريس اطلع على الفصول الثلاثة الاولى من تحفة العروس للتيجاني التي نشرتها بالحجر مكتبة هاشيت العام ١٨٤٨ .

ربما استوحى فارس الشدياق لحة كتابه العامة من الف ليلة وليلة الشهير في العالم كله ، فان هذا الكتاب العربي المجهول المؤلف ، على الرغم من التشويش الظاهر في حكاياته والذي يقال ان مصدره تعدد المؤلفين والراوين ، وعلى الرغم من نزعاته المختلفة على بضعة قرون ، هو افصح محاولة للدفاع عن المرأة واعادة حقوقها اليها . ولكن كتاب شهرزاد يخلو من هذه اللهجة الجدلية ، بين الجد والهزل ، التي تستدعي الانظار في الساق على الساق : الفارياق . بطل الكتاب ، تصحبه زوجته الفارياقية في جميع اسفاره في الشرق وفي اوربا . وفي المحاورات التي تقع بين الزوجين لمناسبة او لغير مناسبة ، يعتمد المؤلف الى بث آرائه في حالة المرأة في الشرق والغرب . ان اللهجة المتحمسة او الهزلية التي تطبع هذه المناقشات من اتحاد الرجل بالمرأة وهذا المجال الذي افسحه الكاتب لدرس نواحي الزواج هذه التي هي مادة خرافات العصور الوسطى ، تحملنا حملا على التفكير بالكتاب الثالث الذي اشترك به رابله - كما اثبتته السيولوفران منذ ثلاثين سنة<sup>١٥</sup> - بلهجة خاصة في "نزاع النساء" الذي شغل القرن الخامس عشر كله ، ثم لم يلبث ان بعث مرة اخرى حوالى منتصف القرن السادس عشر .

ونجد في الساق على الساق بعضا من الاستشارات الخمس عشرة او تجارب بانورج ، ولكن المؤلف لا يقدمها الى قرائه على شكل منظم . وهي من اجل هذا لا تحمل طابع المناقشة العملية المنظمة . بل هي مفرغة في سيرة الفارياق المتزوج

١٤. نحن نرى ان الشدياق اطلع لبنائه على كثير من المخطوطات . وقد كلفه والده يمتلك طائفة من  
١٥. مجلة الدراسات اراجلية ١٩٤١ ، كتاب النهضة الفرنسية - باريس ، سبتمبر ١٩١٢ ص ٢٥٢-٢٥٣ .

الذى لا يتساءل ايتزوج ام لا . وانما يتساءل هل احسن في زواجه . والاحلام التي يحلمها او يفسرها ليست تحذيرا للرجل من الزواج وانما هي نصائح مفيدة للزوج تظهر له ان المرأة ليست وحدها مسؤولة عن جميع ما يقع من اخطاء . ولئن كنا لا نجد عندها " رنات هوميرية وفرجيلية " ولا عرفات . الا اننا نلاحظ مع ذلك ان الفارياقية الامية لا تلبث ان تكتسب المعرفة من امثولات زوجها وتصبح كقاموس الفيروزابادي . بل هي تستعمل . في بعض المواقف لهجة العرافة الموحى اليها . والاستشارات التي نشرها رابله في مادبة دمجها فارس الشدياق في مشهد واحد على شاطئ البحر . واذ لم نقع في هذا المشهد على شاعر (رامينا غروبيس) بل على مجمع علماء شعراء ككل الذين يتكلمون اللغة العربية . الا انهم اناس يخدمون ربات الشعر . وليس من العسير ان نجد في المتساجلين في اللوحة الشدياقية بعض الصفات التي يتميز بها اللاهوتي ايبوداته والطبيب رونديبليس والمشرع بريدوا والفيلسوف ترديوغان .

ان هذه التذكرات تستدعي الانتباه على قدر ما يستدعيه بعض التشابه في الانشاء الخطابي . وكيف لا يلفتنا عند فارس الشدياق هذا المشهد الذى نرى فيه الفارياق وهو على اهبه مغادرة زوجته في سفرة لبضعة شهور . يقطع محادثته الاخيرة معها عن الغيرة وخيانة النساء وتراخي الاخلاق في مالطة . وانواع الملتذات الجسدية . الخ بهذه العبارة : " فلنعد الى وداعنا " . هذه العبارة التي تذكرنا في قوة عبارة بانورج : " لنعد الى اغنامنا " .

ما لا شك فيه انه من الطرافة على جانب كبير ان نبحث بالتفصيل عن تشابه الابطال والمواقف والحوادث والانشاء والمفردات في كتابي الساق على الساق وبنظافرويل على اننا نعتقد اننا اظهرنا بقدر كاف القرابة بين هذين الاثرين بحيث لم يبق ثمة حاجة الى الاسهاب في البحث عنها في هذا المقال المتواضع .

هذا ما ذهب اليه بيريس، وقبل ان نقدم رأينا في المسألة نود ان نورد بعضا من رد الاستاذ فؤاد افرايم البستاني عليه، قال :

" ناصيف اليازجي لم يخرج من بلاده وهو امر واقع . واحمد فارس سافر الى فرنسة وانكلترا وهو امر واقع كذلك . ثم ناصيف اليازجي منشىء مقلد ، وهو امر مسلم به ، وكذلك كون احمد فارس كاتباً مبتكراً .

واذا فان ابتكار احمد فارس وطرافته وقريحته الفياضة واخذه بأساليب الادب الحي . . . . . كلها نتيجة رحلاته العديدة ، واحتكاكه بالشعوب المتباينة ، واطلاعه على الادب الغربي . . . . . فلم يبق ، والحالة هذه ، الا التفتيش عن الكاتب او عن الكتاب الذين اثروا في احمد فارس فجعلوا في شخصيته هذه الطرافة . . . . . ويسير الشيخ بيريس بين المؤلفين ، من انكليز وفرنسويين ممن قد يرى شيئاً من الشبه بين بعض اثارهم وبعض اثار احمد فارس . . . . . حتى يقع على رابليه . . . . . واذا " بالساق على الساق " مدين لكاركانتوا وتياكرديل .

يقول المظالم هذا البحث المتناسك الاجزاء ، المتسلسل النتائج ، فيعجب باكثر نظرات المؤلف ، ويوافق في البعض منها ، ولكنه لا يتمالك الا السؤال : اولا يحجف الناقد كثيرا بحق " الشخصية " في درسه الكاتب ، ورده كل ما اتصف به من طرافة وابتكار الى اطلاعه على ادب الغرب عامة او على ادب رابليه خاصة ؟ اوليس هناك من عنصر حيوى فوق العنصر التأثيرى المكتسب بالاسفار والمطالعات ؟ او ليس من فرق بين شخصيتين اليازجي والشدياق غير سعة اسفار الثاني وانكماش الاول في محيطه اللبناني ؟

هذه وامثالها من التحفظات كان خليقا بالاستاذ بيريس ان ينتبه لها ، فلا يندفع في نسبة كل ما يراه من جمال في " الساق على الساق " الى الامثلة الغربية ، حتى قول الفاريابي لامرأته قبل سفره " فلنعد الى الوداع " لا يكاد يراه الباحث حتى يتذكر قول Panurge المشهور *Retournons à nos moutons*

---

وبين الموقنين والقولين فرقاً وكان خليقاً به ان يخفف بعصر النبي\* من حماسته في قدر "الساق على الساق" وهو على ما فيه من فيض عجيب وملاحظة دقيقة واسلوب مبتكر لا يزال مفتقراً الى كثير من شروط الفن، كما لا يخفى على الناقد البصير.<sup>١٥</sup>

هذا ما ذهب اليه الاديبان، اما نحن فاننا نقف موقف الحذر مما كتبه الاول، ومن رد الثاني . اما بيريس، فاننا لا نوافق على طريقته الاستشراقية في نقد النص الادبي، وجاعلا من الخلجات الفنية والخطرات الروحية مجرد ملموسات تدخل في دائرة الاحصاءات والارقام والمقارنات، متناسيا ان الفكر الانساني متنوع كثير الظلال والالوان . وتأخذ عليه ايضا، موافقين البستاني على ما ذهب اليه، تجاهله شخصية الفنان وطابعه الانساني . وهذا لا يعني اننا نجد فضل الادب الاوروبي والحياة الاوروبية في تغذية عبقرية الشدياق، ولكننا من ناحية اخرى نشبه ان الحضارة الانسانية، وعلى رأسها الفن، مجرى عظيم تنهل منه جميع الامم، وتسام في تأثيل مياهه .

ونحن اذا عدنا الى الكتابين، والساق وغرغنتوار، الفينا بينهما تشابها وتناظرا، اما التشابه فانه يبرز لنا في المجارى العامة الاتية :

١ . ان في كل منهما نقدا للمجتمع والبيئة . فرابليه في كتابه ينقد مناهج الدراسة في السربون، وينقد اساتذتها انتقادا لاذعا بذكرنا بنقد الشدياق لاساليب التعليم وللمعلمين في عصره .

٢ . ان كلا منهما يتحدث عن المرأة وعن الزواج والحزوبة . ولكن في موقفهما منها اختلافا بينا، فبينما نرى رابليه يقف موقفا عدائيا من المرأة ويبين انها قاصرة العقل سيئة التدبير، ويبرهن على ان الزواج مصيبة من مصائب الانسانية، نرى ابا العباس<sup>١٦</sup> يقدرها على حقيقتها ويضعها في ميزان الحق، فيبين محاسنها ومساوئها، ولكنه في اكثر الاحايين يقف منها موقف المعجب بل موقف المحب المدلل .

٣ . ان في كل منهما قصصا واخبارا غريبة . فغرغنتوار فيه قصص بطولة واخبار شجاعة هي اقرب لان تكون اساطير من نسج الخيال، من ان تكون حقائق واقعة، بينما نرى الساق يورد اخبار رجال الدين وقصص النساء، وهذه تتسم بصيم

١٥. المجلد عدد ٧٦ ص ٥

١٦. لقب الشرايين

الحقيقة والواقع اللذين خلت منهما قصر رابليه .

- ٤ . ان كلا منهما يهجو رجال الدين ويذمهم ويتحدث عن مفهم وبحيث على تزويجهم .
- ٥ . ان في كل منهما خروجا عن طريقة العصر في الكتابة . عند رابليه خروج عن الفن الاصولي ( الكلاسيكي ) وثورة على قواعده . وعند الفاريان ثورة على الطريقة العريقة التقليدية . التي ظهرت في مقامات اليازجي . وخروج عنها .
- ٦ . كل منهما يميل الى حشد المترادفات والمتجانسات من الالفاظ في كتابه حرصا على اتمام الفائدة اللغوية .

اما اوجه الخلاف بينهما فاهما :

- ١ . ان " الساق " هو قصة حياة مؤلفة . موضوعة في قالب فني وباسلوب مبتكره . والكاتب يخرج منها الى نقد المجتمعين الشرقي والغربي ونقد احوال عصره . بينما قصة رابليه هي قصة لعب الخيال في نسجها دورا رئيسيا . وابتكر لها الحوادث والتفاصيل . ونرى الكاتب فيها . كما رأينا الشدياق . نائرا على الكثير من تقاليد المجتمع . ينتقدها . ويخصر منها بالنقد الصريح الذي يبلغ مبلغ الهجاء . احيانا . رجال الدين ورجال التعليم والنساء . فقصة الساق اذن مبنية على اساس الواقع بينما قصة غرغنتوار خيالية موضوعة .

- ٢ . ان مناحي النقد والهجاء في الساق اوسع . فالساق يتناول حل مظاهر الحياة في المجتمعين الشرقي والغربي . بينما يتناول غرغنتوار بعض نواحي بيئته . كاساليب التربية والتعليم . وخاصة في السربون . والمرأة ورجال الدين .

وخلاصة رأينا . ان الفاريان تأثر بالادب الاوروبي الى حد بعيد . ظهر في كتبه المختلفة . في انتحاء الضحى العلمي احيانا وفي تبسيط اللغة وبتجنب الاستطراد ما امكن . وفي الفن الادبي عموما . وليس عجيبا ان يتأثر الفاريان برابليه . الذي بلغ من

الشهرة مبلغا عظيما . ولكن تأثره هذا لم يقيد عبقريته ولم يملك عليه ناحية ابتكاره الفني ولم يخلق ابواب شخصيته ، فانه شيد للفن عمارة هائلة ، متنوعة النوافذ مآونة الابواب بهيئة المقاصير . احاطها بالعنازة والحدائق . الا انه استعارها بعصر وسائل الفن الاوروبي وبعض خططه ، فجاءت جميلة راقية الحسن تسر الناظرين .

### اسلوبه في الساق :

قبل ان نتحدث عن اسلوب الفاريابي في عمارته هذه ، لا مندوحة لنا من ان نتحدث ، ولو بايجاز ، عن الاسلوب الذي كان متحكما في الادب العربي . حين قدم له الشدياق هذه التحفة النفيسة .

كان الانشاء في القرن الماضي . لا يزال متعثرا في اذيال القديم ، يشب على طاعته ويلبس اسماله ويدرج في دروبه . ان كان اللفظ منه هو المقدم ، واللفظ عند هؤلاء الكتاب فنون ، يحكمها السجع وانواع البديع من استعارة وتورية وجناس وطباق بحيث يشق على القارئ ان يشق ستار اللفظ السميك . ليتقدم الى وراءه من معان تكون في اكثر الاحايين هزيلة غثة معادة . وفي ذلك يقول الاستاذ محمد كرد علي :

" كان الادب العربي قبل دور النهضة الاخيرة عبارة عن سجع كسجع الكهان طول بلا طول ولا طائل وجمل باردة سمجة " . ويقول الاستاذ احمد ضيف :

" وكان اكثر اساليب الكتابة البليغة الادبية كالرسائل والمقامات مسجعة جارية على اسلوب الهمداني والحريري . وانتشر السجع حتى لم يكفد يخلو منه كتاب او تأليف وحتى تمتشى هذا الاسلوب في الكتابة العامة . ولا شك في ان هذا اثر عنابة العصر العباسي الاخير بالصناعة اللفظية والحسنات البديعية . وشاع هذا الاسلوب في الكتابة الادبية حتى تخطى القرن التاسع عشر " .<sup>١٤</sup> وعنه يقول الشدياق :

" وان الطالب منكم اذا اراد ان ينمق كتابا او خطبة فانما يستعمل بعض اسجاع مبتذلة ساكنة الروى ، وخفية ان يلتبس عليه العرفوع بالانصوب . ويتطال الى

١٠. المقتضى جلد ٢ ص ٥٠٦

١١. المختطف جلد ٦٨ ص ٥٠٤



بعض استعارات باردة وتشبيهات حامدة حشوها الالفاظ الركيكة والمعاني المتقلقة .  
من دون معرفة ما يستعمل من الفعل ثلاثيا او رباعيا . وما يتعدى به من حروف  
الجر .<sup>١٥</sup>

جاء الشدياق والاسلوب العربي على ما وصفنا من الهلولة والضعف والتراخي  
والانهيار . فثار على هذه القوالب المتداعية . وسخر بها ايما سخرية فقال عن  
المحسنات البديعية \* ان هذه المحسنات البديعية التي يتهوّر فيها المؤلفون كثيرا  
ما تشغل القارئ بظاهر اللفظ عن النظر من باطن المعنى .<sup>١٦</sup> وهو يشتم بمؤلفي  
النحو ومعلميه وبالاعراب وبتمسك النحاة بحركاته ويسخر بالمجاز والاستعارة وانواع  
البديع .<sup>١٧</sup> كما انه يسخر بالمؤلفين واساليبهم فيقول :

\* ان المؤلف منهم بينا هو يذكر مصيبة احد من العباد في عقله او امراته  
او ماله اذا به تكلف لايراد الفقر المسجعة والعبارات المرصعة وحشى قصته بجميع  
ضروب الاستعارات والكتايات . وتشاغل عن هم صاحبه بما انه غير مكترث به . فترى  
المصاب ينتحب ويولول ويشكو ويتظلم . والمؤلف يسجع ويجتس ويرضع ويورى ويستظرد  
ويلتف ويتناول المعاني البعيدة . فيمد يده تارة الى الشمس وتارة الى النجوم  
ويحاول انزالها من اوج سمائها الى اسفل قوله . ومرة يفتحم البحار واخرى  
يقتطف الازهار ويظفر في الحدائق والغياض من اصل الى فرع ومن غوطة الى ربوة<sup>١٨</sup>  
وكثيرا ما نراه يسخر من السجع فيقول مثلا :

\* السجع للمؤلف كالرجل من خشب للماشي . فينبغي لي ان لا اتوگا عليه في  
جميع طرق التعبير لثلا تضيق بي مذاهبه او يرميني في ورطة لا مناصر لي منها .  
ولقد رأيت ان كلفة السجع اشق من كلفة النظم . فانه لا يشترط في ابيات القصيدة  
من الارتباط والمناسبة ما يشترط في الفقر المسجعة . وكثيرا ما ترى الساجع قد  
دارت به القافية عن طريقه التي سلك فيها حتى تبلغه الى ما لم يكن يرتضيه لو كان  
غير متقيد بها . والغرض هنا ان نغزل قصتنا على وجه سائح لاي قارئ كان . ومن

١٥. الساجع ٢ ص ٤٤

١٦. الساجع ١ ص ١٤

١٧. الساجع ١ ص ٤٤

١٨. الساجع ١ ص ٧٧

احب ان يسمع الكلام كله مسجعا مقفى ومرشحا بالاستعارات ومحسنا بالكنايات فعليه بمقامات الحريري او بالنوايح للزمخشري .<sup>١٠</sup>

وهكذا لس الشدياق في اساليب عصره عيوباً ونقائص فلم ير بدا . وهو الاديب الطرح . من ان يبتكر للناس ادبا جديدا ويخرج لهم من البديع ما لم تألفه اذانهم . وما لم يسبقه احد اليه . وفي ذلك يقول :

"اذ كنت احزن لتعصي معنى من المعاني علي واحاول اختراع شي من البديع لم يكن احد سبقني اليه . ظانا انه يقوم للناس مقام هذه المخترعات التي يزهى بها الكون عصرنا هذا . فلم يتهمياً لي فكنت ابيت الليل في يأس وكرب ."<sup>١١</sup>

وهذا العجز الذي الفاه في اساليب عصره الواهية الخالية من كل انواع وطرافة . جعله يفاخر بهذا النمط العالي من الكلام الذي جاء به في اسلوبه . قال :

"وكذلك كلامي ههنا . فانه معما فيه من الاستطراد والحشر والالفاظ المضفوفة بين المعاني ومن المغازى المعقودة بالتميح والتلويح . والتحويل والتلميح فقد يروق لخاطر من لم يكن قد الف هذا التخليط . بل ربما يحمله الاصحاب به على تحديه ومحاكاته . ولكن هيئات فان الباب قد اغلق في وجوه المتحدّين . على اني لست ازمع اني اول كاتب في الدنيا نهج هذه الطريقة واسعظها المتناعسين . الا اني رأيت جميع المؤلفين في سهوة كتيبي قد قيدوا انفسهم بسلسلة نفس من التأليف واحده . لكنني لا اعلم الان هل غيروا اسلوبهم او لا . ان قد مضى علي بعد فرائهم اكثر من خمس سنين . فكان العارف بحلقة واحدة من تلك السلسلة قد عرف سائر الحلقات حتى ان كل واحد منهم يصدق عليه ان يسقى حلقياً . بناً على انه مشى وراء القوم وحذا حذوهم . فاذا قد تقرر ذلك فاعلم اني قد خرجت من السلسلة فما انا بحلقي ولا بستيهمي ولا اكون امام القوم فان الثانية انحس من الاولى . وانما انا مستقبل لما استحسنتم . واخذ بناحية ما استظرفتم . رافض مكلف العادة ."<sup>١٢</sup>

١٠. السامع ١ ص ٤٧

١١. السامع ١ ص ٥١

١٢. السامع ١ ص ٨٢

هكذا كان موقف الشدياق من ادب اليقظة . ونعتقد ان موهبة الابداع التي تأصلت في نفسه وصلقت في اوروبا بما طالعه من ادب الغرب . فكان هذا الميل العظيم الى الثورة والتجديد . والادب الشدياقي في نظرنا هو تاريخ ثورة سبقها ما يسبق الثورات عادة من اسباب . ونتج عنها ما ينتج عن الثورات من هدم وبناء .

وبعد فما هي الصفات العامة التي تتراءى لنا في اسلوب الساق ؟ وللإجابة على هذا السؤال . يجب الا نتقيد بما وضعه السابقون لنا من صفات الاساليب التي يكاد الباحثون يطلقونها على مختلف الاساليب . وانما يجب ان نقسم هذه الصفات الى الوان عامة تجتاح هذا الادب وتستأثر بمعظم ما فيه . وقد رأينا ان نقسم هذه الالوان الى اربعة :

١ . الافتنان العقلي

٢ . الافتنان الایقاعي

٣ . الواقعية

٤ . الفكاهة ويدخل تحتها التهكم والدعابة والمجون .

وستحدث عن كل منها ببعض التفصيل .

### الافتنان الفكري :

ونقصد به التحاسين المنطقية والفلسفية والنفسية والاجتماعية التي يحدد الشدياق بها افكاره في الفرد والمجتمع والكون . وهو لا يعرضها علينا مقطعة جافة بل يكاد يسمو بها سموا فيها لم نعهده في ادب اليقظة . وطبيعي ان يظهر هذا الافتنان في ادب الشدياق . والذي كان مخزنا عظيما للمعلومات اللغوية والادبية والفقهية والفلسفية . والذي درس المنطق وتوسع في درسه حين كان في مصر . ولعل الشدياق يمتاز عن معاصريه بأنه استعمل المنطق في كتابه هذا استعمالا واسعا . فكان يعرض آراءه في المجتمع والفرد والحب وما سواها بشكل حجاج يقوم على البراهين والادلة والمقدمات والاقيسة والاستنتاجات . وهناك عناصر اخرى ربما

ساعدته على هذا الافتنان ومنها ميله الى تشويق القارئ حتى لا يعترضه ، مما يقرأه .  
الملل . والشدياق يحب القارئ ويقدر ظروفه ويعمل على ارضائه على حساب نفسه  
على حساب الفن . والا لما قدم له هذا الكتاب ، بالمقدمة الشعرية التي يحبه بها اليه ،  
ويقدمه تقديما يقربه الى القلوب ويدينه من الرغبة والارتياح .

ومن هذه العناصر دفة الملاحظة ، فقد كان حرس الشدياق كما المعنا سابقا ،  
مرآة صادقة تتمثل فيها دقائق الوجود ، كما ان ذوقه كان رقيقا يكاد يصل به الى  
ادراك بواطن الامور ، ويكاد يتأثر اثرا صادقا بما يلامسه . وهذا كله الى سلامة  
الطبع وصدق الفطرة .

وثالث هذه العناصر هو نزغته الى البحث والتعميم وهو لغوى ضليع درس  
مبادئ اللغة على اخيه اسعد ، وقد كان طالما بها ، ثم اتم دراسته في مصر على  
استاذية الطرابلسي ومحود شهاب الدين ، وامتد كل ذلك بغذاء خصب وجدته في  
الكتب الفنية التي وقعت بين يديه ، والتهمها . والابحاث اللغوية ، والمطالعات الواسعة  
في اسرار اللغة ومعجزات البيان تشجع على ظهور مثل هذه النزعة ، وعلى خلق  
صفة اخرى ترافقها وهي القدرة على التقصي والاستقراء . وقد ساعده على كل  
ذلك خيال خصب مجتج ، يربط ما تناثر ويوثق ما انفص ، ويبتكر البراهين والاقنعة  
والمحاجات .

ونحن ، في هذا الافتنان ، لا نلمس اثار الهليلة او التهافت او الاحياء بل نرى  
الكاتب ضيقا في جدله قويا في حجه مبهتا في براهينه . واليك مثلا من امثال .  
وفطرة من معين ، نقدمها على سبيل التمثيل ، من حديثه الى رجال الدين الذين  
اضهدوا اخاه اسعد ، وفيها يدافع عن حرية التذهب وحرية التفكير ، قال بعد  
لومهم وتقريرهم على اضهاد اخيه :

” وما كان لكم عليه من سلطان ديني ولا مدني . اما الدين فان المسيح  
ورسله لم يأمرؤا بسجن من كان يخالف كلامهم ، وانما كانوا يعتزلونهم فقط ولو كان

دين النصارى نشأ على هذه المساواة الوحشية التي اتصفتم بها الان انتم رعاة  
التائبين وهداة الضالين لما آمن به احد . ان لا احد من الناس يصبوا الا اذا  
كان يرى الدين الذي خرج اليه خيرا من الذي خرج منه . وكل انسان في  
الدنيا يعلم ان السجن والتجويع والاذلال والتوقد والتأويق والتشنيع ليس من  
الخير في شيء . وناهيك ان المسيح ورسله افروا ذوى السيادة على سيادتهم وامرتهم .  
ولم يكن دأبهم الا الحذر على مكارم الاخلاق والامر بالبر والدعة والسلم والاناة  
والحلم . فانها هي المراد من كل دين عرف بين الناس . واما المدني فلان اخي  
اسعد لم يأت منكرا ولا ارتكب خيانة في حق جاره او اميره او في حق الدولة .  
ولو فعل ذلك لوجب محاكمته لدى حاكم شرعي . فمساة البطرك اليه انما هي اساءة  
الى ذات مولانا السلطان . لاننا جميعا عبيد له يستأمنون في امانة وحكمه . وكلنا في  
الحقوق سواء . ان البطرك ليس له حق في ان يخطف من بيتي درهما واحدا لو  
شاء فاتي له ان يخطف الارواح وهب ان اخي جادل في الدين وناظر وقال انكم  
على ضلال فليس لكم ان تميموه بسبب هذا . وانما كان يجب عليكم ان تنفضوا ادلته  
وتدحضوا حجته بالكلام او الكتابة اذا انزلتموه منزلة عالم تحشون تبعته . والا فكان  
الاولى لكم ان تنفوه من البلاد كما كان هو يطلب ذلك .<sup>(١)</sup>

### الاقتناع الايقاعي :

ونقصد به نغم النفس الفنية الذي يختلج بخلاجاتها ويمتز بلمساتها ويواكب  
حركاتها ويتغنى سكاكها . واسلوب الشدياق في هذا الكتاب . او ايقاعه الموسيقي .  
هو جماع الاساليب المرعبة المعروفة . فيه البساطة والايجاز ودقة الحبكة في بعض  
الاحيان وفيه اطناب وتبسط وتوازن وترادف في البعض الاخر . وفيها عدا ذلك .  
الوان للسجع والبديع في بعض المواضع . اظهارا للبراعة او تحديا للمنشئين او  
سخرية بهم . وهذا الايقاع . لا نعدده صنعة او تكلفا . بل هو تدفق شعور وانهمار  
نفسى او كما وصفه هو . تبعث على ميزاب العلم في وجوه هذه الصحائف . وقد<sup>(٢)</sup>

(١) السامه ج ١ ص ١٠٠ و ١٠٢ وللاستزاده راجع ج ١ ص ١٠٢ - ١١٩ و ج ٢ ص ١٩٤ و ج ٣ ص ٤٤٤ و ج ٤ ص ٤٤٤ و ج ٥ ص ٤٤٤  
(٢) السامه ج ١ ص ٩٥

كان قلمه مطواحا لحسه يسير امامه ، وحسه صافيا يكاد ، كما قلنا ، ويكون مرآة صادقة  
تتمثل فيها دقائق الوجود . ونحن نعتقد ان الخاصة الاولى التي تميز الادب  
الفارياقي هي التلام الشديد بين الالفاظ والمعاني حتى تخرج الالفاظ كسايا مناسبة  
لها ، وهذا ناتج عن البصر بمواقع الكلام . فالشدياق عالم لغوي ضليح ، لا تعجزه  
اللفظة ولا تعثر بقلمه الكلمة . وهو ان صح التعبير ، وثني يعبد الحرف عبادة لا  
شرك فيها . وهذه العبادة تقتضيه الجهد والتعمل والتحبير ، فتراه ينقب عن اللفظة  
الامنة المطمئنة ، يضعها في موضعها من القول آمنة مطمئنة ، لا يعتربها القلق ولا  
تنتابها الحيرة . وعمل كهذا يتطلب خلع اسمال القديم وفك قيود التقليد ، وهذه  
جرأة لا تعدلها جرأة في تلك الاونة ، وبالتالي جرأة في تاريخ الفكر لا تجدها  
الا عند الرووس الشامخة في تاريخ الفكر الانساني . وبهذا العمل ، وضع الشدياق ،  
وقلة ممن حاولوا التجديد في اللفظة ، اسس مدرسة ادبية فكرية عظيمة . ونحن  
لا يخامرنا شك في ان النهضة اللغوية التي دط اليها محمد عبده ومدرسته  
وزيدان واديب اسحق وسواهم ، كانت متأثرة الى حد بعيد بكتاب الساق ، وانا  
شخصيا ان الساق على الساق هو الستار الذي اسدلته نهضتنا الحديثة على جزء غير  
صغير من البيان العربي البالي .

ومن الوان هذا الافتنان الايقاعي الحوار ، فالشدياق يشعر اثناء كتابته بالملل ،  
فسرطان ما يتحول قلمه الى حوار خفيف جذاب يخير به السياق بمهارة ومقدرة  
ظاهرة ، رحم الله الجاحظ ، فانهما صنوان في ذلك .

وحواره في الاكثر جميل هذب يسعه ميسم الفكاكة ، ويكثر فيه التلاعب بالالفاظ .  
وهناك قطع جميلة من الحوار العذب المستساغ اوقعها الشدياق بينه وبين زوجته ،  
ولولا ضيق المقام لتمثلت بها كلها ، ولكن الضرورة تقضي علينا ان نتمثل بهذا  
الحوار القصير الذي اجراه مع زوجته قبل سفره الى اوروبا ، قال :  
" لما حان سفر الفارياق اخذ يودع زوجته بعد ان اوى القاموس والاشموني  
في صندوقه ويقول : انكرى يا زوجتي انا عشنا معا برهة طويلة من الدهر .

قالت ما اذكر الا هذا . قال فقلت اذكر ناكر ام شاكر قالت نصف من هذا ونصف من  
ذاك قلت يرجعنا النحت الى الاول قالت او يرجع الاول الى النحت . قلت اي  
اول اضمرت . قالت مالك ولتأويل الضمر . قلت حسبي ان تبيني لي حقيقة ذلك .  
قالت اذا فكرت في انك لي ولغيري كنت من الناكرين والا فمن الشاكرين . قلت  
انك كنت نهيتني على المعاملة بالقسم وها انت الان تأتينه . قالت بل هو يأتيني .  
قلت اما في فيك لفظة لا . قالت ان لفظها كانت نعم . قلت ان لا من المرأة الى .  
قالت وان نعم نعم . قلت اجعلت هذا دأبك . قالت ودأبت في هذا الجمل . قلت  
هذا لا يليق بذات ولد . قالت ولا تلد من تليق . قلت من مادة واحدة . قالت  
ان كانت المادة غير زيادة متصلة احوجت الى اختلاف الصور . قلت وكيف تبقى  
متصلة على اختلاف الاشكال . قالت لا اشكال في كيفية الاشكال فان واحدا منها يغني  
عن الجميع . واما الكلام على رسم الكمية . قلت ما الجد . قالت في الجد الهزل  
وفي الهزل الجد . قلت ارأيتك لو اتمت نائبا عني في ذاك مدة غيابي . فضحكت  
وقالت على ما احب انا ام على ما تحب انت . قلت بل على ما تحبين انت . الخ (١)

وقد بلغ حوارهم منزلة سامية من الحيوية والفن العقلي في هذه القطعة التي

يتحدث فيها عن الرقص قال :

" وكان للحاكم عادة ان يدعو جميع المعروفين خدمته الى ليلة عيد يرقص فيها  
الرجال بحضرتهم . وكان من جملة المدعوين الفاريان وزوجته فلما رأته هذه الرجال  
يرقصون وهم مخاضرون للنساء قالت لزوجها : هل هؤلاء النساء ازواج هؤلاء  
الرجال ؟ قال منهن هكذا ومنهن بخلاف ذلك . قالت : وكيف يخاضرونهن اذا ؟  
قال : هذه عادة القوم هنا وفي سائر بلاد الافرنج . قالت : وبعد المخاضرة ما  
يكون منهم ؟ قال : لا ادري ، ولكن بعد انقضاء الناس يذهب كل الى منزله . قالت :  
اشهد بالله انه ما خاضر رجل امرأة الا باطنها . قال : لا تسيئي الظن ، انها عادة  
مشوا عليها . قالت : نعم هي عادة ونعمت العادة ، ولكن كيف يكون احساس المرأة  
حين يلمسها رجل جميل في خصرها ؟ قال : فقلت لا ادري ، انما انا رجل لا امرأة .

قالت : ولكن انا ادرى ان الخصر انما جعله الله في الوسط مركزا للاحساس الفوقي والتحتي ، ولذلك كانت النساء عند الرقص والقرصه في اى موضع كان من اجسامهن . يبدين الحركة في الخصر . ثم تنفست الصعداء وقالت : يا ليت اهلي علموني الرقص فما ارى فيه لانش نفس . فقلت : لو فتحت الصاد في كل من المصراعين لكان بيتا مطلقا . فقالت : يا للفضيحة بين الانام ، اتقول هذا الكلام في هذا المقام ؟ فقلت " هبت الى البيت فقد كفاني الليلة ما سمعت وما رأيت . قالت : لا بد ان ارى ختام الرقص . قال ملبثا الى الصباح ثم انصرفت بها فكانت تقول وهي سائرة نساء مع رجال راقصات . رجال مع نساء راقصون . راقصات راقصون ، راقصون راقصات . فقلت فاعلات فاعلون ، فاعلون فاعلات . قالت : الرجال والنساء والبنون والبنات .<sup>(٤)</sup> هذان الحواران اللذان يوهماننا بانهما وقعا حقيقة . لا شك في ان اكثر ما جاء فيهما كان من نسج الخيال اذ ان فيهما من الافتنان اللفظي والعقلي ما تعجز عنه الفارياقية . واكثر هذا الحوار الذي يجريه الفارياق في الساق . يصوره كانه حدث بينه وبين زوجه .

ولا يخطئ القارئ في هذا الكتاب آثار الكتاب المقدس والقرآن الكريم . ومن امثلة تأثره بالاول واعتماده عليه في التمثيل والقصر قوله : " وذلك هلى منوال الياس النبي حين صلى لانزال المطر بعد ان قتل انبياء يعق . وكان عددهم اربعمائة وخمسين نبيا على ما اذكر في الفصل الثامن عشر من سفر الملوك . الا ان بين الداعيين فرقا ، وهو ان النبي صلى هكذا بعد القتل وصاحبنا هذا قبل الاحياء<sup>(٥)</sup> . وقوله : " ويشهد لذلك قول صاحب الزهور ان يد الرب على قلب الملك يعنى ان الملك لا يفكر في شيء الا ويد الله عاصمة له فيه<sup>(٥)</sup> .

اما تأثره بالقرآن فلم يظهر في التمثيل فحسب . بل جاوزه الى التأثر والاقتياس ايضا . ولا عجب في ذلك فالقرآن هو اوج ما وصل اليه البيان العربي ولا يستغني

(١) السامه ٢ ص ٤٤٤ (٢) ٢٠٤ ص ١٤٨ (٣) ٢٠٤ ص ٤٤٤ (٤) ٢٠٤ ص ٤٤٤



الكاتب البليغ عن مدارسته والتأثر به . وقد ظهر ذلك في اكثر آثار الشدياق ومنها في هذا الكتاب قوله :

"بل لو سقيته من الفحاح والكوثر ومن رحيق مختوم مزاجه من تسنيم وجعلته في جملة من يطوف عليهم ولسدان مخلدون باكواب واهاريق وكأس من معين وفاكهة ما يتخيرون ولحم طير ما يشتهون في سدر مخضوره وطلح منضود ، وظل ممدود ، وما مسكوب ، وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة ، وفرش مرفوعة ، وعنده جئتان ذواتا افنان ، وفيهما عينان تجريان ، وفيهما من كل فاكهة زوجان ، من دونهما جئتان مدهامتان ، وفيهما عينان نضاحتان ، وفيهما فاكهة ونخل ورمان ، وفيهن خيرات حسان ، وفيهما فاكهة والنخل ذات الاكام ، والحب ذو العصف والريحان ، بين متكئين على رفرف خضر وعفري حسان ، بين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وعلى فرش موضونة ، يسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ، عينا فيها تسمى سلسبيلا ، ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لولوا<sup>(١)</sup> منثورا ، طاب عليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة ٠٠٠٠ الخ ."

والشدياق الذي يذم السجع ويظهر مقتده له في اكثر من موضع ، لا يتحاشى استعماله في بعض الاحيان وخصوصا عند ذكر النساء . وكانه يريد ان يدلل على انه انما ترك السجع عن استئثار وكره لا عن عجز . وهو في اكثر الاحيان ، ان استعماله ينسب الى غيره . من ذلك قوله على لسان قيس :

"فشاع فضلي بينهم حتى ان بعض التجار ممن كان حرمه الله من لذة البنين دعاني الى منزله لاقيم عنده رجاء ان يفتح الله رحم امرأته بسببي ، كما تقول التوراة ، فتلد له البنين . وكانت جميلة رشيقة القد ، قاعدة النهد ، تحب الخلاعة واللبه ، والقصف والزهو ( سبحان الله ما احد يذكر النساء الا ويهيج . خاطره للسجع ) فاقمت عنده مدة في انعم عيش وجدة . ثم عن لي ان اغازل زوجته واناغيها ، واطشرها واراغيها ، فاجابت الى مراودتي ، ولم تبال بارنبتي ، فان من طبع النساء الميل الى الولي والاستغناء عنه بالقصي وما ادراك ما اعتذرت به احدى النساء بقولها قرب الوساد

وطول السواد الخ<sup>(١)</sup> الى ان يقول (انتهى سجع القسيس)<sup>(٢)</sup>

والساق على فضله ولا يخلو من بعض اخطاء لغوية وكتائية اشار اليها اليازجي في مجلة الجنان اثناء المناظرة التي قامت بينهما ، واليك امثلة منها :

"ومن زياداته المخلة قوله في الساق على الساق صفحة ٤٠ تنبه الغافلين ان وراءها لقولا شديدا فاقحام اللام على اسم ان هنا خطأ شنيع لانها واقعة في موضع الجر بالاداة المحذوفة بعد تنبه كما لا يخفى وذلك يوجب فتح همزتها على انها مفتوحة هناك بالرسم ايضا . واللام تفضي بتعليق العامل عنها لانها من ذوات الصدر فالتبس الامر واختلط . وعلى حده قوله في صفحة ٢١٤ منه : والذي يظهر لي ان في الهنات والجليدات لضررا عظيما . وهي واقعة في خبر المبتدأ وامثالها كثيرة"<sup>(٣)</sup>

#### الواقعية :

للشدياق في هذا الكتاب ولع شديد بحكاية الواقع ، لا يتستر في ذلك ولا يداور حتى انه ليتماجن دون مبالاة . فيذكر السوءات والعورات مصرحا او ملحا . واي صراحة تفوق صراحته في مهاجمة رجال الدين وذكر قصصهم ، وان كانت مكشوفة طرية . واي واقعية اوضح من تصوير حركات الجنس والوانه وانواعه دون ما تستر او تقبه . وهو لا يكتفي بتطبيق هذا المبدأ في ادبه بل يتمادى الى اكثر من ذلك فيدعو الناس الى التماجن والصراحة ، ويدافع عن ذلك فيقول :

ما زارني الا خليع ماجن  
ان الحياء اخو النفاق وما صفت  
فدع الحياء اذا حضرت حصيري  
دون المعجون سريرة لعشيري<sup>(٤)</sup>

واذا ذهبنا نستقصي اسباب هذا المعجون ، وجدناه في الاكثر يعود الى ميل فطري مركب في طبع الشدياق ، ائله حب جارف للجنس ، فالغريزة الجنسية عنده هي كعبة المطاف ومحط الامال . ولو اردنا ان نمثل على ما في الساق من المعجون

(١) السام ١٢ ص ٧٥ (٢) السام ١٢ ص ٧٦ (٣) الجنان ١٧١ ص ٨٧٥ (٤) السام ٢ ص ٤١١



سجل مفتوح يقرأ منه دون ان يستعين بتأريخ او بذاكرة ، وانما يهمه ما يراه بعينه وما تقع عليه يده . ومن اثار هذه الواقعية ايضا التدقيق في استعمال الالفاظ المناسبة للاحوال التي يريد تصويرها . وكأنه كان يؤمن بان البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال . وقد ساعده على ذلك اطلاعه الواسع على اللغة العربية . وكان في بعض الاحيان يروى الكلام كما قيل او يقال ، ولو كان عامياً . وهو يشير الى ذلك بقوله :

" وما ذلك رأيي فاني اذا اوردت كلاما عن احمق انتقيت فيه له جميع الالفاظ السخيفة . واذا نقلت عن امير تأديت معه في النقل ما امكن . فكانني جالس بمجلسه . او عن قسيس مثلا او عن مطران اتحفته بجميع اللفظ الركيك والكلام المختل . لثلا يصعب عليه المعنى فيفوت الغرض من تأليف هذا الكتاب " (٤)

ونحن نذهب الى ابعد من ذلك فنقول ان بساطة اسلوبه وعدم احتفاله بانواع البديع والسجع ان هي الى نتيجة من نتائج هذه الواقعية التي لا تحتفل بالصنعة ولا تفر الكلفة الا في مواضعها المناسبة .

وكان الشدياق يستعين على هذه الواقعية باجراء الحوار ، كما المعنا سابقا ، وبايراد الكلام كأنه حديث يقصه صديق على صديق ، وذلك مما يهيء الجو لحوكاية الواقع ، ويقرب بين نفسي الكاتب والقارئ . ومن ذلك اقواله :

" فان شئت اذعنن والا فعاند " (٥)

" فان شئت فاذهن والا فليس هذا الوقت وقت العناد والخلاف " (٦)

" وها انا منطلق لقضاء حاجة لا بد منها فاسمحوا لي ان استريح قليلا " (٧)

" طيب الله انفاسك يا حديثة عهد بالزواج وعتيقة نقد للاعلاج ليست النساء كلهن مثلك وليتني اشم شفيتك " (٨)

ويقول مخاطبا القارئ :

" واقبل على الطنبور يعزف به ويغني فدعه الان على هذه الحالة ولا تنغص عليه عيشته . وشعر انيالك معي لتظفر فوق هذا الاجيج المتأجج امامنا فيما يلي هذا " (٩)

(١) السام ١٢ ص ٥٧ (٢) السام ١٢ ص ٤٤ (٣) السام ١٢ ص ٤٤ (٤) السام ١٢ ص ٤٤ (٥) السام ١٢ ص ٤٤ (٦) السام ١٢ ص ٤٤ (٧) السام ١٢ ص ٤٤ (٨) السام ١٢ ص ٤٤ (٩) السام ١٢ ص ٤٤

الفكاهة : ويندرج تحتها التهكم والدعابة والمجون .

والتهكم ، الذي يذل على ميل فطري الى المرح والدعابة ممتزجين بالنقد اللاذع ، ويوقعه الشدياق في كل مناسبة يرى له منها مجال الظهور . والشدياق المصلح لا يرى من الخير للرسالة التي يحملها ، ان تعرض صريحة واضحة الخطوط والالوان ، بينة المعالم والظلال . بل نراه يمزجها بالمحليات التي تسهل استساغتها وتيسر تقبلها ، فهو كالطبيب الذي يمزج مر الدواء بالشراب الحلو ليسهل على المريض امر تجرعه وارتشافه . وهذه الطريقة التي اتبعها ، توصل الموعظة الى الاسماع عن طريق سائغ مستعذب ، تمتزج فيها الحلاوة بالمرارة ، والجفاء بالرفقة والخشونة بالنعومة والقساوة باللين . وقد افتن الشدياق في هذا التهكم حتى لنحسبه ميدانه الوحيد الذي لا يسبقه فيه سباق . وهو يلون هجاء المر اللاذع بهذه الالوان الزاهية الطرية ، فيخرج للناس فناً جديداً في روحه ، جديداً في لغته جديداً في غاياته .

وقد يعترض معترض فيقول ان الهجاء والتهكم من اثار الادب الغربي القديم ، فالشدياق منه سلفي " ستيهي " ، لاحظ له من الابداع والابتكار . ونحن ، على اعترافنا بهذا ، نجيب بان الشدياق توسع في هذا الفن الذي وصله من السلف ، حتى لنشعر في الكثير من الاحيان انه يسوق التهكم رخياً رضىياً لا لشيء الا ليظفي غلة في نفسه تتنزي الى المرح والدعابة .

هذا التهكم هو ملح الساق ، قل ان يخلو منه فصل . يتهكم على نفسه وعلى زوجه وعلى رؤسائه وعلى رجال الدين وعلى اهل العصر وعاداتهم واخلاقهم ومذاهبهم في الحياة ومذاهب الحياة فيهم .

وهذا التهكم يسوقه الى الدعابة والنكتة سوفاً ، حتى انه ليخترع المواقف المضحكة ، والقصص المسلية ، ويضع الالقاب والرموز . وهو في اكثر ذلك موقف قدير ، اسلمت له اللغة قيادها واسلمت له عنانها وصافحها يدا بتنتين . فكان " الفارس "

الذى لا يشق له غبار في المواقف والقصر والدعابات والالفاظ . واليك مثلاً من تهكمه على طادات اهل بلاده في الملابس والزينة وسواها :

"وظن ان اتخاذ العمائم الكبيرة عند اهل بلاده انما هي لوقاية رؤوسهم فقط لا لتحسين وجوههم . فان العمامة الضخمة تخفي محاسن الوجه وتشوه الوجه الصغير فضلاً عن كونها توجع الرأس وتمنع صعود الابخرة من مسامه كما نثر عليه الساعور الاكبر . فان قيل اذا كان سبب اتخاذ العمائم الكبيرة انما هو لوقاية الرؤوس لا للزينة او التحسين فما بال الذين يرقدون ليلاً يتعممون . فهل يخافون ان تتدحرج رؤوسهم عن مصادفهم فيسقطوا في مهواة في بيوتهم مع ان فرشهم تكون على الارض . قلت ان منشأ هذه العادة هو ان نساء تلك البلاد يتخذن في رؤوسهن هذه القرون التي يقال لها هناك طلائير . وهي تكون من فضة او ذهب في طول الذراع وغلظ الرسغ فاذا بات الرجل مع امرأته حاسر الرأس او كان على رأسه غطاء رقيق لم يأمن ان تنطحه بقرنها على قرنه فتمنيه باحدى الشجاج المذكورة . فان ابيت الا اللجاجة وقلت ما سبب هذه القرون الحسية ، هل هي دليل على التذكير بالقرون المعنوية عند مخالفة الرجل لامرأته ، او عند تفتيره عليها او اجفاره عنها . او هي من قبيل الزينة او من بطر النساء وشرهن بحيث اذا شمن رائحة الايسار من ازواجهن رأين ان كل مجس من اجسامهن قمين بالحلى والزينة ، ان كن يعتقدن ان المستور منها عن عيون الناس غير مستور عن عيونهن وعيون بعولهن . وان كان في المسألة خلاف عظيم وتحليل وتحريم ، وان في التزيين بحلي غير ظاهر للذة عظيمة . . . . . الخ . (١) ."

وهو لا يعجز عن ان يخترع القصص المضحكة التي تجمع الى الدعابة الحلوة مرّ التهكم . واليك هذه الخطبة التي وضعها على لسان احد رجال الدين ، يتهجم فيها على المبشرين :

"وقد سمعت ان بعض قسيسهم الذين لبثوا في بلادنا سنين رام مرة ان يخطب في القوم فلما صعد المنبر ارتج عليه ساعة الى ان قال . "ايها الكوم كد

فات الوقت الان ولكني اهتب فيكم نهار الاهد الكابل ان شاء الله . ثم سار الى  
بعض معارفه من اهل الدراية والعلم والتصن منه ان يكتب له خطبة يحفظها عن  
ظهر قلبه او يتلوها تلاوة . وحشد الناس اليه فلما غصت بهم الكنيسة صعد المنبر  
فقال " بسم الله الرحمن " ثم كانه انتبه من غفلته وعرف ان ذلك لا يرضى النصارى  
وان الكاتب انما كتب ذلك على طريقته . فاستدرك كلامه وقال . لا لا ما بديش اقول  
مسلم بيكول " الاسلام بسم الله الرحمن الرحيم بل كما تكول النصارى بسم الاب والابن  
والروح القدس . يا اولادى المباركين الهادين هنا لسماء هتبتى . وكبول نسيهتي  
وموهزتي . ان كنتم هدرتم وكلبكم مشكول بلزات الالم . اهبروني هتي اكسر من  
هتابكم فلا يتدجر اهد من توله ولا يتألم . والا فهزى فرصة سنهت لي اليوم .  
ازكر فيها النساء والرجال تزكير من لا يكفى اللوم . وانزهرهم يوم العشر والحساب .  
يوم لا ينفع مال ولا اسباب . ولا سهال ولا جواب . ايلموا رهمكم الله ان الدنيا  
زايه . ومتامها باتله . وهالاتها هايه . ومهايلها سافله فكونوا منها على هزر .  
ولا يدلكم ما آجب منها وما سر . اسرفوا انها نزركم . ولا تالكوا بها وتركم .  
افهسوا فيها كلبكم كبل ان تسندوا روسكم الى المهدة . وازبوا الى السلوات افى  
الديك والشدة . كدموا للكنائس نزرركم ولو كليله واستهينوا بالكديسين هال الفتيله .  
لتنكروا من المهن والمسايب وتتفقسوا من الكرب والنوايب اهترموا كسييسيم  
واساكتكم ووهروهم واكتدوا بهم . واركبوهم ولا هزوهم ترشدوا بسايهم وركسهم  
ودابهم يا ايها النصارى ان ديننا هو الهك . وواده هو الاسدك . وكبيره هو  
الاكذك وسوكه هو الانفك . لا تكالتوا هولاء الكرجيين . الذين اندسوا فيكم مزهين  
يتزيبون في ادالكم عن الزرات المستكيم . بما يزهررون لكم من الورا والكلك الهليم .  
الا انهم الزياب الكاتفة المتردية بلباس الهملان الجايلون في كل كتروسك ينسبون  
الينا الزيك والبهتان . وهم ازيك من سلك تريكا . واكرب من كتر سديكا . وكان  
رفيكا . الى ان قال ايها الكاركون في بهار الهتيا . تجنبوا ما يفدى بكم اليها  
فان اكبتهما اليكم بلايا ورزايا . الا فاسرموا ازباها سرما . وكاوموا اركابها

ازما . واستاسلوا جزرها رهزا . واكلاوا مكوياتها تناولوا ركزا . الازباب الازباب .  
فاكتاوا الازباب حتى تهلسوا في يوم الحساب . من الكسار والازباب (اي اقطموا  
الاسباب حتى تخلصوا في يوم الحساب من الفصام والعزوب ) ومع ذلك فلم يصفعه  
احد من السامعين بل استمر الى اخر الخطبة على هذا المط .<sup>(٤)</sup>

ولم تسلم مصر التي احبها ولاقى فيها الكثير من اسباب الخير والنعمة من نقده  
وتهكمه واليك بعضا مما قاله عنها :

ومن خصائصها ايضا ان البغاث بها يستنسر والذباب يستصقر . والناقة تستبعر .  
والجحر يستمهر . والهري يستنمر . بشرط ان تكون هذه الحيوانات مخلوبة اليها من  
بلاد بعيدة . ومن ذلك ان كثيرا من اهلها يرون ان كثرة الافكار في الراس . يكثر  
عنها الهموم والاكدار او بالعكس . وان العقل الطويل يتناول البعيد من الامور .  
كما ان الرجل الطويل يتناول البعيد من الثمر وغيره . وان تلك الكثرة سبب في  
الاقلال . وهذا الطول موجب لقصر الاجال . واوردوا على ذلك براهين سديدة  
قالوا ان العقل في الرأس كالنور في الفتيلة . فما دام النور موقدا فلا بد وان تنفذ  
الفتيلة ولا يمكن ابقاؤها الا باطفاء النور . او كالماء في الوادي . فاذا دام الماء  
جاريا فلا بد وان ينضب او ينصب في البحر فمتى حقن بقى . او كالفلوس في الكيس .  
فما دام المفلس اى صاحب الفلوس يمد يده الى كيسه وينفق منه فني ما عنده . الا ان  
تربط يده عن الكيس او يربط الكيس عن يده . او كالتيس النازي . فانه اذا دام نزوه  
نزفت مادة حياته فهلك فلا بد من نجفه . فمن ثم اصطلحوا على طريقة لتوقيف جريان  
العقل في ميدان الدماغ حينئذ من الاحيان ليتوفر لهم في غيره . وذلك بشرب شى من  
الحشيش او بعضفة او بالنظر اليه او بذكر اسمه . فحين يتعاطونه تغيب عنهم الهموم  
ويحضر السرور . وتولى الاحزان . ويرقص المكان . فمن يرهم على هذه الحالة وقد  
لويكتب في زميرتهم ويدخل في دائرتهم وان يكن قاضى القضاة .<sup>(٥)</sup>



وكثيرا ما يسخر بالالقاب . ومن الذين يمنحونها والذين يتلقون بها .  
وهذه حلقة من سلسلة الاصلاح الاجتماعي الذي كرس الشدياق له جزءا كبيرا من  
اثار قلمه . واليك هذه القطعة التي يسخر فيها بالالقاب واصحابها . وقد بلغ فيها  
حدا بعيدا من الدطابة والتهمك :

\* حد اللقب عند المشرقين انه هنة نائفة او زنمة او علاوة زائدة متدلدة  
تناط بكونية الانسان . وعليه قول صاحب القاموس العلاقي اللقاب لانها تعلق على  
الناس . وعند المغربيين اي الافرنج انه جليلة تكور في الجسم . وشرح ذلك  
ان الهنة يمكن قطعها واستئصالها مع السهولة وكذا الزنمة وكذا العلاوة يمكن  
ركسها وقلبها . فاما الجليلة فلا يمكن فصلها عن الجسم الا بايصال الضرر الى  
صاحبه . وحاشية ذلك ان الشرح لا يد له من حاشية ولولاها لم يفهم له معنى .  
ان الزنمة عند اهل الشرق غير موروثة الا ما ندر . فان لكل قاعدة شذوذا .  
والجليلة عند العرب متوارثة كابرا عن صاغر مثال ذلك لقب الباشا والبيك والافندي  
والاغابيل الملك انما هو محصور في ذات الملقب به فلا ينطق منه الى ولده . فقد  
يمكن ان يكون ابن الوزير او الملك كاتباً او نوتياً . فاما عند الافرنج فلا يصح ان  
يقال لابن المركزيز مركيزا او مركيزى . وقد يجتمع مطلق الزنمة والجليلة في جهة  
بقطع النظر عن كون الاولى متناهية والثانية غير متناهية . وذلك ان اصل كل منهما  
في الغالب اكال يحدث في ابدان ذوى الامر والنهى لهيجان الدم عليم . فلا يمكن  
تسكين هذا الهيجان وحك هذا الاكال الا باحداث الهنة او الجليلة وبيانه ان  
الملك اذا غضب مثلا على زيد من الزيديين لذنب اقترفه . ثم بعث اليه ذلك الزيد  
بشفيق عريان ليرضاه سگن هذا الاستشفاع ثورة ذلك الغضب . واختلطت الكيفية  
الهيجانية بالمهية العريية فانتجتا جليلة لمن كان يخاف سلاح جلده . فتحلى بها  
بين اقرانه حلية موبدة ولم يخف من تداول القرون عليه . والغالب في الجليلة  
ان تحتاج الى جسمين . جسم مفضوب عليه وجسم شافع فيه . والغالب في الهنة  
ان تحتاج الى جسم واحد فقط ومن الهنات هنات كئاسية وهي على نوعين ترايية

---





مدينة ما، الا انهم قد افراطوا في ذلك فان اكثر هؤلاء يذهب الى بلادنا مستوفزا ويرقد في الخانات فلا تمكن له مشاهدة ما فيها من الديار الرحبية والمنازه الفسيحة النظيرة فيتأذى مما عانى ويحمل ذلك على مناكب البلاد جزافا ويغض النظر عن سيئات بلاده. (١)

ويقول في موضع اخر يدافع عن الغناء العربي :

" وجميع الافرنج يقولون ان غناء العرب من خياشيمهم وعلى فرض تسليم ذلك ما يكون منافيا للاشياء والتطريب فان اللغة الفرنسية لا يتكلم بها الا مع الغنة وهي مع ذلك اشجى لغات الافرنج جميعا . وربما طرب لها من سمعها اول مرة من عمره . وقد رأيت من الافرنج من كان يطرب للانغام المصرية ولكن غب طول مكث بمصر وكان في اول امره يأنف منها ويقول انها محزنة . ولا يخفى ان للعادة تأثيرا في جميع الاحوال خصوصا في المنطق والالحن . (٢)

وهو كثير الاعتزاز بلغة الضاد وكثير الافتخار بانارها وصفاتها :

" ثم ان بقاء اللغة العربية في جزيرة مالطة ولا محرقة مع عدم تقييدها في الكتب دليل على مالها من القوة والتمكن عند من تصل اليهم من الاجيال . الا ترى ان مالطة قد تعاقبت عليها دول متعددة ودوا لو يحملون اهلها على التكلم بلغاتهم فلم يتهيا لهم وبقوا محافظين على ما عندهم منهم (٣) خلفا بعد خلف . (٤)

والشدياق يعتمد الاسلوب العلمي في هذا الكتاب ويتجلى ذلك في ترتيب الفصول وجمع المعلومات وتنسيقها ونقدها . وهو لا يكتفى باخذ الرواية كما هي بل يحاول اذا بدا له اى شك فيها ان ينقدها كقوله :

وممن ذكر حكومة مالطة من الشعراء الاقدمين او ميروس واوقيديوس ويفهم من كلام الاول ان القبيلة التي يقال لها الفياكس هم اول من استوطنوا هذه الجزيرة وكانوا ذوى قوة وبأس ثم خلفهم الفينيقيون وهم من جهات صور وصيدا وذلك سنة ١٥١٩ قبل الميلاد وكانوا اهل سعى وكسب وتجارة فلبثوا فيها نحو اربعمائة وخمسين سنة حتى تغلب عليهم الاغريقيون ثم سلموها للقرطاجنيين وذلك نحو سنة ٥٢٨

(١) ص ١٠٤ (٢) ص ١٠٤ (٣) هكذا في الأصل درجيا كما هو صوابا « منى » استارة لا لينة لبربية (٤) ص ١٠٤

قبل الميلاد ثم جاء من بعدهم الرومانيون في سنة ٢٨٣ من التاريخ المذكور فاقروا فيها احكامهم وسننهم واعظم ما حدث في دولة الرومانيين مما لا ينبغي ان يهمل ذكره قدوم مار بولس وانكسار السفينة به وبمن كان معه وذلك سنة ٥٨ للميلاد في عهد القيصر طيباريوس في موضع يقال له الان خليج مار بولس ومنذ ذلك الوقت تنصر اهل الجزيرة ثم بعد انقراض دولة الرومانيين منها استولت عليها قبيلة الفندلس ثم القوث ثم تغلب على هؤلاء البليساويون وطردهم منها والحقوها بحكومة البلاد الشرقية وبقيت كذلك الى سنة ٧٨٠ فاخذوا في هضم الرعية فقاموا عليهم وسلموا الجزيرة للمسلمين . قلت ذكر في كتاب الجمع والبيان في اخبار القيروان ان مالطة فتحت في ايام ابي الغرانيق محمد بن احمد بن محمد بن الاغلب توفي سنة احدى وستين ومائتين وانما لقب بالغرانيق لانه كان مشغوقا بالصيد روى انه بنى قسرا في السهلين لصيد الغرانيق انفق فيه ثلاثين الف دينار فكفى بهذه الكنية وكان في غاية الجود الا انه غلب عليه اللهو والطرب والاكل والشرب ولم يزل مقيما على لذاته طول عمره انتهى فعلى هذا فلا معنى لقول المؤلف وسلموا الجزيرة للمسلمين . .<sup>٥</sup>

وهو ينتقد رأى مؤلف الكتاب الذى نقل عنه في لغة مالطة ويحاول ان

ينقض اراءه ويجرحها تجريحا علميا :

" قال اما لغة مالطة فذهب بعضهم الى انها عربية فاسدة وذهب اخرون الى انها فينيقية لان اليونانيين بعد ان فتحوا الجزيرة لم يخرجوا منها الفينيقيين بل ظلوا فيها آمنين محافظين على لغتهم وما برحت مستعملة حتى بعد استيلاء الرومانيين عليها وانها لم تتغير في مدة القراطاجنيين لان لغة هؤلاء ايضا كانت فينيقية ومع ان داب الرومانيين كان حمل الناس على التخلق باخلاقهم والسلوك بسننهم اينما ملكوا فلم يجبروا الرعية هنا على التكلم بلغتهم والدليل على ذلك ان الرومانيين الذين كانوا مع مار بولس سموا العالطيين بربرا ولم يكن يطلق هذا الاسم الا على من جهل اللاتينية واليونانية قال ثم بقيت في دولة المسلمين ايضا ولم

تتغير وانما دخل فيها بعض الفاظ اجنبية ويؤيد كونها فينيقية مشابهة بعض الفاظ  
 منها للغتنا نحو بير وصيد فانهما في الفينيقية بروصد وغير هذا كثير مما له لفظ  
 واحد ومعنى واحد في كلتا اللغتين والحاصل ان مأخذ اللغة المالطية من الفينيقية  
 ارجح من ان يكون من العربية وان كانت قريبة من هذه ايضا . قلت دليله هذا  
 اوهى من بيت العنكبوت فان البير والصيد ينطق بهما في لغتهم كما في لغتنا سوا  
 ما عدا موافقتهما في تصريف الافعال والاسماء وفي الضمائر وغير ذلك من اساليب  
 الكلام كما سيأتي بيان ذلك . ومن الغريب ان المؤلف لا يعرف الفينيقية ولا العربية  
 ولا المالطية وان كانت لغته ويتعمر للحكم والاستدلال فكيف يحكم على شيء وهو  
 يجهله وكيف يقول اولا ان لغة المسلمين بقيت في اهل مالطة لشدة الالتحام الذي  
 كان بين الفريقين ثم يقول الان انها فينيقية لمجرد وجود كلمتين فيها وانما حمله  
 على هذا بغضفه وبغضة اهل بلاده للعرب وتبرئة انفسهم انهم ليسوا منهم بل من  
 الفينيقيين ان كان هؤلاء كما ذكر ارباب جد وتجارة والعرب عند اهل مالطة كناية  
 عن الهمج وذلك لجهلهم التواريخ ولانهم لا يرون الان الا صعايك المغاربة  
 والظاهر ان المسلمين الذين فتحوا مالطة لم يكونوا من اهل العلم والتقدم كالذين  
 كانوا في صقلية وغيرها .<sup>(١)</sup>

وفي بعض الاحيان نراه يقارن بين الاخبار والروايات كقوله :

"واذا ضحيت الى الخلاه وجدت بين كل حقلين جدارا عاليا لحجز رؤية ما  
 دونه فابن هذا من سهول فرنسا وانكلترا البادية للعين على نضرتها وريبعها  
 وعلى كثرة ما فيها من اكاديس الغلال والعشب من دون ناصور يحفظها او حائط  
 يسترها"<sup>(٢)</sup>

ومن قبيل ذلك قوله :

"ومن استأجر دارا فلا بد وان يدخلها مبيضة مصبوغة المنجور . وصبح الخشب  
 عادة حميدة فانه ابهى للنظر وابقى للخشب وقد تظهر به الدار بهية في الخارج  
 وربما كان داخلها بخلاف ذلك وهي عكس العادة عندنا فان خارج ديار مصر والشام

مظنة للهمجية مع ان داخلها منقوش مزخرف وسبب ذلك ان الحكام في السابق كانت ايديهم ممتدة لآخذ اموال الناس فلم يكن احد من الرعية يتظاهر بالغنى لا في بناء ولا في لباس. (٤)

وهو يذكر الارقام والتواريخ ويورد الاحصاءات الدقيقة ويتتبع الاخبار في ابحاثه حتى تكون محيطه وافية . ولكن رغم هذا كله ورغم محاولته ان يقلد اساليب التأليف الحديثة ولا يخلو كتابه من الفوضى والتشويش في بعض المواضع والفصول فمثلا نراه لا يقسم البحث الى اجزاء صغيرة فيتكلم عن الجغرافيا والمناخ والتاريخ في فصل واحد دون تقسيم او ترتيب . كما اننا نراه يكرر بعض المعلومات والاخبار . ويذكر بعض معلومات الفصل الاول في الفصل الثاني . كما انه يستطرد في بعض احيان فيترك البحث لفائدة لغوية او ادبية او تاريخية ثم يعود اليه وهكذا . (٥)

واسلوبه في هذا الكتاب عموما سهل يشبه الى حد كبير اسلوبه الصحفي الذي تحدثنا عنه في الفصل السادس من هذا الكتاب وهو الاسلوب شبه العلمي الذي تكون الالفاظ فيه على قدر المعاني والذي يؤدى الافكار والحقائق بدقة وتحديد واستقصاء وسهولة ووضوح . وهذا لا يعني انه كان جافا لا حياة فيه بل اننا لنرى فيه الكثير من الحيوية مما لا نجده في الكتب التي تشبهه .

### ٣ . كشف المخيا عن فنون اوروبا :

وهو تقرير مفصل عن سياحته في اوروبا تحدث فيه عن جغرافية البلاد وتاريخها ووصف تمدن اوروبا عموما وخصر البحث بانكلترا وفرنسا . وكان ينفذ تمدنهم ويميز الحسن من السيء والجيد من الرديء .

وربما كانت غايته الاولى من تأليف هذا الكتاب هي ان يقدم لبني جنسه ملاما من التمدن الحديث . محبذا الطيب ليقتدى منددا بالرىء ليتجنب . وهو يشير الى ذلك بقوله في مقدمة الطبعة الثانية :





والمعيب، وانه قل من ينظر الى نفسه بعين المصيب . (٤)

فتراه يحاول دائما ان يشير الى المصادر التي اخذ منها، وان ينقد بعض الاخبار والروايات فلا يقبل شيئا على علته . فيعقب على بعض الاخبار بقوله : " وفيه نظر " او بقوله " هكذا نقلته وهو غريب " او بقوله " والعهد على الراوي " .<sup>(٥)</sup> وفي بعض الاحيان ينتقد اقوال بعض الكتاب والمؤرخين، ومن ذلك نقده لما جاء في كتاب الشيخ رفاعة الطهطاوي<sup>(٥)</sup> عن اهل باريس قال : " ومن هنا يعلم ان ما ذكره الشيخ رفاعة بك من ان اهل باريس يقطعون من البيض بخمسة الاف فرنك سهو . والظاهر انه اراد خمسة ملايين . كيف لا وقد قال انهم يخلطونه في نحو ثلاثمائة صنف من الطعام " .<sup>(٥)</sup>

وهو يوشئ ان يكون دقيقا فيما ينقله من الاخبار والروايات . كما كان دقيقا في وصفه لما رأى . والظاهر ان قدومه من بلاد فطرية الحضارة، الى بلاد بلغت فيها مبلغا عظيما مكته من ان يرى للبعث التاسع بين حضارتي الشرق والغرب، ومن ان يصف اكثر ما يراه .

وهو هنا، كما فعل في الواسطة، ويميل الى عقد المقارنات ومن قبيل ذلك مقارنة بين انكلترا وباريس<sup>(٦)</sup> وهو في هذه المقارنات، كما ذكرنا سابقا، يوشئ قول الحق ولا يعيل الى طرف دون الاخر . فبينما نراه يمدح باريس في بعض المواضع نراه يذمها في البعض الاخر .

الا ان ابجائه لا تخلو من المبالغة في بعض المواضع كقوله " جسر واطرلو وهو اعظم جسر في المسكونة " وقوله عن جريدة التيمس : " ان اول جرنال في الدنيا باسرها هو الجرنال الصقي تيمس ومعنى هذه اللفظة الاوقات ومعنى الجرنال يومية وهي لفظة فرنساوية وهذه الصحيفة تحوى جميع اخبار المسكونة " .<sup>(٥)</sup>

(١) ص ٥ (٢) ص ٤٨ (٣) ص ٨٩ (٤) ص ٤٧ (٥) في كتابه " خروصه الابيض والديوانه النفسى " (٦) ص ٥٠٠  
(٧) ص ٤٧٢، ٤٨٦، ٤٨٨، ٤٩٤، ٤٧١، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠



الفصل الرابع

الناظم

ويتناول انتاجه في النظم بالعرض والتحليل والدراسة

ليس بين يدينا من شعر الشدياق سوى ديوان شعري واحد هو الجزء الثالث من "كنز الرغائب" وهو يحتوي على بعض القصائد التي نظمها صاحب الجوائب بالاستانة وهي التي ادرجت بالجوائب<sup>(١)</sup> وفيما عدا الديوان نجد له اشعارا مفرقة في "الساق على الساق" و"الواسطة" و"كشف المخبا" والجزئين الاول والثاني من "كنز الرغائب" وفي بعض الكتب التي ترجمت له .

ويذكر زيدان<sup>(٢)</sup> بين كتبه التي لم تطبع ديوانا من الشعر يشتمل على اثنين وعشرين الف بيت، ويتأججه في ذلك الكونت طرازي<sup>(٣)</sup> ويضيف بولس مسعد على ذلك انه راجعه سنة ١٨٨٢<sup>(٤)</sup> وبين يدينا مقدمة مطبوعة لديوانه هي "مقدمة ديوان احمد فارس افندي صاحب الجوائب"<sup>(٥)</sup> ويقول عنها انها مقدمة لديوانه "المغنى في كل معنى"<sup>(٦)</sup> وقد ورد عنها في دائرة معارف البستاني :

"وله ديوان شعر كبير صدره بمقدمة على اسلوب جديد شائق طبعها في آخر حياته وقد اهدى اليها نسخة منها فالفيناها فريدة في بابها تتضمن نقدا للشعر لم يجز عليه احد من كتاب العرب ولم يشاء ان يذيعها قبل الفراغ من طبع الديوان ولكن المنية حالت دون مراده"<sup>(٧)</sup> .

هذا ما عثرنا عليه بشأن هذا الديوان الذي ربما ضاع او احترق او سقط في يدي احد ورثته . وقيل ان نتقدم الي عرض شعره نود ان نشير الى ان دراستنا هذه له لن تكون وافية شاملة لانها تقتصر على جزء صغير من شعره واكثره من الشعر الرسمي شعر المناسبات الذي قلما تظهر فيه الشاعرية الحقة والذي يتقيد في الاكثر بما تواضع عليه اهل العصر من الصاليب النظم .

### ذم الدنيا وشكوى الزمان :

لا نحرف شاعرا في ادبنا كالشدياق خص الدنيا وما فيها من ضروب البؤس والشقاء وما هي علي من تقلب ودوران ، بشعر عذب خفاف في رباعيات بلغت ما يقرب من الاربعائة والخمسين بيتا ،

(١) الصفحة الاولى من كنز الرغائب ج ٢ ص ٢٤ (٢) تراجم مشاهير الشرحه ج ٢ ص ١٤٠ (٣) تاريخ الصحافة ج ٢ ص ٩٦ (٤) فندس الشدياق لبولس مسعد ص ٥٤ (٥) عثرنا عليها في المكتبة الشرقية في بيروت وهي مطبوعة في المطبعة الجوائب و فيها بعضه آراء منقولة في النقد اللغوي للشعر (٦) مقدمة لديوان ص ٢٩ (٧) دائرة المعارف ج ١٠ ص ٥٥٤

ضعفها خلاصة تجاربه في الحياة وتمرساته بالافراد والجماعات<sup>(١)</sup> . ولا بناهخ اذا قلنا ان ان هذه الاشعار التي عبر فيها الشدياق عن تالعه في الدنيا وشكواه من الزمان وتضييقه هي احسن ما قرأناه له من الشعر . امامها لصغر هجاؤه وان كان ملكة من ملكاته التي خصه اله الفن بها . كذلك يتخالف وصفه للنساء وتشبيبه بهن مع انه كان يرى العالم كله في امرأة . ورغم انه خسر هذا الجنس باكثر ما كتبه من النثر .

شكا الشدياق من الدنيا ، وما اكثر ما شكا منها شعراء العرب قبله وبعده . وشعراء العالم اجمع فالدنيا اذا نظر اليها ذوو النفوس الحساسة لا يبرز لهم فيها الى كل ما يسيء وما يحزن . " ولقد تبلغ الشكوى في نفس الشاعر مبلغها فيقهم الزمان بمعالاة الاسافل ومحاربة الافاضل والعمل على نشر الفساد بين العباد . ولا غرابة فالشاعر بطبيعته حاد الشعور شديد التاثر بالسيئات ، وهو كاهل الفن عموما لا يرى من انصاف في معاملته الناس له وفي تقديرهم اعماله . وذلك اما ان يدقعه في سبيل التشائم فيندم الحياة وما فيها ، واما في سبيل الاهتزاز فيبدل بنفسه ومآتيها ، ويصور لك من محامده ما يحبب اليك صفات الاماجد ويظريك بتغنيه بالمكارم والمحامد<sup>(٢)</sup> .

ولقد رآى الشدياق في الدنيا ما رآه فيها عنتره من محاربة الافاضل والشجعان وما رآه المتنبى من وقوفها في سبيل طموحه الى المجد والرئاسة ، ومن وضعها الاسافل في مواضع الاماجد ، وما رآه المعرى من انها خداعة مآكرة متقلبة لا يطمئن اليها الا الجاهل الخائخ ، الذي لا يشعر بجورها ، او المتقلب الذي يتصف بصفاتهما . وما رآه الطغرائي وابن سناء الملك والبارودي وحافظ ابراهيم ورشيد سليم الخورى وابو ماضي والزهرراوى والرصافي والنحفي وسواهم . ولا يخلو ذمة لها من التقليد والتاثر في بعض المعاني والقوالب ، الا انه صبغها بصبغة روحه فجاءت كأنها نغفات دم من فؤاده او قطع نار من كبده .

دم الشدياق الدنيا لانها ضيقت عليه الخناق ، كما ضيقته على سواء :

كقابي القوس	قطر	دنياى	ضيقا	وقصرا
فليس غرو اذا	ما	اصبحت	كالمسهم ضمرا <sup>(٣)</sup>	

(١) قد يكون بين هذه الرباعيات ورباعيات الزهاوي بسمة عظيم وذلك ظاهر في الواح البؤس والشتاء ص ٢٤٢ (الرباعيات) وفي (الكون والحياة) ص ١٠٠ ، الا انه لم يصرف الشدياق (٢) الطغترائي المرأة للصدى ص ١٦٦ (١٩٦٦) (٣) الديوان ص ٨٨ (٤) كنز الرغائب

ومن هذا الضيق ما هو مادي :

زعموا الدنيا مدورة تشبه الدينار والدرهم  
قلت ان فاتت ثلاثتها ناظري ولم ادر ما يزعم<sup>(١)</sup>

ومنه ما هو معنوي ويظهر في اعتراضها بينه وبين ما يستحقه من درجات المجد والرئاسة؛  
وهذه الدنيا لا تثبت على حال فلذا يجب الا يطمئن اليها العاقل :

لا يفرنك من دنياك حلال ذو ثبوت  
انما اثبت حليها كيبوت العنكبوت<sup>(٢)</sup>

وهذا التقلب الظاهر في تصرفاتها يتجاذبه بين طمع في اقبالها وأس منه .

اذا فكرت في دنياى يوما ذهلت عن الكلام وصرت عيا  
تقنطني فالفي الحيت ميتا وتطمعني فاهجو الميت حيا<sup>(٣)</sup>

وبنو الدنيا ليسوا احسن من امهم . انهم صورة عنها :

ومن محسن الدنيا عداوة جاهل تفتح بالدعوى وفي فمه ربح  
اصم عن البرهان اعى عن الهوى فهل مثله تبغي له الخير او ترجو<sup>(٤)</sup>

وهم لجهلهم فافلون عنها ، ساهون عن تقلبها ، مطمئنون اليها :

بنوا الدنيا اتوا امرا قبيحا بان كلفوا بامهم غراما  
لذلك قابلتهم بالرزايا فكانت ما حيوا لهم لزاما<sup>(٥)</sup>

وهم كذلك يسوون بعاجلها ، ولا عجب في ذلك فقد خلق الانسان عجولا :

من سره عاجل الدنيا فسوف يرى ما فيه مشجية في ساعة الاجل  
لا غرو ان كان منهموما بعاجلها فانما خلق الانسان من عجل<sup>(٦)</sup>

والجوائب التي كانت خير دعاية لعلم الشدياق وأدبه ، والتي كانت ينبوعا للبركة

والخير ، لم تعدم حسادا كانوا يقفون لها بالمرصاد ، ويترقبون تردبها في خطأ سياسي

(١) الديوان ص ١١ (كثير الغائب ج. ٢) (٥) كنز الغائب ج. ٢ ص ٨٠ (٦) ص ٨٥ (٧) ص ٥٥٧

او لغوى ، لتقوم قائمتهم عليها وتثور ثائرتهم على صاحبها . وقد اشرنا الى ذلك في  
الفصل الخامس من هذا الكتاب .

وقد دفعه ذلك الى نظم كثير من الشعر الهجائي في اعدائه واعدائها كصاحب  
برجيس بارس ، سليمان الحريري ، واليازجي الابن وسواهما . كما انه بث تدمره ما تجره  
عليه من الويلات في شعر كثير . فقد كان عندما اصدرها متخوفا من النتيجة ، وخاف  
ان لا يهادنه الدهر ، كما امل عندما قصد السلطان ، وخاف ان تتحطم آماله العراض  
التي بناها على زيارته للاستانة على صخرة الحسد والخصومات فيظل نجم سعدة في  
هبوط:

لقد طفت في الدنيا على غير طائل      فلما بدا عجزى انبت جوابي  
فيا ليت شعري ، والنائب جملة ،      ايخفق كل من منيب ونائب<sup>(١)</sup>

ولكنه اصدرها وكان شجاعا ، فليقت بادي الامر عقبات واشواكا ككل مشروع ضخم  
عظيم :

تجوب جوابي الدنيا ولكن      تروى ولم ترد عنها جواب  
فهل خفا حنين عائقها      والا صار مخنمها الا ياب<sup>(٢)</sup>

وليضمن لها النجاح ، كان عليه ان يكرس لها نصيبا كبيرا من وقته وجهده ، فكانت  
بذلك نبض حيوته :

بي شكا ، من الجوائب لكن      من شقاء الدنيا شكائي امض  
من يرم ان يجسر نبضي ليدري      ما اعانيه فالجوائب نبض<sup>(٣)</sup>

اما مصائب الدنيا التي اصطلحت عليه لا تهادنه ، فكانها لما رات انتشار جوائبه  
خافت على نفسها منها ، وخشيت ان تفشي اسرارها للناس فيعرفوها على حقيقتها .

قد زادت الدنيا على عداوة      لما رات في الارض جوب جوابي  
فكانها جاءت عليها ضرة      تفشي معايبها لعين العائب<sup>(٤)</sup>

(١) كثر الغائب ٢ ص ١١ (٢) ص ١٢ (٣) ص ١٥ (٤) ص ١٩

وقد تغلبت عليه وعلى جوائبه ظروف مختلفة ، بعضها ضيق عسر :

على سطح ذي الدنيا اراني نقطة  
وقد اعجب المنقاد جمع جوائي  
وبعضها يتارجح بين العسر والبسر :

ومن عجب الدنيا اختلاف جوائي  
ففي البرد كانت ذات ريع وكنت ذا  
وشأني اذا ما عفا البرد والحر  
فحول خوافي الحر فانعكس الامر<sup>(٤)</sup>

وقد يمتزج هذا البكاء المر بالدعابة الحلوة تصدر عن روح الشاعر التي فطرت على  
حب الفكاهة والمرح ، واكثر ما قاله من هذا القبيل كان يدور حول معشيقه البيتية وما كان  
فيها من عسر وشدة ، قال يصف البعوض ومضايقته له في نومه :

يدندن لي البعوض اذا رأي  
فتبتدر الكلاب مجاوبسات  
وقال في البراغيت :

يا ليلة ما اسفرت عن صباح  
بت بها اغزى ولغزى وما  
وقال في البق :

يا ليلة لم تذوق عيني بها سنة  
مثل القصور على جسمي مرصعة حتى الى خاتمي الفين منها جا<sup>(٥)</sup>  
وقال يصف اثاث بيته :

غدا بيتي كثير الغرثر لما  
فلا عجب اذا ما قلت يهووما  
تهلهل فيه نسج العنكبوت  
لكيد الناس اني ذو بيوت<sup>(٦)</sup>

(١) لكثر الرغائب ٧٤٠ ص ٤٤ (٢) ص ٢٢ (٣) ص ١٥ (٤) ص ١٥ (٥) ص ١٧٥ (٦) ص ١٦٥ / وكثرنا  
في هذه الهناسة ايما تلاحد الصافي الخبي نلمس منها الروح السريانية التي ظهرت في شكوى  
الدهر ودم الدنيا ( راجع مقدمة الشاعر - الاسماع ص ١٤ )



الا انه رزم هذا كله واثق من نفسه مؤمن في خلوده :

كانني غلطة الدنيا فدهرى  
وهبه محاه اعناتا وضيقا  
يحاول كل يوم محو رسمي  
فهل في وسعه ان يحواسمي<sup>(١)</sup>  
وقد استفاد الشاعر من تمرسه بالدنيا وماحوالها المختلفة وبتصرفاتها المتباينة ، تجارب  
واختبارات عرضها لنا في ابيات تدل على تعمق واحاطة في معرفة الحياة والناس ، وهو  
يعترف بذلك قائلاً :

من لم تعلمه دنياه فما هو من  
فمن صروف الليالي منتهى عبر  
دراسة الصحف الاولى بمعتبر  
وفي التجارب ما يخفي عن الخبر<sup>(٢)</sup>  
ومن امثلة حكمه قوله :

كانني بالدنيا تقول لجاهل  
فمن اجل هذا اصبح الجهل عدة  
تبعج على امن بما بك من جهل  
لكل لثيم رام حرب اولي الفضل<sup>(٣)</sup>  
وقوله يشكو الناس :

فكوتهم من بالدنيا فقالت ظلمتني  
فقلت فهم يشكونني ان شكوتهم  
فقلت ومن اشكو فقالت من الناس  
فقلت اذا فالصمت للعبتي آسي<sup>(٤)</sup>

وقوله يئنم الجهال الذين تصفو لهم الحياة ، واصفا نفس التجربة التي مر بها المتعب<sup>(٥)</sup> :

ما عاثر في الدنيا سوى جاهل  
ينظرها قد اعجلت خيرا  
عن غامض من كيدها غافل  
له فلا ينظر في الآجل<sup>(٦)</sup>  
وقوله :

من لم تخدره دنياه بغبرتها  
ليس الذي وعظ الاقوام ذا رشده  
فلن يكون اذا خدرته يقظا  
بل الذي سمع الانذار فاتعظا<sup>(٧)</sup>  
وقوله مناديا بوجوب الجراءة والاقدام في الحياة لنيل الاوطار :

(١) كثر الغائب ج ٢ ص ٨ (٢) ص ١٠٥ (٣) ص ٤٤٤ ايضاً (٤) وذلك في بيته  
تضمنوا الحياة لجاهل ادغاشي فما مضى منها وما يتوقع  
(٥) ص ٤٧ (٦) ص ٥٧

لا ينال المجد من رهبا وعن الناس يني الحجا  
غالب الاوطار تظفر بها انما الدنيا لمن غلبها<sup>(١)</sup>

وقوله في قلب الدنيا :

في مخبر الدنيا لذي حـجـر لسان قائل  
كل نعيم زائل وكل حال حائل<sup>(٢)</sup>

وقوله يصف قلب الناس في الحياة :

الناس في الدنيا على اى اذا هم اعسروا  
لكما اهوؤهم شتى اذا هم ايسروا<sup>(٣)</sup>

وقوله فيينا اثر المصائب في تكوين شخصية الانسان :

فلا تحسبن التاج وهو مرصع ترفع قدرا قبل ان ادخل النار  
ولا تحسبن الدر وهو منظم فلا قبل ان خاض الفتى ابحارا<sup>(٤)</sup>  
الى غير ذلك من الاقوال الحكيمة التي يجرى اكثرها مجرى الامثال .

وكانت هذه الشكوى تقترن احيانا بهجاء خصومه ومن ذلك قوله في هجاء سلطان  
الحريري صاحب " برجيس باريس "

سالت دنياى متى ينتهي فعلك هذا العائل الغائل  
قالت متى اقلع عن غيبه برجيس باريس او الخابل<sup>(٥)</sup>

وقوله :

اقول لدنياى كفى الاحسن وهذا البلاء وهذى المحن  
فقلت كفاني اني بها تخبطت برجيس لما مجن<sup>(٦)</sup>

وقوله :

ايا قوم انظروا ماذا بملاني به جور الزمان وما دهاني  
ولو حر بليت به ولكن تعالوا وانظروا بمن ابتلاني<sup>(٧)</sup>

(١) لتز الرغائب ٢٤ ص ١٥٠ ص ١١٠ (٢) ص ١١٨ ونبطوه معنى هذا البيت على حياته

تمام الانطباع ٥٠ (٤) ص ٢٠٦ ص ٢٠٥ (٥) ص ٩٠ (٧) ص ٢٠٧

ومن هذا القبيل ما قاله في هجاء المعلم بطرس البستاني . ومجلته الجنان . اذى كان  
بناصر ابراهيم اليازجي في خصوصته له .

كابدت من زمني كوارث جمعة  
وامرها في مرها ثنتان  
لغة الجنان اذا هذت في مدح  
قارى لغوها وسياحة البستاني<sup>(١)</sup>  
كما انها كانت تفتن احيانا بالمدح . نحو قوله في مدح الخديو اسماعيل :

اذا ما ساد في الدنيا امير  
فاسماعيل اعلى منه قد را  
به مصر ازدهت وزكت فارخ  
بميلاد الخديوى بر مصرا<sup>(٢)</sup>  
وقوله في مدح السلطان :

زعموا الدنيا عنا سا  
ينجلي  
قلت كلا انما  
مرآتها  
فيه ما في الكون من شيء حسين  
هي مرضاة امير المؤمنين<sup>(٣)</sup>

هذا عطف سريع لشعر الشدياق في ذم الدنيا . ونحن على مثل اليقين من ان هذا  
التخصص في ذم الدنيا لا يضاويه شاعر بين الاقدمين والحديثين . وقد كانت احاديثه  
عنها . كما لاحظنا من الامثلة القليلة الماضية . احاديث من تجرع زعافها ولذع بنارها .  
الا ان هذا التالم من الدنيا مر في طورين . او تحلى في مظهرين :  
الاول كان فيه يشكو امن البؤس . ومن مرارة العيش وضيق ذات يده . اما في الثاني فقد  
كان يشكو من النعمة ز يشكو من الحماد الذين كانوا يظهرون له البغضاء . وبهاجمونه  
وجوائبه وادبه .

### الهجاء :

الهجاء هو فن البغض والازدراء . ولكنه كان عند احمد . كما كان عند معظم  
الشعراء العرب . فن  
وسباب بينه وبين الفن الحقيقي . القائم على السخرية والتعريض  
بون شاسع . وقد كان عنده ذاتيا . يتعرض فيه . في الاكثر الى صفات الشخص الظاهرة .

(١) كثر الرغائب ج ٢ ص ٦٠٦ (٢) ص ٩٧ (٣) ص ٦١

في حين يهمل المكونات الاساسية لشخصية المهجور . والمعارك الهجائية في ميدان الشدياق خاطفة وفاضلة . وشعره في الهجاء من احسن ما قاله . فهو يخلو من اكثر معيبات شعره ، من الحشو والتكرار وانتقليد . وهجاؤه يبرز لنا في طورين :

الاول : قبل اتصاله بالسلطان في الاستانة منذ طفولته في لبنان<sup>(١)</sup> الى حياته في مصر ومالطة واوروبا . وقد لقب مرة بابي دلامة ، لمشايمته للشاعر الماجن زند بن الجون المتوفي سنة ١٦١ هـ الذي اشتهر بظفره ولطف هجائه . وكان ذلك على اثر هجائه لقوم من الدرروز في قصيدة وصف فيها شراحتهم في الاكل ومنها :

في كثر كل منهم سكينه وسلاحه الماضي فاين المطعم<sup>(٢)</sup>  
 وكانت مواضع هجائه تسامر احواله في تلك الفترة . وكانت على قلتها ، متنوعة . فقد هجا رجال الدين وكتبهم وما فيها من اخطأ وركاكة<sup>(٣)</sup> واتخذ الهجاء وسيلة للدعابة والمفاكحة كقوله في هجاء اهل مالطة :

لثام اذا ما زرتهم في بيوتهم كرام اذا زاروك ما امكن اللحن  
 ولو وسعت افواههم غير ما بها لكان لكل لين عانيا به فاس<sup>(٤)</sup>  
 وقوله في هجاء جاره فيها :

لجاري يغر للمم القريب ودم النوى منتهى حده  
 فلا شي اسهل من فتحه ولا شي اصعب من سده<sup>(٥)</sup>

وقوله في هجاء الانكليز في مالطة :

اذا زرت ارحبهم دارة توهم غولا قد اغتالها  
 يخلق ابوابه ان نوى فطورا ويحكم اقالها  
 ومن كان فيهم له خادم يظن المعالي قد طالها  
 اذا تتبوا كرسبه وثيك من زجه حالها  
 يرى انه محسن مفضل وان المآثر قد نالها<sup>(٦)</sup>

(١) ذكر في مقدمة الديوان ص ١٢ انه اكثر شغره في هذه الفترة صناع (٢) السامه ج ١ ص ٢٦ (٣) ص ٢٥ (٤) الواسطة في احوال مالطة ص ٢٥ (٥) الواسطة في احوال مالطة ص ٢٥ (٦) الواسطة في احوال مالطة ص ٤٩

وقوله في لغة اهل مالطة :

وتبا لها لغة بنغير	قراءة	وكتابة عين بلا	انسان
تتبيل الالباب في	تركيبها	ويكل عنها كل حد لسان	
اذنابها ورووسها	عريسة	فسدت واوسطها من الطليان <sup>(١)</sup>	

وقد هجا باريس في قطيعة طويلة تقع في سبعة وستين بيتا فيها من الدعاية وخفة الروح الشيء الكثير . وقد قالها في معارضة قصيدة له في مدحها . ومن هذه المهجاة قوله :

اذى عبقر في الارض ام هي باريس	زيانية سكانها ام فرنسيسر
وهل ذى نساء في مواحلها ترى	والا فكل حين تخطر جاموس
وهل ذا شرار يجلب الهم في الدجى	الى البال ان نبصر به ام نبارس
وهل زفوة الدنيا ترى في هواج	تمر كعير ظالم ام مطافيس
نعم انها ماوى الجحيم وشاهدى	شقيون في ساحاتها ومناحيس
وفسق وعليون فيها	على سرر مرصوة وتناجيس
واكل من الزقوم يخبث	وشرب من الخسلين يسقيه ابليس
واعمدة تلقى الشياطين	عند ما
سقا لمن منها تبوا	منزلا
اذا شدة او كربة بك	برحت
ويرز عليها ان يفتك	مبرز
وان تك يوما طامعا في لبانة	
بها ما يسوء العين من كل اربة	
وفي ذكر ما فيها يسوء اساءة	
هي المنهل المسموم حثف لظامى	
هي الخوف من كل الخطوب فما على	
نعم هي في عين الزمان قذى فما	

فانها من سكانها ام فرنسيسر  
والا فكل حين تخطر جاموس  
الى البال ان نبصر به ام نبارس  
تمر كعير ظالم ام مطافيس  
شقيون في ساحاتها ومناحيس  
على سرر مرصوة وتناجيس  
وشرب من الخسلين يسقيه ابليس  
كان لها فوق الخبائث تاسيس  
وتعسا لمن فيها له تاح تعريس  
بها فاناً عنها فهو للكوكب تنفيس  
فبين المقامين اتحاد وتجنيس  
فرويتها ياس لما هو محدودس  
وما تجتوى نفس وما نكره التسوس  
تفوق على ما خفته وهو محسوس  
وللزائرها الشر اجمع مبعجوس  
عبر بها الا المخاطر والبوس  
اتاه امرؤ الا ومنها غدا في سو<sup>(٢)</sup>

(١) الواصلة في مصرفة احوال مالطة ص ٥٧ (٢) الواصلة على الواصلة ص ٩٢ ص ٩٥



ومن قوله يشير الى غيبة انصاره عليه :

قولوا لبرجيس الابل الحيقر  
واقاك من بغداد ليث صائل  
واقاك من كل البلاد ائمة  
واقاك نجم ثاقب من مصرها  
واقاك من بيروت حكم فاصل  
في اللاذقية عرض لوئك ظاهر  
علم الائمة كلهم ان الخــــنى  
فاتاك بعضهم بسهم صائب  
انى الفخار لصارق مستهتر  
ايان يركفه لشن عضيحة  
نجش الخبائث طبعه ان فاته  
لقى بها من كل جارحة لمة  
ما ان تراه الدهر الا خاتلا  
او مضويا وموسوما ومغشما  
ويلي على المرتد عن سبل الهدى

واقاك سمام الفصح الحيدرى  
وكذا من الحدباء باس غضنفر  
يذرون شانك في المطب الاخر  
وتلاه سهم صائب مذ اشهر  
يفتى بانك في ضلال اشهر  
ويتونس اسمك سدة في المنخر  
لك حرفة ان كنت اسفه مفتر  
وعلاك بعضهم بسيف ابتر  
مستاجر عند الابل مسخر  
لباه وهو يقول عبدك لامر  
نبش القبور فكان شر مبشر  
فالجوم ما للمسك من مستاجر  
ومخررا او عرضة لغرر  
او مركبا لموسوس ومغشمر  
الحائر المتسكع المتنصر<sup>(١)</sup>

وقد هجا زميله المعلم بطرس البستاني لانه كان يناصر ابراهيم اليازجي في مناظرته للشدياق ، ولانه فتح له صفحات مجلته "الجنان" يرد فيها على خصمه ز ولاسباب اخرى ربما كان من الحسد الذى كان مبعته التنافس بينهما على امارة القلم في القرن الماضي وما قاله فيه :

الا قولوا لعاش في الجنان  
لانت هو المنافق والسراشي  
وزدت على النفاق الغبن لما  
يعيث تعمت انك شر جان  
ومدهون لسانك بالدهان  
ابعت القطر بئس الخصلتان

فكيف يجوز بيع او شرا  
وكيف اخذت درهمه حراما  
ولولا الغش لم تلبس قميصا  
ولو كانت لك التقوى شعارا  
لقد علم الطهارة بكل قطر  
وانك ان سكعت غداة يوم  
ترى مرحا وتركز مقد حرا  
كانك ضفدع نقت بلسيل  
فلما بان ضوء الصبح شاخت  
وهو صائح في حال صحو  
عهدتك قبل نسيانها ولكن  
نبحت على من بعد وترجو  
اتطمع ان تبادهني بشر  
فلا والله اني راشق في  
فيخرج من فؤادك كل غش  
واني جالب خيلا ورجلا  
ستمقى كاس ذل واحتقار  
وتدري ما اكتسبت من المخازي

على سفر تضمن كل دان  
فيالك من خبيث مرقمان  
ولم تقدر على لطح الخوان  
لما بعث الخنى بيع الجمال  
بانك شر من لحر الاواني  
لاكل السحت او بزل الدنان  
وتكرف عند رؤيتك القفاني  
وظنت صوتها نغم المناني  
وخلت نثنها ملء المكان  
بنو دائم في كل آن  
اراك اليوم نباح الزمان  
نجاتك من يدى على اسان  
وتسلم من يراى او لسانى  
حشاك بسهم هجو ذى سنان  
ومكر واقتراء للعيان  
عليك من الابعاد والادانى  
وتلبس صاغرا ثوب الهوان  
وتعلم ان شانك غير شانى<sup>(١)</sup>

### الغزل

ليس فيما قرأناه من اخبار الشدياق ما يشير الى انه اختبر في حياته الحب  
الصادق الذى يرفع النفس ويهذبها ، ويترك المحب هائما على وجهه ، يعانى من الحب  
ما يعانىه المريض من السقام والمجنون من الخبل والصوفي من التنزه والسمو والاتصال  
بالذات الالهية . اللهم الا اذا اعتبرنا بعض تجاربه الفجة الساذجة ، حين كان صبيا ،  
من هذا القبيل رغم انها كانت تقصد للتلهي والعبث وللاستطلاع . اما والامر كذلك<sup>(٢)</sup>

(١) لثوار الغائب ج ٢ ص ٥٠٥ ، كقصته غرامه في السابق ٢ ص ٤٤٠ وما بعدها



فليس لنا ان نبحث عن غزله بين طيات الحب الذى يسمو بالنفس او الهيام الذى هو تيار من الحرارة التي لا تخمد ، يتدفق من قلب ليصب في قلبه ، او من عين ليصب في عين ، او من اختلاجة ليعانق اختلاجة ، فان ادبنا كان يحب الجمال عموما وواقره به الى قلبه ما كان اقرب الى الجنس ، ولهذا نرى الفارياق يحب حنف النساء عموما ويوثرهن بشهوته دون ان يفكر في العاطفة ، ويحبهن للذة والمتعة ولا للتأثر والتدله . يحبهن بالجسد دون ان يكون منهن الى القلب سبيل . وهذا ما تختبره بانفسنا على صفحات الساق وفي ديوان الشعر . وقد يكون في شعره الضائع ما يخطي هذا الظن ويرد هذا القول ، الا اننا نتقيد بما رايناه ، ولا نرجم بالغيب . ونستطيع ان نقسم شعره الغزلي الذى قرناه الى قسمين .

١ . الشعر التقليدى : وهو الذى لا ينظم نتيجة لاختبار عرامي مر فيه الشاعر ولكن لا اعتبار فني عرفي ، وهو شائع كثيرا في مقدمات قصائد الشعراء الذين كانوا يمهدون بها لاغراضهم الشعرية . وقد شاع هذا النوع من الغزل في القرن الماضي حين كان الشعر يتكى على القديم .

٢ . الوصف الغزلي : وفيه يصف الشاعر النساء واحوالهن ويشكو في بعض الاحيان من صدهن عنه وهجرهن له ، تلك الشكوى التقليدية التي انت بها خناجر الشعراء منذ الجاهلية الاولى حتى عصر الانبعاث . ونحن لا نلمس فارقا كبيرا بين هذين النوعين من الغزل وان اختلفت اغراضها وتباينت مآربهما .

والشدياق الذى عرفناه طبا باحوال النساء خيرا بعاداتهن واخلاقهن ، متعمقا الى قرار نفسياتهن ، لم يستطع ان يمثل المرأة في شعره ربة وحي او الهة الهام .  
وانت التقليد ظاهر في غزله ، فهو يقف على الطلول وآثار الديار كما فعل القدماء ومن هذا القبيل قوله مدح الخورى فبرائيل جبارة .

واسال عن الركب المغذ رحىلا  
فصص العنون وحسرة ونحوها  
وشريت فيه سلسلا مشمولا  
واقنتت منها ما استعز ذليلا  
اهل الهوى ما كنت منه ملولا  
عرصاته والذ فيه مقيلا  
ومضى كاس نعيمه مبهتولا  
ان عطلت اعلامه تعطيطيلا  
ولقد يظل بانسهم ماهولا  
حامت لديه بكرة واصبلا  
فازيد فيه زفرة وعويلا  
تهفو له لتحله الاكليبلا  
ان صار فوق عنانها محمولا  
اولى بان يثوى السما مقيلا  
زهدت فتستشفى به تكحيبلا  
عرف اليه كان منه دليلا  
صرح لديه لا يصيب خليبلا  
دهر به تلقى اخاك عدولا  
وسلوه العنقا عز وصولا  
ولكم به يسى البرى قتيبلا  
الشقراء قولى في الدجى ترتيلا  
لشفيت كل شج يبيت عيبلا  
فاجاب انك قد ضللت سبيلا  
بي لست عن دابي احول حوولا<sup>(١)</sup>

قف بالطلول ان استطعت قليلا  
ساروا وابقوا وحشة لعك دونها  
طلل عهدت به الخلاعة والصبي  
وجررت اذيالي وتهت على المعنى  
وخلعت من نعم ولذات على على  
واحسرتاه متى يعود العيش في  
لم يبق الا ذكر افراحي به  
ان غيرت آثاره الايام او  
فبخاطرى تذكاره متجدد  
من بعض همشادى عليه الريح قد  
تبدى الحنين به وانه تاكل  
تسفى تراب ففائه وكانما  
عجبا وقد بلته منى عبرة  
ام قدلات نكب الرياح بانه  
ام مثل عيني اعين الجوزاء بانه  
ما كدت ادري رسمه لولا شذا  
نوهى الحبايب للمحب اعز من  
وسويعة مع من تحب اجل من  
قلبي السمندل يصطلي نار الهوى  
لله كم منه يعذب عاشق  
لو روق من عشق كلام رتلا  
او لو تداوى الناس منه بالبيكا  
حاولت قلب القلب من علل الهوى  
منى منه ابتداء الشوق كان وخته

(١) الاق. ج. ٤ ص ٤٠٦ و ٤٠٧ و هذا الصبي مدحه للخبز و اسماعيل ص ١٩٩ (البروان)  
و اللوز برؤا در با مشا ص ١٩

كما انه في بعض الاحيان يستهل القصيدة بالغزل متابعا الشعراء الامويين  
وسواهم ، كقوله في رسالة ارسلها الى الشيخ ابراهيم الاحدب .

سروا والوجد في الاحشا باق	فما طرفي لغيرهم بيهاق
والقوني على مقلاة ياس	الاتي من اساء ما الاتي
فيا قلبي المعين على شوقي	ويا دمعي المعين من اشتياقي
الام تخازمان على شقاي	وبينكما سياج الصبر شاق
وحتام التعلل بالاماني	وما تشفى العليل من الفراق
نحبت من البعاد فما اساني	وظول اساي لم ينف اثتراني
وما رقا المدامع طيب رجو	وما ارجى الفواجع طب راق
ومن يك شره منه فاني	يرجى النفع من فرق السرناق
ومالي اکتو الشكوى هلسوا	ولي من فضل ابراهيم واق <sup>(١)</sup>

وشاعر هذا دابه يستهل مدثحه وتهانيه بالغزل لا يمكن ان يكون غزله ما  
يعبر عن عاطفة صادقة تغلغل في قرارة النفس ، ولها في القلب تمكن واستقرار . وهذا  
ما لمسناه في الامثلة السابقة .

اما عاطفته في قصائده التي افردها للمعصف الغزلي ، فقد كانت اعق واقوى ، الا  
انها لا تسمو كثيرا عن سابقتها . وعاطفته هذه تتجلى في شعره في الطور الاول حين  
كان جائعا عطشا ياكل من فتات قلبه ويشرب من فيض دموعه والجوع والعطش للفنان  
هي معين الوحي وربة الالهام . ولكنه ، حين شبع وارتوى في الاستانة ، قذف اليها  
بهذا الشعر الذي اتخذه مطية للكسب والانتفاع . ونحن كما قلنا سابقا ، لا نؤمن  
في وجود غاية للشعر تخرج عن العالم الداخلي للشاعر ، ومتى تنزت هذه من الداخل  
الى الخارج ، تردى الشاعر في هوة الفناء المحقق ، ومتى دخلت مادة الناس مادة الفنان  
فقل على فنه السلام ، وقل على خلوده الف رحمة وسلام .

(١) اكثر الغنائب ج ٧ ص ٦٧ ، ٦٨ ، وهذا القليل مدحه للوزير الحيدري ص ٩٩ ومدحه لصحيفة  
المصادر المصرية

وقصائده هذه ، نجدها في الساق وعددها اربعة سماها الفراقيات<sup>(١)</sup> ، ولعله اختار لها هذا الاسم لانها تدور حول فراق الاحبة له وترحلهم عنه ، وحول وداعه لهم في مختلف المناسبات والمحافظة في هذه القصائد ، تتميز بالضييق والحراجه ، ان انه كثيرا ما يكرر المشاعر والاساسات ، واليك امثلة من هذا الغزل :

قال في وصف حزنه لفراق احبته عنه ، وعجزه عن الصبر وتحمل الام الفراق ، من "فراقية" تظهر فيها آثار التقليد :

خليلي لا تستنكرا عائل السوجد	اذا كنتما ممن درى لائح البعد
ولا تعذلاني في الغرام فانني	غلي غير ما اهوى غريم له وحدى
ومن ذا الذي يرضى البلاء لنفسه	وتزكو له حال مع المحزن والسهد
وهل ينعمن عيشا مكابد وحشة	مشتت شمل ضائع السعي والقصد
ناى سكتى عنى وعضت عنهم	بحيرة مقت ليس قريم يجدى
كان زمانى شاء في كل حالة	يراني فردا بالقياني من فرد
فماضي نعيمي لم يكن من مضارع	له حيث هم في الحسن جلوا عن الند
فماذا دهاني بعد حظ غنمته	وقد كنت في عيش بقريم رغد
وماذا على الايام لو كان طولها	له لا سواد من مطالعها يحدى
انى الناس مثلي في مقام فواده	وفي غيره جثمانه واجد الفقد
وفيرى اراه فاقد الوجد وهو في	نعيم له جد معين بلا جد
وهل في سبيل الله راحم لوعة	تعاودني لا بل غرتني كالجد
وهل مبلغ غني التميم تحية	اليهم وما بي من غرام لهم يبدي
اهيم بما كانت تراه احبتي	وان يك من بعض الجماد او الضد
والهج بالقول الذى لهجوا به	فتذكاره ذكرى وايراده وردى
يحق لي التشبيب ما دمت شاعرا	بهم لا يهند او بمية او دعد
ولو لم يكن لي مطمح في لقاءهم	لاثرت توسيدي مذ اليوم في لحدى
ولكنني ارجو زمانا يسرني	بهم عن قريب وهو اشهى المنى عندى

وقال في كتاب اتاه من حبيبه ، وصف ما خلفه فراق الاحبة له من الام وانقال يُعجز  
دون تحملها :

على كل حرف منه حسن ورونق  
ولم لا ومنه عاطر الورد يعبق  
نسيم به نحوى التبشير يسبق  
وحر جوى كادت به النفس تزهرق  
على غير ما اهوى وشملي مفرق  
اذا حان سجع كدت بالدمع اغرق  
ومن طرفي المسجور دمعي انفق  
غريب عليل فاقد منشوق  
ولست بذى سلوى اليه موفق  
وهل يؤخذن يوما على الدهر موثق  
اذا ما سميرى النجم لاح واقلق  
تبلغني عنهم سلاما وتنطق  
وفي كل حسن ذكر ما القلب بعشق  
ولم يبق فيه للتمنى مصدق  
اسير هوى نفيهم ببيني موقوف  
يخيل لي ان مضجعي منه يخفق  
فكيف وباب الوصل دوني مغلوق  
وحجب النوى بعد الوصال تغرق  
يومل من قرب الاحبة شقيق  
وللدهر اطوار تسوء وانسوق<sup>(١)</sup>

اتاني كتاب من خليل معنق  
تنشيت وجدا ان تنشيت عرفه  
فيا حبذا ذاك العبير وحبذا  
الى الله اشكو ما لقيت من النوى  
اقتت واحبابي ابروا وابحروا  
فما زلت مذ بانوا حليف صباة  
ففي قلبي الماسور ادخر الهوى  
كثيب نحيل واجد متشوف  
ولست بذى صبر فبوء مل اجره  
وليس بمامون زماني على اللقا  
احن الى لقياهم متلهفا  
وان ذر قرن الشمس اوهمت انها  
فاني ارى فيها علامات حسنهم  
اعل قلبا بالاماني هائما  
يطير اشتياقا بي اليهم وانني  
ويخفق من ذكر اسمهم فكانها  
واسكب دمعاً كان يجرى بقرهم  
متى يجمع الله المحيين ساعة  
ورب بعدا كان منه دوام ما  
فله اسرار يعز بيانها

ولعلنا لا نخطيء جادة الصواب اذا اعتبرنا شعره الغنائي<sup>(١)</sup> من هذا القبيل ،  
 ذلك الشعر الذي يعبر عن انطباعات غرامية عامة ، لا تختص بذات ولا تعبر عن عاطفة  
 خاصة . وبعض هذه الاغاني عذب لطيف فيه من حسن التوقيع وسهولة السياق ما يضمن  
 له ان يقف في الصف الاول من شعر الاغاني في ادبنا . وقد تآثر فيه بالغناء الذي  
 كان يسمعه اثناء اقامته في مصر ، ومن امثلة هذه الاغاني قوله :

يا بدر مالك	ثان	في حسنك	الفتان
فارحم فتى	ولهان	مبيل	البال
عذب بما	ترضاه	الا الجفا	اخشاء
قد طال ما	اصلاه	وانت لي	سال
يا يوسف الحسن		حوشيت من	سجن
هددت بالحزن		اركان	اما لي
من ذا الذي اغراك		بصد من	يهواك
الطرف منه باك		وجسمه	بالي
حتام ذا	الهجران	والصد	والحرمان
حسن بلا	احسان	كالرى	بالال
محبك	السواجد	منك الرضى	فاقد
يا ليتني	واجد	اتهام	عذالي
اضناني السهد		وعزني	الوجد
ما القصد ما القصد		سواك يا	غالي
يا فاتن	العشاق	باللحظ	والاحداق
تبارك	الخلاق	لحسنك	الكالي
افديك بالمال		والروح	والال
رضاك اشهى	لي	من طول	آجالي <sup>(٢)</sup>

(١) الساجد ٢ ص ١٨٤ - ١٨٧ (٢) الساجد ٢ ص ١٨٤

وقوله :

والهوى نصيبي من يوم انتشيت	اللقا طيبي يا من لي سبيت
يا صنو القضيبي ما هذا الجفا	ان في سحوي شكوى لو رثيت
تهت بالدلال شانك العجب	يوسف الجمال ذا الهوى صعب
او بقيت سالي لم يفد دوا	ان تسل عن حالي ينفع العتب
من مظل الوعود صار جسمي بال	من حمل الصدود صرت في ذي الحال
ليس من محيد عن حكم الهوى	ادمعي شهودي والشتغال البال
وعلا نواحي مما آدني	قد رثي لي الللاحي لما عادني
يا زين العلاج انعم باللقا	وجهك الصباحي ضلا زادني
تلقني فداء جهد المستطيع	مر بما تشاء تلقني مطيع
جسدي اضناه منك قول لا	ولعي اذكاه شكك البديع
ليس غير الوعد منك حصتي	من يجد كوجدى يدر قصتي
انا فيك وحذى مبتلي انا	بعض هذا الصد اصل غصتي

### الرتا

الرتا هو فن الموت ولغة الحزن ومجال الياس ومعرض الوفا . والحزن في الاصل عاطفة سلبية تحمل الانسان على العكوف على النفس والتفكير في شأنها . فهو انهزام امام الكوارث ومدعاة الى العظة والاعتبار . ولذلك يكون اسلوبه رقيقا لينا . وعبارته شجية مؤننة بالاسى والحسرة .

وعاطفة الحزن من اقوى العواطف الانسانية واصدقها وبل لا نخطي . الصواب اذا قلنا انها اقوى هذه العواطف . لا سيما اذا اتصلت بباعث قوى مؤثر كفقْد الابن او الحبيب .

وشعر الشدياق في هذا الباب ينقسم الى ثلاثة اقسام :

(١) الساحة ٧ ص ١٤٤ (٢) الاسلوب للاحمد الشايب ص ٦٦

١٠ رثاء المناسبات : وفيه يظهر اثر الصنعة والتكلف في التعبير . وهو اطفه فيه جامدة مستعمارة لا توحى بحزن ولا تصدر عن تاجر . وانما هي واجب ، لكل الواجبات يؤديه عن نفسه . ومدحه اصدق من رثائه لانه يقوله مقبلا آملا . بينما يرثي وفاة لدين . والاصل اتوى من الوفاء . ومن هذا القبيل رثاؤه لمحمد فواد باشا سنة ١٢٨٥ هـ وهو رثاء راقص اختار له وزنا مرقصا لا يتناسب مع جلال الموت وعظمة المرتي . كما انه استعار له عواطف مزيفة مصنوعة . قال :

يا عين بكى فوادا	ولا تذوقى رقادا
ويا لهيب فوادى	زد ما استطعت اتقادا
لم يبق في العيش خير	ومعدن الخير فادا
قضى الذى ما اطاقت	له القلوب بعادا
ولم تكن تتمنى	سوى رضاه تلادا
وكان يغني ويقني	الغيب والاشهادا
وكان للملك ركنا	وللعباد عمادا
انى يموت همام	قد كان يحيى البلادا
انى يغيب في التراب	من اظل العبادا
وكان في الحرب يلقى	جيشا يمد السوادا
كانه كان يلقى	وفدا لجد واه غادى
ما مل يوما حساما	الا واعلى الجهادا
ولم يخط كتابا	الا وافلى الصدادا
بعد الاراتك امسى	له الحضيض مهادا
ومعد تلك المذاكى	قد وسد الاعوادا
يا طالما قصدته	وفد الطوك اعتصادا
واسرعت لرضاه	جماعة وفرا دى



يقلل الاطمواد ا	مصاب	فياله من
يفتت الاكبادا	مناب	وياله من
الجساد صار جمادا		ان الذي كان يفسمي
هوى وحل الوهادا		يا من راي بدر مجسد
الى الثرى قد عادا <sup>(١)</sup>		يا من راي طود عسر

وقوله في رثاء الشيخ ناصيف اليازجي وهو خير ما قاله في هذا الباب :

من كنت في البعد اراءه ويرعاني	مضى وكل قطمين بعده فان
ترعى النجوم وليل الهم يغشاني	ومن على فوته عيني مسهدة
فهاج حزني وانضاني واضناني	ومن اتاني منعناه ولم اراه
لفقد الف عزيز للصبي ثان	يا طور لبنان هل تشجيك اشجاني
كما ذوى من فوادى كل سلوان	وهل ذوى منك زوج باسق اسفا
وفخرهم دائم من دون نقصان	وهل اتاك حديث الالين مضوا
فقدانه بدل يا فجع فقدان	امثال فردك ناصيف فهل لك من
فرط الحنين اليه بعضر نسيان	هيئات ليس له ند فينسينسا
ولاع منه فوادا لوعة الداني	يا سائلي هل شجاناهيه ذا شحط
عليه بين الحشا من نار احزاني	انظر الى دمعي القاني وقس لهبا
فيه المآدب تحددو كل انسان	حر تحرى حلى الاداب في زمن
ولم يضح قوله في غير احسان	فلم يضح ساعة من عمره عبثا
سير النجوم فتهدى كل حيران	كانت قوافيه تطوى البيد سائرة
لفظا ومعنى هما في الحسن صنوان	تنزهت عن عيوب الشعر رائقة
مال وعدم هما للحرسيان	كما تساوى لديه من نزامته
فكر له ثاقب في جيد ازمان	لولم تكن دررا ما كان ناظمها
لم يثنه عنه في السبعين من ثان	له البلاغة مذ عهد الصبي خلق

ذكا قريحته احلاك حدثان  
على المصاناة في سر وعلان  
لكنه عاشر ذا شان بلا شان<sup>(١)</sup>

ما كان يهجو ولا يهجو ولا حجبت  
كانت اسرته عنوان نيته  
وشاني \* شانه تهجين ذي شان

٠٢ الرثاء الفكاهي

وله فيه قصيدة يرثي بها حمارة ومنها بحث بالشعر وبعاطفة الحزن المقدسة،  
ويتخذ العاطفة الشعرية وسيلة للفكاهة والدعابة على عادته فيقول :

وما راي اثره في الناس من احد  
ام مجزئي قيده لو كان من مسد  
فيها وانزل عندي منزل الولد  
كالطفل من شفق سرهدته بيسدي  
ماس ولا عسجد خوفا من الدرد  
استنقلت نوما بصوت مطرب فرد  
حولي الجمال تهل الارض بالزويد  
اهل الجمال بما الورود وهو ندى  
زفاف خود اليها بالغ الامسد  
يعمر به مع اليم النخس في الكند  
اكان في روضة غنا ام جرد  
مسخية مثل بعض الخلق عن احد  
رجلاه عن جوب وعت طال او جدد  
امس وانشب في اوكمال ذا البلد  
وان فرقت نار على كبدى  
البس اكافك في جنح الدجى همد  
عند الحرامي خصمي فيك من حمد

راح الحمار وخلي القيد في التود  
فهل انا راكب من بعده وتدا  
ام كيف ادخل دارا كان لي سكتا  
سرهدته بيدى كالطفل من شفق  
وجئته بشعير لا يخالطه  
وكان يوظفني منه النهاق اذا  
كم حاد بي عن مضيق حين ابصر من  
وسار بي في طريق بل جانبها  
وكم جرى فارها ان لاح عن بعد  
وان تبين نعشا للجنازة لم  
ما ضل يوما عن استقرا معلفه  
قد رايتني حذقه حتى ظننت به  
وما شكنا قط من وخز ولا ضعفت  
ثلث يدا من به ولي وفالدربي  
اعالم انني من بعده جزع  
وان صوت الضادى اليوم يزوق ان  
لا يخررتك رغد انت واجده

(١) كنز الرغائب ج ٢ ص ١٧٤ ١٧٥

ما دام شهرا على طرف ولا عتد  
او ضج من لغب او خار من جهد  
كراف بول قديم جف كالقدد  
يحرن اذا سمته خسفا ولم يحد  
مولاه ان لم يعقه القيد ذو العقد  
ارنو اليها كما يرنى الى الخرد<sup>(١)</sup>

فانما ذا لحسين انت تعلمه  
يفديك كل حمارند من بطر  
او حار من شبق قلاب جحفلة  
مصنيع الراس مشوق القوائم لم  
اليه انه بالطرق اعرف من  
يا ليت لي خصلة من ذيله اثرا

٥٣ . الرثاء الوجداني :

وهو الذي يعبر عن عاطفة خاصة ، تنتزع من وجدان الشاعر وتمتاز بالصدق والعمق والشمول . والقصيدة التي له في هذا الباب ، هي قصيدته في رثاء ابنه الذي مات في لندرة ، الا انها لم تستكمل الشووط الفنية والعاطفية التي يقتضيها هذا النوع من الرثاء . فبينما نراه يصف تآثره لهذا الحادث بنثر تبرز فيه العاطفة الصادقة العميقة ، نراه يسف في الشعر فيستعير عطفة شاعر وقع في نفس الومضة التآثرية ، فتكون عاطفته بالتالي صدى لعاطفة ، والصدى كما نعلم اضعف من الاصل . وقد بلغت قصيدته هذه من الضعف والتكلف والصبغة حدا نضطر معه لان نحكم على شاعريته بالهلهلة والضعف والتهافت . فاي عاطفة اعمق من عاطفة الحزن الناتج عن فقد الابن ؟ واين يكون الصدق في العاطفة اذا لم يكن في رثاء فلذات الاكباد ؟ فلو كان الشدياق شاعرا حقلقا في كل قصائده ، ثم جاء بهذه القصيدة الضعيفة المتداعية لحذفت اسمه من سجل الشعراء ، ولكفرت بشاعريته . ولديك ما قاله نثرا في رثاء هذا الابن ، لتلمس بنفسك تفوقه في التعبير النثري وقصوره في التعبير الشعري :

” وكان الفارياق ممن اذاقه الله حلوا البنين ثم تجرع مع ذلك مرارة الشكل .  
فقد كان له ولد بلغ سنتين وكانه كان قد سبك في قالب الحسن والجمال فجاء لم  
يعده شي مما تقر به العين . وكان على صفر سنه ينظر نظر المميز بين الموهوس  
والموحش ويالف من تطلق له ولو باشارة . فكان اوبه اذا رنا اليه ينسى في الحال

جميع اشجانه وهمومه . ولكن لم يلبث ان يغشاه عارض من الكابة ان كان يوجس انه لا يدوم له على عين الدهر الالامة . ويرى نفسه انه غير جدير بان يتولى بتلك الطلعة الناضرة . وكان يحمله على ساعديه مسافة ساعة وهو يناغيه ويغني له حتى الفه الطفل بحيث لم يعد يشا ان احدا غيره يحمله او يلهيه او انه ياكل وحده على انفراد . الى ان قدر الله رب الموت والحياة ان اخذ الصبي سعال في تلك القرية . ولما كانت قرى الانكليز الصغيرة كغيرها من قرى البلاد من انه لا يوجد فيها اطباء مهرة وكان لا بد من مشاورة طبيب على اية صفة كان . اشتار ابواه احد المتطبيين هناك فاشار عليهما بان يتداركاه بالاستحمام بالماء السخن الا راسه . فعملا بوصيته ائدما . ولم يزد الصبي الا سقاما . حتى كان اذا انزل في المآ بعدها يعشى عليه ويرى فوق قلبه لطفة حمراء كالدّم على شكل القلب . ثم اشتد به الدء حتى احتبس السعال في صدره وخفت صوته . وكان يعاوده مع ذلك الرعدة والهزة . وبقي في حالة النزع ستة ايام بلباليها وهو يئن انينا ضعيفا وينظر الى والديه كلشاكى لهما مما يقاسيه . فاستحال الورد من خديه عبهرا . وغارت عيناه النجلوان ولم يعد شي من الغذاء والدوا يسوغ في خلقه الا تكلفا . وكان الفاريق في خلال ذلك يذرف العبرات ويجأر بالدعاء الى الله ويقول . رب اصرف هذا العذاب عن ابني الى ان كان ذلك يرضيك . اني لا مارب لي في الحياة من بعده ولا طاقة لي على مشاهدته في هذا النزع الاليم . فامتنى قلبه ولو بساعة حتى لا اراه وجود بنفسه . اه عظمت ساعة . وان كان لا بد من نفوذ قضائك به فتوقه الان . ولعل الفاريق هو اول والد دعا على ابنه بالموت عن شفق وحنو . فان رؤية الطفل يغفر ستة ائام مما لا يطاق<sup>(١)</sup> .

اما القصيدة التي قالها في رثائه فهي معارضته ، بل تحليل وتركيب ، لقصيدة

ابي الحسن علي بن محمد التهامي التي قالها في رثاء ابنه ، ومطلعها :

حكم المنية في السبريفة جار      ما هذه الدنيا بدار فرار

وقد التتمها الشدياق التهاما ثم اجترها فجاءت باردة جامدة ، يكسوها ثوب الصنعة  
الفضاضة ، وتتفاضل فيها العاطفة حتى تعود شبحا من الاشباح ، ومطلع هذه القصيدة

الدمع بعدك ما ذكرتك جار والذكر ما وراك ترب وار<sup>(١)</sup>

وستعرض لها في غير هذا المكان بالتحليل ، مبينين ما فيها من تاثر بقصيدة التهامي .

### •• الوصف

" الوصف نوعان حسي وخيالي . فالاول يتناول المحسوسات ويصورها وهو غير  
ما يفعله الرسام الماهر الذي يقتصر بريشته جمال الطبيعة ويجسمها بالالوان على لوحته  
فتبدو فتاة تميل اليها النفوس ويتنافس في اقتنائها اهل الذوق . وقد اجاد العرب في  
هذا النوع من الوصف ، فعني الاقدمون منهم بما له علاقة بحياتهم البدوية كالجمل والصحراء  
والسيف والظلول وجمال جم الحبيب . ولما جاء العصر العباسي تحول الوصف الى الرياض  
والقصور ومجالس اللهو والسرور وما شاكل من ظواهر الحضارة والترف وكذلك فعل الذين  
بعدهم ولا يزال الشعر العربي الى الان يعنى بالوصف الحسي بل هو عام في ادب  
كل امة ويعد من ابواب الشعر الهامة .

اما الوصف الخيالي فنظر فني الى ما وراء المحسوسات ، واذا كان الشاعر واسع  
الخيال فيجعل العرثيات اسما لغير العرثيات ويولد عن المحسوسات صوراً مجردة يرسمها  
للشعر تاملات وذكريات . يقف في قلب الوادي مثلا فيسمع فيه نبضات الحياة ، وتر امامه  
على صفحات الماء حوادث الايام فيذكر لآلم الغابرة والوقائع التاريخية ، وقد يحمله ذلك  
الى النظر في الحياة والانسان وكم تتسع الحياة لخواطر نهمر بها لدن رؤيتنا بحضر  
المشاهد الطبيعية . فالوصف الخيالي هو وصف التاثر الذي يحدثه فيك المنظر الحثي  
والتعبير عما يوحي اليك من خواطر وصور فكرية . وهذا النوع من الوصف قليل في الشعر  
العربي القديم قلما اهتم به ادباء الاجيال الماضية ولذلك لم يتركوا لنا من آثارهم  
فيه الا النزر اليسير .

اما اليوم فان الشعر الحديث شديد العناية به وهو يظهر في هذه القفات الشعرية التي يقفها الشعراء لدى الآثار التاريخية او الانهار العظيمة او آثار الاقدمين او عجائب الحضارة الجديدة . فتحملهم المشاهد الى آفاق فكرية بعيدة . يرون فيها مرص خصبا لخيالاتهم<sup>(١)</sup> .

والعاطفة الاساسية التي تنشيء الوصف هي الاعجاب والروعة بما يشهده الاديب فيفسره تفسيراً خاصاً متأثراً بمزاجه ووجهة نظره ، ويخلع عليه من نفسه ثغاولها او تشاؤمها اكبارها وازدراءها<sup>(٢)</sup> .

ولما كان هذا الفن واسعا يتناول كل شيء كان اسلوبا متنوعا كثيرا . فوصف الحسيات غير وصف المعنويات ووصف الحروب يختلف عن وصف المناظر الجميلة ، ولغة الاصوات المدونة تغاير لغة الالوان الزاهية . وفوق ذلك لا يخلو ليع من الوصف فهو في الحرب حماسة وفي الجمال نسيب وفي الفضائل مديح وفي الحزن لثاء . وهكذا تجد الشعر الاقله راجعا الى باب الوصف<sup>(٣)</sup> .

والشدياق . وقف بشعره عند الحس ولم يعده الى الخيال والنامل ولم ينظر الى موصوفاته نظرا معنويا يجعلها امامه كتابا يقرأ في صفحاته المعاني ويستوحي منه الاسرار . انه وقف عند التقليد ، حتى في وصفه . فوصف الطبيعة مجردة كما تراها العين وتستوعبها الحواس . لا كما يراها الفكر المتامل . وصفها وصف بصر لا وصف بصيرة . ويتخذ الوصف في شعره المظاهر الآتية :

١ . وصف الانسان : ويتناول في ذلك صفاته الظاهرة والباطنة ، ويكاد يختصر المرأة بهذا النوع من الوصف .

٢ . وصف المدن : وقد اقتصر فيه على وصف باريس في قصيدتين طويلتين احدهما في المدح والاخرى تنقضا .

٣ . وصف الحرب : وفيه يتناول وصف حرب السبعين بين فرنسا وبروسيا .

(١) المختارات السائرة ص ٢٦٥ (٢) الاسلوب لادع الشايبه ص ٧٠

في باب وصف احواله الخاصة .

في اما يوصف الانسان فقيم يتناول احوال النساء وطبائعهم واخلاقهم وتقلبها في حالتين العزوية والزواج . كما يتناول علاقتهم مع الرجال . وهو لا يقتصر على امرأة دون اخرى . بل يصف المرأة العربية كما يصف المالطية والباريسية والانكليزية . وقد جاءت اشعاره هذه في عرض ابحائه المطولة عن النساء واحوالهن والتي وردت في اد المساق والواسطة وكشف المخبايا . فوصفه للنساء يدل على معرفة عميقة بهن . اكتسبها من الكتب وما اختبره بنفسه . ومن ذلك قوله في وصف طباعتهن :

يعطن من حيث اتساهن الهوى  
ولا هدى ولا نهى ولها ولا حياء<sup>(١)</sup>  
لداي بعد ان حان النجيب  
ولا فاه في النيل نوب

تري النساء يبعن العرض كالعرض  
وكل قاض على تسجيله الشجيب<sup>(٢)</sup>  
وسيفي في حياجهن قضييب  
يداري منه حذر اي طبييب

متعا لهن عن التماذي في الهوى  
وضع الشراخ لها على حكم الهوى<sup>(٣)</sup>  
ومثلي من بهم ولا يسخيب  
وهي بان مونسسي الحبيب

وماست بقدي يخجل الغصن رحي الغضا  
وفي حسن من يتواءم عن لحنه اقضا<sup>(٤)</sup>  
لخي فالعوت لي خير وطيب  
نعم المثاني حيث تجلي كسروب<sup>(٥)</sup>  
تثقل لدى من الزمان خطوب<sup>(٦)</sup>

ان النساء حينما كن سوى  
لا يفررن الفرمهن تقى<sup>(١)</sup>  
انادي من فقتت وليس يحدى  
وقوله اناته العنية وهي قول

يا ما كان بالخير ان طول وفي عرض  
بالرجل يصفقن عند البيع لا ييد<sup>(٢)</sup>  
ومنه بالسفور هو احسن ما قال :

لا يحسب الغر البراقع للنساء<sup>(٣)</sup>  
ان السفينة انما تجرى اذا  
ومنه في وصف مريحة المالطية :

بدت في الثياب السود والوجه زاهر  
لها منطق غذب على فتح لحنه  
وفي وصف راقصات باريس :  
للم در الراقصات لنا على  
لو كان يوما وطوهمن على لم

(١) السابق ج ١ ص ٤١ (٢) السابق ج ٢ ص ١٥ (٣) السابقة ص ٤٠ (٤) السابق ج ١ ص ٤٤ (٥) السابق ج ٢ ص ٢٧٢ (٦) السابق ج ٢ ص ٢٧٢

ومن ذلك قوله في سرى :

ركب السرى اليوم خير جواده  
اذ ليس منا راح او راقس

وفيه : وان تك يوما قاتنا من ليلتنا

قام السرى مبكرا  
او ما ترى ذي الشمس من شباهه

وفيه هي الامن من جور الخطوب فاعلم

خرج السرى مع السرية ماشيا  
من كان يدعك مرة ان جسميهما

وله في وصف الكور والندروز

وطوبى لمن فيها له نوح تعريس

يا ليتنا امتطى الاكفافا  
بل كنا يتخدو به راقسا<sup>(١)</sup>

فرويتها اطلاب ما يشه بيسوس

وما تشتهي نفس وما تذلّف الخوس

فارتجت الارضون من تبكيره  
مدت اليه شعاعها لسروره<sup>(٢)</sup>

فرو بها ضم يحادر او يوس

غلسا الى الحمام كي يتسقط

خلفت يدها على المدى ان تلثما<sup>(٣)</sup>

لها حنج دار حيت لا حق ميعوس<sup>(٤)</sup>

في شعر كل منهم الحرس فكيفه في حرب وسلاحه الماضي حامين من العظم<sup>(٥)</sup> روسيا وقد

وصلها وسطا دليقا وتناول حوادتها بالتفصيل وكما انه فعلها بحكم الحكم في الحياة  
واناس ان وصف المدن ، فله فيه قصيدتان طويلتان في باريس احدهما في المدح والاخرى  
في الذم ، ومن قصيدته المدحية :

اذى جنة في الارض ام هي باريس

وهل حور عين في منازلها تسرى

وهل ذى نجوم ترجم الهم في الدجى

وهل زهرة الدنيا ترى في هواج

نعم انها خلد النعيم وشاهدى

ونمر وهليون فيها كواعب

وفاكهة مع لحم طير ونضرة

واعمدت تحبو السحاب دونها

لها يحها من بعد عز واتبال

ملائكة سكانها ام فرنسيس

والا فكل حين تخطر بلبقيس

عن الببال ان يخطر به ام نباريس

تمر كبرق خاطف ام طواويس

رياض وحوض دافق وفراديس

على سرر مرفوعة واعاريس

وراح وريخان وروح وترغيس

كان لها فوق السماكين تاسيس

(١) الاق ج ٢ ص ٥٧ (٢) الاق ج ٢ ص ٥٨ (٣) الاق ج ٢ ص ٥٨ (٤) الاق ج ٢ ص ٥٨ (٥) الاق ج ٢ ص ٥٨

(١) الاق ج ٢ ص ٥٧ (٢) الاق ج ٢ ص ٥٨ (٣) الاق ج ٢ ص ٥٨ (٤) الاق ج ٢ ص ٥٨ (٥) الاق ج ٢ ص ٥٨



يرى الحرب فرضا فانفرد وا امهال  
فضجوا ولجوا في جدال ولبسال  
وكانوا على راي لقيصرهم تال  
هنالك سكرى من وساوس آمال  
وحلوا بمتز كلمهم ناعى البسال  
ومعقل امن لم ينظر با مثال  
وأخر في ارض الجزائر ذو بال  
ويا ويل مغرور لنارهم صالي  
على السار لكن ادبروا بعد اقبال  
وكان له ضعفا جيوش وعمال  
ورداهم قهرا بخيل وزجال  
ذوى منهم يقطين بطش وآمال  
بغوز قريب لا يشاب با خلال  
ومالت اليهم ميل راج وامل<sup>(١)</sup>

ندا مع اولى الشورى وقال اميرنا  
فعارض قوم منهم في وجوبها  
الى ان بدا للاكثرين لزومها  
فسارت الى الرين الجيوش وعسكرت  
ورافقهم ذاك المحكم وابنه  
وكانت لهم مشوى لعزة شانها  
ومنهم رهيل كان في حرب مكسكو  
وقال الورى يا ويح من برزوا له  
فاول ما اصموا بروك مدينة  
فان العدو اشتد باسا عليهم  
فكان له فيهم نكاية ظافر  
ومذ ايقنوا ان قد تقلص ظلهم  
واتمر للجerman غرس منا هـ  
فهابتهم الدنيا واثنت عليهم

ويدخل في وصف احواله الخاصة وصف ظروفه وتقلبات الزمان عليه اثناء تفرقه في بلاد العالم كما يدخل في ذلك نم الدنيا وشكوى الزمان ، وقد تعرضنا له في اوائل هذا الفصل . ومن هذا القبيل قوله يصف حاله في كمبريج :

رشتي رشتي النوى في كمبريج ملازما  
فتعبت في حتى اذ الليل جنني  
لبيتي نهارا ان تراني اوماش  
خرجت على امن كاني خفاش<sup>(٢)</sup>

وقال :

ولي فروة تاتي الكلاب تشمها  
تهر على تزيق جلدى وجلدها  
ولم تندفع عنها اذا ما دفعتها  
كاني من آباؤها قد صنعتها<sup>(٣)</sup>

(١) كثر الرغائب ٤٤ ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، (٢) السامح ٢ ص ١٠١ ،

وقال في وصف اهل الدار التي كان يسكنها في كبريج :

ولي عيلة في كبريج خفية  
فعهدى باسم الاكلات فلانة  
تواكلني من حيث ليس عيان  
وهدى باسم الاكلين فلان<sup>(٥)</sup>

وقال في وصف جوع اصابه في دير للروم في احدى قرى لبنان . اتناه هجوم العساكر  
المصرية .

ليت شعري ماذا يفيد السبيان  
وفنون البديع من غير اكل  
هاك الف استعارة برغيف  
ايها المعربون هبوا فما من  
اين اين الكباب والرز والور  
ذهبت دولة الطبيع وجاءت  
يا لها من معرة نبعت  
ليس يبيع ولا شرا بارض  
طال مكثي في الدير حتى كاني  
اذ راوني وحولي الكتب والاقلام  
انا في وحشة من الانس وحدي  
عيشة لو ارتتها في منام  
مع خواء البطون والتبيان  
تستشيط اللهب بها واللسان  
ويختر نخس تفتازان  
ضرب زيد عمرا يرصر الجوان  
غل تصغو من فيضهن الجفان  
نوبة الجوع امها لبنان  
الدينار ما ان يعبا به انسان  
قد قضى عيشها وعاش الزوان  
راهب لا ترضى به الكرهبان  
الما مما عنه نهى المطران  
لا تراني فلانة وفلان  
ما شجنتني من بعدها الاحسان<sup>(٦)</sup>

ولعل اروع ما وصف به احوال بؤسه وشقائه غردياته التي نلمس فيها خفة روحه وميله الى  
الدعابة والمرح .  
ومنها :

انا الولي على كل المطاليس  
ياتي بهم زحل القواد سدتها  
وغرقتي ذي مزار للمناحيس  
ونم تصرعهم ربح الكراريس<sup>(٧)</sup>

(٥) الاق ٤٨ ص ٢٠١ (٦) الاق ٢٤٠ ص ٢٤٩ (٧) الاق ٤٨ ص ٤١١

ومنها :

يجعلوا ان شأوا الضير بصيرا  
انه يجعل البصر ضيرا<sup>(٤)</sup>

ان للمالحين معجزة ان  
عكسنا اليوم معجرات دخاني

ومنها :

باسفل سافلين هبوط نجمي  
واحمل حمل اشجاني وهي<sup>(٤)</sup>

نعم لي غرفة عليا ولكن  
فكيف اطيع اصعد مرتقاها

ومنها :

وخارجه صيت فيل عظيم  
تكون العظام واهل العلوم<sup>(٤)</sup>

ولي داخل البيت جثة قط  
وقد كنت احسب ان بالعظام

ومنها :

تعلمكم مراعاة النسطير  
صغير في صغير في صغير<sup>(٤)</sup>

تعالوا وافعلوا عني ثلثا  
خلاقي ثم جسدي ثم بيتي

ومنها :

يعتادني غير اشجاني واوطاري  
وليس عندي من انثى سوى النار<sup>(٥)</sup>

اصبحت في غرفتي رهن الهموم فما  
ارى لكل امرء انثى تواءمه

ومنها :

لكنما طبع القوافي كاسد  
انا شاعر فالشعر شي فاسد<sup>(٦)</sup>

طبخ المعاشي رائح في عصرنا  
من اجل ذلك صرت طباخا لما

ومنها :

ان نمت نام والا فهو لم يمت  
اذ عنده رؤية الزوار كالسقم<sup>(٧)</sup>

بيني وبين دخاني الفة ثبتت  
وان يزرنى امرؤ غطلى على بصرى

(١) م (٤) السابق ٤٨٠ ص ٤١١ (٧) (٥) السابق ٤ ص ٤١٢ (٦) (٧) السابق ٤٨٠ ص ٤١٢

ومنها :

سَمُوا عَلَىٰ مَنْزِلِي قَبْلَ الدَّخُولِ وَلَا  
فَانَّهُ حَرَمٌ ذُو حَرَمَةٍ وَوَلَكِن  
تَسْتَعْجِلُونَ بَعْدَ فَتْحِ الْبَابِ وَاحْتَشَمُوا  
لَمْ يَلْفَ لِي حَرَمَةٌ فِيهِ وَلَا حَرَمٌ<sup>(٤)</sup>

ومنها :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا أَرَىٰ تَحْتَ طَائِفِي  
أَرَىٰ كُلَّ يَوْمٍ الْفَاشِئِ مَخَاصِرَا  
أَمْوِرًا عَقْدًا تَكْلِيفِيهَا فَوْقَ طَائِفِي  
لَا نَثَىٰ عَلَيَّ أَنِي مَخَاصِرَ فَائِفِي<sup>(٥)</sup>

ومنها :

رَوَا دُخَانَ قَمِينِي صَاعِدًا فَجَسْرِي  
فَقَالَ بَعْضُ أَقْبِيْنَ أَنْتَ قَلْتَ نَعَمْ  
بِالْمَاءِ قَوْمٌ لِيَطْفُوا سُورَةَ اللَّهَبِ  
أَقْبِيْنَ شَعْرًا وَعِنْدِي مَعْمَلُ الْكُذْبِ<sup>(٦)</sup>

وبعد ، فقد عرضنا شعر الشدياق في الوصف بالمعنى الواسع ، كما جاء في ديوانه ، واننا لنعجب لماذا لم يستهويه وصف الطبيعة . لأنه كان غارقا في المدن حتى مفرق رأسه فلم يستطع ان يلتفت الى الطبيعة ، ام هل اثبت شعره في ذلك في ديوانه الضائع ؟ ونحن لا نستطيع الاجابة على هذا السؤال الا اذا عثرنا على شعره الضائع كاملا غير منقوص .

### في الدعابة والمجون

الشدياق فكاه ماجن بطبعه . ونظرته الى الحياة ، رغم عدائها له وتضييقها عليه ، هي نظرة الساخر الهازي . وله في هذا الباب الشيء الكثير فما يستحق ان نورد له هذا الجزء من الرسالة . والحق يقال انه اجاد في هذا النوع من الشعر ، وانه لو صرف اليه همه ووقته لآخر للناس ديوانا نفيسا من الشعر الانتقادي الفكاهي ، ولكن ما يدرينا ، فلعل في شعره المفقود ما يسد هذا الفراغ .

وتتجلى لنا دعابة الشدياق في وصف الدنيا واحوالها وفي رثاء حمارة وفي غرفياته ، كما تتجلى في المقدمة الشعرية التي قدم لنا بها هذا الكتاب وتظهر في



عبد المجيد لكل امجد سيد  
شرفت له نفس فارفع ما رب  
ويجل عن ان يستباح فانما  
تمض جليل الهم همته كما  
ان السعيد بنظرة يوما له  
وانا كليم الدهر باء كليمه  
فدواء هذا الدهر طلعة وجهه  
وصلاح هذا الخلق يمن وجوده

مولى الطوك جبلة واروما  
يبدو حضيضا عندها شموما  
جدواه تسبق من جداه قدوما  
تمضي المضارع لم بها مجزوما  
او منه يصبح مسعدا ماموما  
لم يلقه يوما وآب كليما  
لا ان تراقب طالعا ونجوما  
لا ان تنوط تيمه وتيمما<sup>(١)</sup>

وقد خسر الشدياق الخديو اسماعيل باطيب مدحه ، فقد كان يحبه حبا جما  
ظهر في مواضع كثيرة من جوائبه ، وكان لا يترك مناسبة الا مدحه ، هناهاو بارك له ،  
وقد خصه بشعر يكاد يكون اضعاف ما قاله السلطان الديو كان ولي نعمته . وما  
قاله فيه :

قفا بي خليلي ابك الطلولا  
تذكرت ساعة سار الخليلط  
عجبت لجسمي كما صح غيم  
وكيف غرامي ينمو ويربو  
بكا السم شيفة كل محــــب  
يرى في النحيب عزا جميلا  
ورب بكا اراح المعــــنى  
ولكن في مصر ملكا اعــــاد  
فلم تبق عين تريق دموعا  
فاصبح ذاك النواح غنا  
وظاب الزمان اعتدالا وعد لا

فصبري من لائح الشوق عيلا  
فهمت التياغا وحررت زهولا  
فاني تصب عيونني سيولا  
وجسمي يشف شنى ونجولا  
يقاسي من اليمين ضرا ثقيلا  
فبندب دارس ربح محبلا  
وداوى عليلا وروى غليلا  
الطلول صروحا فطابت مقبلا  
ولم تبق اذن تطبق عويلا  
وتلك المفاوز صارت حقولا  
واقسم ان لا يعيل عــــد ولا

بل الحزم ان تستحث البزولا  
 باعتابه وهو احظي نزولا  
 مسلم الطويا نبيلاً جليلاً  
 وأولى العراد قوهولا فعولا  
 بهم كان بعد الاله كقيلاً  
 وداع لما نال جيلاً فجيلاً  
 ولايته فيهم ان تـطـولاً<sup>(١)</sup>

فليس التلبث في السير حزماً  
 الى باب من يئز السفر طراً  
 كريم السجايا عميم العطايا  
 اعز العباد واحي البلاد  
 غياث الامل كهف اليتامى  
 هناك ترى الخلق ما بين راج  
 فداي امصيل نفوس تمنى

وقد مدح لويس نابليون ملك فرنسا في قصيدة مطلعها

من شان اهل الهوى ان يفرطوا الغزلاً  
 قبل المديح والا غازلوا الكلاً

ومنها :

بين الرجال يراه وحده الرجال  
 في الملك ما ان يرى الرائي لها مثلاً  
 من في المكارم والمجد السني علا  
 تحوى كلاماً يولي حق ما فعلاً  
 تكاد تطفئها حرب ونحو طلي  
 نار التراثي وظن الخطب قد عضلاً  
 ومن بالعفو لا عجزاً ولا مسللاً  
 وبات حاسده بالياس مشتغلاً  
 فان معروفه كلاً لقد شمسلاً  
 يدبيل في غيرها الاملاك والد ولا  
 امنا وهذا الذي كل الوري املاً  
 وعرضه صار بعد الصون مبتذللاً  
 والدين خيفة ان يستقبلاً زللاً

من رام ماثرة فليمدحن لأجلاً  
 لويس نابليون الراق منزلة  
 من ذا الذي يشفي في الانام على  
 وليت شعري هل في الكون من لغة  
 اللواه باتت فرنسا في معامع لا  
 لما تفرقت الاراء واحتدمت  
 تدارك الامر لا عيا ولا فشلاً  
 وبات بالملك والتديير مشتغلاً  
 حق على الناس ان يدعوا له ابداً  
 وكيف لا وفرنسا دولها سبب  
 فكان تدييره للارض قاطبة  
 وحرمة الدين لولا عزمه انتهكت  
 فعال من تمسك الدنيا بساعده

يرى من الامر حزما في اوائله  
لما قضى قط الا وهو ذو ثقة  
ولا تخلل وعد نواهي عدة  
فانما هو يولى العرف مبتدرا  
ما غيره عنه في صيوره وهسلا  
ولا نوى خطة الا وقد فصلا  
له وانجازها بل قلما مثلا  
والعفو مقتدرا والعم مرتجلا<sup>(١)</sup>

وله في الاخوانيات مراسلات كثيرة منها مراسلاته مع احمد عزت الفاروقي<sup>(٢)</sup> والشيخ  
ابراهيم الاحدب<sup>(٣)</sup> والشيخ يوسف الاسير<sup>(٤)</sup> والشيخ حسن بيهم<sup>(٥)</sup> والشيخ عبد الهادي نجا  
البياري<sup>(٦)</sup> وسواهم من ادباء عصره الذين كان يناصرونه ويشدون ازره في خصوماته الجوانبية  
او يقرظون كتبه او يمدحونه لمختلف الاسباب .

ولنقدم على ذلك مثلا من مدحه للشيخ عبد الهادي نجا البياري الذي يشكره  
فيه على كتابه " النجم الثاقب " في المحاكمة بين البرجيس والجواب " ، الذي نصره  
فيه على خصمه سليمان الحريري محرر البرجيس .

اي مدح يهدى لعبد الهادي  
ما عسى ان يجيد من عليه  
عين اعيان عصره مستفيض  
اوضح الحق نجمه في مقال  
عجبا كيف يطلع الصبح في الشر  
طالما امت الائمة منـــــــــــــــــه  
غير انا نعني ونعني اذا ما  
ان شعري على بيان عـــــــــلاه  
وهو فوق المديح والانشاد  
وهو في الفضل واحد الاجاد  
منه وجه الهدى وفيض الايادي  
هو نور في غيب الشك هاد  
ق وفي الغرب من سواد المداد  
عند لبر الامور وامطاء الجياد  
نتصدى لمدحه المستجاد  
كدليل الحصى على الاطواد<sup>(٧)</sup>

وكتب الي عبد الرحمن النحاس نقيب الاشراف في بيروت يستنهض همته الي  
نصرة الجواب :

ماذا اقول اذا اردت مديح من  
تعلو على كل الثنا معلاته

(١) كشف الخبايا اخبار اوربا ص ٢٨٠ (٢) راجع ص ٢٥٩ ٢٦٥ ٢٩١ ١٢٠ ١٢٠  
١٢٤ من كثر الغائب ٢٨ (٣) راجع نفس المصدر ص ٦٧ (٤) راجع نفس  
المصدر ص ٧٢ ٢٥٧ وسواها (٥) كثر الغائب ٢٨ ص ٥٧



كَيْلَا أَكُونُ بِهِ الْمَسِيءُ وَأَنَا  
مَا كُنْتُ أَجْسُرُ أَنْ أَفُوهُ بِمَدْحِهِ  
لَكِنَّمَا شَانَ الْحَلِيمِ الْعَفْوُ عَنِ  
أَنْ كُنْتُ أَهْدِيهِ اللَّفَا عَنْ جَوْهَرِ  
بِحِرْ خُضْمٍ لَا تَزَالُ عَلَى السُّورِ  
حَتَّى كَانَ الْأَوَّلِينَ بِهِ حَسِيمُوا  
قَمَرُ الْكَمَالِ غِنَى الْحَقِاقِ مِنْزَهُ  
شَرَفُ النِّقَابَةِ فِيهِ زَادَ تَرْفَعُ مَا  
الْفُضْلُ شَيْئَةً وَسَاءَ التَّسْقِي

عن سيئتي كفرت حسناته  
وجلاه لولا حلمه وانساته  
زلات معترف طفت زلاته  
فبكمه يغلو وذى عاداته  
تطفو جواهر لفظه وهباته  
از قد حوت كل المعامد ذاته  
حالاته اتى بدت حالاته  
ولت لمجد فعاله راياته  
والمكرات شعاره وسماته<sup>(١)</sup>

ومن امثلة شعره في التهاني قوله يهني<sup>٢</sup> فؤاد باشا بالصدارة العظمى :

ان عليك العصر سلطاننا  
ما زال منذ افضت الي امره  
حتى اكتسبت من عدله سندنا  
افضل من آل الي رايته  
اقام هذا الطك تديير  
راى فؤادا للصدارة مثل الروح  
فقال كن فيها رئيسا كما  
وكن لي اليمبرى العمول اذا  
انك قد اجديت في خد متي  
فقلت يا بشرى بتاريخه

عبد العزيز الشهم غوث العباد  
خلافة الملك يمسوس البلاد  
ماست به كل الربى والوهاب  
حكم الورى من عهد هود وفاد  
على اساس راسخ ذى عماد  
للجسم وذاك السداد  
انت على الجند رئيس وهاد  
مددت يفتاى لامر مراد  
ومنك حال شئتها تستجاد  
في صدر ذى الدولة اجدى فؤاد<sup>(٣)</sup>

ومن تعازيه قوله يحزى بعوت السلطان عبد المجيد ويهني<sup>٤</sup> بقيام عبد العزيز :

يجرى المقدر حيث قدر شائيا  
ان الذى عنت العباد لحكمه  
من كان منا آيبا او شائيا  
اضحى لاحكام المنية عانيا

(١) كتنز الرغائب ج ٢ ص ٦٦ (٢) نفس المصدر ص ٥٦

فنجيد في عبد العزيز تمازيا  
شان الحياة مساة وصورة  
وكذا الزمان يكون طورا مدويا  
مادت بنا الاتراح والافراح في  
لم تغر الا ساعة حتى سمرت  
وبدت تباشير البشارة باسم من  
فغدا المعدد للفقيد معددا  
هو واحد الاحاد لا تلقى له  
يعتز امر الدين والدنيا به  
فهما لاعمال الحمام وللنسيدي  
نصر المهيمين رايه وادامه

ونعيد في عبد الحميد تمانيا  
تتعاقبان هواديا وتوالسيا  
فيما وطورا قد يكون مداويا  
يوم ومرن عواديا ودواعيا  
عنا دجى كرب حنين رواسيا  
ولي الخلافة نعم ذلك واليا  
اوصافوارته الكريمة داعيا  
فيما حواه من الخلائق ثانيا  
وتعز شأنهما يداه تلافيا  
طب لا يؤسنا وخير شافيا  
للملك والاسلام نصرا واقيا<sup>(١)</sup>

وهكذا ينهي عرض شعر المناسبات عند الشدياق وقد لمتنا بانفسنا ما امتاز  
به من الكلفة والصناعة والتقليد .

### شعره في الميزان

الان وقد فرغنا من عرض شعر الشدياق في ديوانه ، لا بد من وضع شاعريته  
في ميزان النقد حتى نتمكن من اعطاء حكمنا عليها . وقبل ان نتقدم الى ذلك نود ان  
نعطي فكرة موجزة عن حالة الشعر في القرن الماضي ، فننقل ما قاله عنه الاستاذ احمد ضيف  
قال :

\* كان الشعر في مصر اوائل القرن التاسع عشر وقبله كما كان جميع الاقطار  
العربية : محاكاة للقديم وجريا على اساليب شعراء العصور المتقدمة في الموضوعات التي  
عرفت اذ ذاك من مدح وذم ونهيب ووصف وغير ذلك . حتى لقد نجد من يبين شعراء  
هذا العصر الاخير من يعمد الى رصانة الشعر القديم فيقلده ، والى اسلوبه المتين

فيحاكيه والى الاخيلة المعروفة فيقتبس منها . وكادت تكون هذه الاساليب كل اغراض الشعراء من قول الشعر . فلم يخرج الشعر عن كونه صناعة من الصناعات لا شعورا ولا اثرا من آثار الهامات النفوس . ولا سمة من سمات العصر الذي كان يعيش فيه هؤلاء الشعراء . وحتى لم يكن هناك وسيلة للتفرقة والتجيز بين شعراء مصر وغيرهم من الاقطار العربية الاخرى سوى ما اتصف به المصري من خفة الوجد وذب الفكاهة ، ككثرت عرف به في كل زمان . على ان الشعر كان في حالة تقهقر فلم يكن للشعراء اساليب خاصة ، بل كان الشاعر يكتفي بالوزن والقافية واخيلة غيره يضعها في كلام آخر ويلبسها الفاظا اخرى على انه لم تخل الحال في اوائل القرن التاسع عشر وقبله من ان وجد بين هؤلاء الشعراء من كان حسن الديباجة ظلي العبارة رقيق الاشارة<sup>(١)</sup> .

الا ان الحال لم يدم على ما وصفه ضيف ، اذ ان الشعراء الاوروبي ، عقب الاتصال المباشر باوروبا في مصر وسوريا ، بدأ يوتر تدريجيا في انتاج شعراء العربية ، اذ بدأ هؤلاء ينحرون من التقليد الصرف الى التقليد الذي يتجلى فيه شيء من التحرر و بروز الشخصية . وهذا يظهر في شعر اليازجي والبستاني والشدياق والساعاتي والنديم وهب الله فكري وسواهم .

وقد آن لنا الان ان نبحث في شعر الشدياق ، فنتحدث عن طبيعته الفنية و عناصر شعره وصناعته الفنية .

#### طبيعته الفنية

الطبيعة الفنية هي المعين الذي تستمد منه الشاعرية ما حياتها وهي مختلفة عند الشعراء . وعلى اختلافها هذا ينقسم هؤلاء الى ثلاثة انواع رئيسية :  
الاول : شاعر عاودي الشخصية تدخل الحياة الى اعماق نفسه فتقبلها وتمثلها ثم تجترها صورة عادية بسيطة قريبة الغور قليلة الجوانب والنتوءات ، ضيقة المدى سطحية خالية كل تنوع او تعقيد .

والثاني : شاعر متشابه الشخصية معقد الذات تنعكس الحياة عن نفسه . بعد التمثيل والاجرار ، غنية باصور والارجاع ، عميقة الغور واسعة المدى كثيرة التنوع والانعكاسات . حتى ان ذات الشاعر تكاد تختفي وراء ستار يسدله عليها اكباب الشاعر على الموضوع . فالموضوع عنده القاية ، اما شخصيته فانها تعيش على هامشه مخمضة خفية .

والثالث : شاعر مركب الشخصية و اذا صح التعبير نقول انه متعدد الشخصيات . لان شخصيته الاولى تجذب اليها شخصيات اخرى . فتتشابك معها وتتحد . وبالتالي تتعقد ما شاء لها تعقد تلك الشخصيات المتباينة واختلاف تجاربها وتمساتها بالحياة . وشخصية كهذه تكون غنية بالتجارب الناضجة المتسبة من الحياة والقراءة . وتكون قادرة على استيعاب الحيات واجترارها . واحيائها في حركة وهمل ونشاط . ومثل هذه الشخصية التي تتيسر لها الخلق والابداع تكون قادرة على توليد الحركة الحية التي تخلق العمل التمثيلي ، بانواعه المختلفة . في القصر والروايات والمسرحيات .

واكثر هالشعراء الفنائيين الوجدانيين يقعون تحت النوع الاول وعلى هذا نستطيع ان نعتبر شعراء العربية منذ اقدم عصورها حتى يقظة النهضة من هذا النوع وعلى هذا يكون الشدياق من هذا النوع او صدى من اصداؤه .

واذا ذهبنا ننتبع نستقرى طبيعته الفنية ، الفيناها ووضحة لا الغاز فيها ولا رموز . فالشدياق اديب صريح مكشوف مكشوف في كل شي . في الحياة وفي ارجاع النفس واصداؤها وفي الادب الذي هو انعكاس عن هذا كله . مكشوف فيما يجب وفيما ينبغي ، وفيمن يصادق وفيمن يعادي . وهذه الطبيعة لها جذورها المتمكنة في قرار نفسه ، وفي بيئات حياته .

احتاج اولا الى التقية ، آونة حياته اللبنانية ، ثم لما تنسم نسيم الحرية . ورتج في ملاعب التفكير والانعتاق ، اظهر ما انطوت عليه ذاته اظهارا لا وجل فيه ولا مداراة ولا تستر . والحياة في اوربا هي خير مدرسة تعلم الانسان الصراحة والوضوح والمجون والا مبالاة . ثم يدور الزمن دورة ، فاذا بنا نراه صحافيا ، يضطر بحكم المهنة ان يكون

---

(١) للتوسع في هذا الباب راجع المصطفى بجلد ٢١ - ٢٠ ، فقد رحبنا اليه واخذنا عنه نصه الآراء

صريحا فيما يقوله وفيما يقوله قلعه ، يرسل العظة عارية من كل ما يبهمه حتى يضمن لها الوصول الغاية وقرع الهدف . اجل ! لقد كان الشدياق صريحا حتى في موقفه من السلطان ، سيده وولي نعمته . فقد كان يحب الخديو اسماعيل ، عدو السلطان . وقد مدحه بقصائد هي من عيون شعره ، وليته وقف عند هذا الحد ، بل نراه يعرض في بعضها بالسلطان .

هذا الوضوح في طبيعته هو الذي ادى الى الوضوح في عمله الشعري . وان كان يعجل الى الاغراب في بعض الاحيان ، فالاغراب في الشعر غير الغموض اذ ان الغموض هو طرح لتعقد الذات الشعرية بينما الاغراب هو نتيجة لالتقاء تيارين : معرفة واسعة باللغة ووجوه استعمالها ، مع وضوح في شخصيته . هذا التياران التقيا فاوجدا وضوحا في عرض التجربة يحيط به غموض في التصوير عنها . وكان بطبعه ميالا الى هذا الوضوح يؤثره ويقدمه حتى اذا لصر في فكرة غموضا في اثواب مختلفة . وهذا هو نفس عالم لا نفس شاعر . ومن هذا القبيل قوله في قصيدة مدح بها السلطان عبد المجيد .

لكن يد الله القوية معكم	توليكم ايديا فلن تتقهقروا
قد قال في الذكر المفضل ربكم	حقا علينا نصرهم فتذكروا
ما الله مخلف وعده لعباده	ان هم بحصته اتقوا للوستنصروا
قد كان مولاكم وها هولم ينزل	وزرا لكم ايمان كنتم يحضرون
لن يعمل البتار الا ان يشاء	الله ما شيء سواء مؤثر
شهد الاله بانه مولاكم	ونصبركم فبحمده فاستظهروا
والله قد وعد المجاهد منكم	فتحا ميينا في الكتاب فابشروا
في اهل بدر عبرة لكم الا	يا قوم فليتذكر المتسذكر

فقد كرر فيه الفكرة الدينية وبين اثر يد الله في توجيه مصائر الناس والاعمالهم وبالإضافة الى عنصر الوضوح هذا نرى عنصرا آخر يسير معه جنبها الى جنب

وهو حب المادة والتكالب عليها ، ويبدو ذلك في قلبه في ادوار حياته فانه كان يهون عليه تغيير الدين واستبدال المبدأ اذا شام في الافق آثار غمامة . وهذا مما جعله في الفترة الاخيرة من حياته ، تلك التي قضاها في الاستانة ، يكرس اكثر نظمه للمناسبات متكسبا به مستجديا ، مهملا ما حوله من بواعث الشاعرية كوصف الطبيعة الحية والصفائية وضعا مخلصا صادقا ، ووصف عالمه الداخلي بما فيه من تنوع وخصب . وقد عبر عن هذا المبدأ بقوله :

فما الشعر ما اعياك في الليل نقده ولكن ما اغناك في الصبح بالنقد<sup>(١)</sup>

والشدياق المآدى بينما ينفر وينفر من اسلوب القدماء في الشعر ، اسلوب التقليد ، ترى اكثر بضاعته تقليد يحاول فيه ان يرضي الناس لا ان يرضي مثله الشعري .

ونحن نعتقد ان آثار الشاعرية الحقة موجودة في بعض ما نظمه في المرحلة الاولى من حياته مرحلة الجوع ، قبل ان يؤم الاستانة ويتمسح باعتاب السلطان وياكل فيشبع ، فتصيبه التخمة فيموت .

### عناصر الشاعرية

يدخل في بناء الشعر ثلاثة عناصر اساسية تنتج عن ملكات الشاعر الطبيعية وهذه العناصر هي الخيال والعاطفة والفكر . وهذه العناصر لا توجد منفصلة بعضها عن بعض ، بل الاثر الشعري هو مزيج فيها بنسب مختلفة . وباختلاف نسب هذا المزيج تختلف الاساليب الشعرية . فلا يوجد في الشعر عاطفة بلا خيال ولا فكرة وكذلك قل عن الخيال وعن الفكرة .

اما نظم الشدياق فقد كان اكثره من الشعر الوصفي والتصويري ومنها ما يتولد الشعر القصير ، وان كان معدوما عنده ، والرتاء والوجدان والانواع المختلفة من شعر المناسبات وهذان الغرضان هما مظهران لعمل الخيال في الدرجة الاولى . وهذا ما يجعلنا نعتقد ان عنصر الخيال عند الشدياق كان اقوى من عنصرى الفكرة والعاطفة . فالخيال

في طبيعته هو وضع الاشياء في مركبات جديدة . وهذا واضح جلي في شكواه من الدنيا ومن اهلها . والخيال نوعان اساسيان خيال مبتدع وآخر محلل . والخيال المبتدع هو الذى يخلق العلاقات جديدة بين الاشياء . وهذا يظهر جليا في نثر الشدياق وبعض شعره . اما المحلل فانه قائم على تصوير الاشياء على اساس الاضافة الى اشياء اخرى تقويمها وتظهرها . ومظهر هذا النوع فنون البيان والبديع . والشدياق في نظمه توسع في هذه واتى فيها بكل طريف . ولهذا نستطيع ان نقول ان خيال الشدياق في شعره هو خيال تداعي وتفسير وتعليل ، يقوم على ربط الاشياء بوشائج جديدة . وهذا الخيال قريب المدى قل ان يمتد لاكثر من صورة خاطفة تظهر في استعارة او تورية او جناس او غير هذه من انواع الصنعة البيانية والبديعية . ويجب الا يصرفنا هذا الحكم عن ان نشير اشارة عاجلة الى امرين تناولهما فيما بعد بالتفصيل ، وهو ان الكثير من صوره الخيالية كان مأخوذا عن سبقه من الشعراء .

والخيال في اصله عمل مجرد عن الحياة ، تلمس اول ما تلمس فيه البرودة والجمود ولولا دخول العاطفة اليه وتفاعلها معه لما لمسنا في الشعر ما تلمسه فيه من حياة وحرارة وشعور ، ولما استطاع الشاعر ان يحرك اوتار نفس القارىء ، وان يهز مشاعره وعواطفه فيجعله يتألم لآلمه ويسر لسروره .

والعاطفة كعنصر اساسي في شعر الشاعر تظهر في موسيقى المعاني والذبذبات الشعرية في القصيدة ، وواضح ما تكون هذه الموسيقى المؤثرة في انشاد الشاعر لشعره بنفسه ، حتى تلمس فخطوط التاثر في صوته وعلى قسماط وجهه . وهذا ليس بمتيسر لنا الا ان ، ولهذا يجب علينا ان نتلمس آثار العاطفة اثنا انشادنا للقصيدة ، رغم ان صدى التاثر لا يكون في قوته كالتاثر المباشر .

والعاطفة شيء لا نستطيع ان نحدده تحديدا موضوعيا . وانما هو ذاتي كل الذاتية تلمسه في نفسك ان كانت من النفوس التي تهتز للشعر وتتأثر به . وتنوع العواطف في القصيدة بين حزن وغم وخوف وسرور وحنو وحب هو مقياس حساسية الشاعر ، لان

النفوس الحساسة هي التي تسجل ادق الاحساسات . اما اذا كانت العاطفة مكررة واحدة التوقيع والاحداث ، متلاحقة التموجات والاهتزازات فانها تكون عاطفة عادية ، بينها وبين العواطف الراقية ما بين النفوس الحساسة والنفوس الجامدة .

وبعد فإين نضع عاطفة الشدياق ؟ لقد كان الشدياق باردا في احساسه وتأثره ففي غزله مثلا وصف خارجي للحسر الخارجي ، لا تدعمه عاطفة باطنية عميقة حية فائضة . وفي رثائه وهو مجلى لارق العوطف ، وارق الاحساسات برود وتسمر<sup>(١)</sup> . وهل ادل على خفوت حذوة العاطفة عنده ، من رثائه لابنه في تلك القصيدة المنسوخة عن قصيدة التهامي التي جاءت فيها عاطفته صدى لعاطفة والصدى عادة اضعف من الاصل . كما ان قصيدته هذه ، كما ذكرنا سابقا ، كانت من التكلف والصنعة بكن يجعلنا نحكم على شعره جميعه بالهلهلة والفتور والتراخي . فإى عاطفة اعمق من عاطفة الحزن ؟ وإى حزن اقوى من حزن الاب لفقد قلذة كبده ؟ وإين يكون الصدى في العاطفة اذا لم يكن هنا .

اما عاطفة الحزن والاسى التي تظهر في ذمة للدنيا وشكواه منها ومن الناس ، فانها اعمق عاطفة احسن بها وغير عنها بصدق وامانة . ولعل للجوع الذى كان يسود صفحات حياته انذاك اثر في ذلك<sup>(٢)</sup> .

اما في شعر المناسبات فاننا لا ننتظر منه عاطفة صادقة تخرج من اعماق النفس ان قل ان يغني فيه لنفسه ، وعاطفته فيه مستعارة في الاكثر .

فالعاطفة عند الشدياق اذن هي عاطفة عادية مصدرها الحسر الخارجي ، لم تتعمق الى قرار نفسه وهي وان تعمقت في حزنه على فقد ابنه فانه عجز عن ان ينقلها الينا بصدق ودقة واخلاص .

اما الفكرة فهي الراورق الذى تمر فيه العواطف والاخيلة فيصفيها ويزنها . وهو تحديد للتجربة التي يمر بها الشاعر . والفكر الانساني واسع يتناول حقائق الوجود من محدود وغير محدود ، وكلما كان هذا الفكر عميقا كلما كان اقرب الى بلوغ مناطق

(١) راجع لصفحة ١٥٩ من الديوان وقد اقتبسناه فيما مضى من هذا الديوان  
(٢) كنهه من قبل الاعتقاد بأن معظم ما نظم في هذا الجذب كان جلي الصلاه بالسلطان لانه  
نمى فيه اثر المرسان والضاقة والالم ، كما لم يصرفه الشدياق في الدستانة



الوجود الاسمي للانسان والفكر يحق ويتغلغل اذا كان نتيجة للانطواء الداخلي والتأمل العميق . ولا نتظر هذا من شاعر كالشدياق ، نظم اكثر شعره الذي بين ايدينا في المناسبات وكان فيه مقلدا سارقا في اكثر الاحيان . فطبيعي والحالة هذه ان تكون الفكرة عنده ضحلة سطحية ، باستثناء بعض ابياته في ذم الدنيا التي نعتبرها نحن خيرا ما قرأناه له من شعر .

بقي ان نتحدث عن صناعته الفنية ، وقد ظهر فيها نظاما ولهذا نلح آثار الاختلال فيما نظم ، الاختلاس بين الشاعرية الصائفة والصناعة الفنية . بين الروح الشعرية والتعبير الشعري . ولذا نرى قولها اوسع من معانيه ، وصناعته اجمل من شاعريته . وقد افسدت عليه هذه الصناعة شاعريته في اكثر ما نظم . فقد جرى ورائها وكانها الغرض الاول للشعر . ومن هنا كان كلفه بانواع البديع من جناس وطباق وتورية وغير ذلك مما يعج به شعره . والشدياق يتخذ من شعره وسيلة لاظهار تعمقه في درس اللغة ومعرفته المحيطة بها ، فهو لغوي نحاس في شعره قبل ان يكون مصورا حساسا . وهذا راجع الى اتجاهه العلمي في هذه المرحلة من حياته ، والى اطلاعه الواسع على اللغة ، ذلك الاطلاع الذي مكه من ادراك سر التفاضل بين الالفاظ واسرار تألفها وتشابكها .

والظاهرة التي تكاد تطفئ على شعر الشدياق هي ظاهرة التقليد ، ومن عناصرها

- ١ . متابعة المتقدمين في اساليب النظم .
- ٢ . النسخ على منوال بعض القصائد .
- ٣ . اخذ بعض المعاني والتراكيب الشعرية .
- ٤ . التوسع في استعمال البديع .
- ٥ . استعمال التاريخ الشعري .
- ٦ . الالعاب .
- ٧ . التلاعب بالالفاظ .
- ٨ . كثرة الاشارات

وستنكم عن كل منها بشي' من التفصيل .

اما متابعة المتقدمين في اساليب النظم فقد ظهرت في انتاج مسلكنهم في استهلال القصائد كان يبدأ قصيدته ، كما كانوا يبدأونها ، بالوقوف على الاطلاق وروع الديار ، وذكر الاحبة الذين ترحلوا عنها ، وقد اشرنا الى ذلك سابقا . او كأن خليلته فيبدأ القصيدة بمقدمة غزلية يتوصل بها بعد بيت التخلص المدح او سواء من اغراضه الشعرية . وقد اشرنا الى ذلك سابقا .

وقد كان يشتط في التقليد احيانا فتاتي قصيدته مسخا بقصيدة سابقة او معارضة لها . وقد اشرنا سابقا الى قصيدته في رثاء ابنه و اشرنا الى تاثيرها فيها بقصيدة التهامي . وقد آن لنا ان نقف على هاتين القصيدتين فتقتبس من كل منهما ما يبين ما بينهما من التشابه .

قال الشدياق :

والذكر ما وارك ترب وار	الدمع بعدك ما ذكرك جار
تصلى من الحشرات كل اوار	يا راحلا عن مهجة غادرتها
ما في حشاي سوى لهيب النار	خطا وهمت فابن بعدك مهجتي
فكانه وقر من الاوقار	رمقا اقل الجسم مني فادحا
عينا على الاثار والاذكار	ما كان ضر الدهر لو ابقاك لي
شي من الظلمات والانوار	ما بعدا فقدك رائعي او رائقي
طلع الصباح وانت عني سسار	سيان ان جن الظلام على او
من مطمع فيه الى الاسحار	يا بشس ذاك الليل اذ لم يبق لي
شعاري حمر مست خمسي واستطبت	ارقتني من قبله ستا وفيه
حكم العنية في البرية جار	ابنتي ما يجدى التصبر قولهم
ما هذه الدنيا بدار قرار	كلا ولا بي قر بعدك من حمسى

حين عليّ خلا من استذكار  
فليتلون رثاك عني القارى  
عدم التبصر في احتمال خسارى  
وكوت حنى شطاة الزوار  
قد ذقت من نكل ووحشة جار  
شتان بين جواره وجوارى  
تأويها وابان قصم فقارى  
ابدا وفارقتني على اجبار  
عن ناظرى فكل نجم سار  
بعدى ويبلغ اطول الاعمار<sup>(١)</sup>

لا انسينك او احين فلما اتسى  
ولارثيتك ما بقيت وان امتت  
يا حسرة عدم التصبر بعد ما  
كثر المعايين لي وقل معاوني  
فرويت بيتا قاله من ذاق ما  
جاورت اعداى وجاور ربه  
يا فجة نزلت فحطم كاهلى  
في ليلة فارقت فيها ناظرى  
لا غرو ان يك قد سرى جنح اللجى  
قد كنت اطعم ان يعير مهنتا

ارابت كيف تتجلى الصفة في شعره وكيف يبرز التكلف . ارابت كيف تجمد العواطف  
وتتسمر؟ اذا كان هذا فاليك مثلا من قصيدة التهامي التي نسج الشدياق على منوالها  
لترى التفاوت في الشعر وترى العاطفة الصادقة المتأججة تقابلها عاطفة فاترة باردة .

ما هذه الدنيا بدار قرار  
حتى يرى خبرا من الاخبار  
صلوا من الاقذار والاكذار  
متطلب في الماء جذوة نثار  
تبني الرجاء على شفير هار  
والمرء بينهما خيال سار  
اماركم سفر من الاسفار  
ان تسترد فانهن عسوار

حكم العنية في البرية جار  
بيننا يرى الانسان فيها مخبرا  
طبع على كدر وانت تريد ها  
ومكثف الايام ضد طهاعها  
واذا رجوت المستحيل فانما  
فالعير نوم والعنية يقظة  
فاقضوا بأريكم عجلا انما  
وتراقصوا خيل الشباب وهاد روا

فالدهر يخذع بالمعنى ويغمر ان  
ليس الزمان وان حرصت سالما  
اني وترت بصارم ذي رونسق  
والنفس ان رضيت بذلك او ابست  
هنا ويهدم ما بني بسوار  
خلق الزمان عداوة الاحرار  
اعددته لطلابة الاوتار  
منقادة بازمة المقدار

يا كوكبا ما كان اقصر عمره  
وهلال ايام مضي لم يستدر  
عجل الخسوف عليه قبل اوانه  
واستل من انزابه ولسداته  
ابكبه ثم اقول معتذرا له  
جاورت اعدائي وجاور ربه  
اخفي من البرحاه نارا مثل ما  
واخضر الزفرات وهي صواعد  
وشهاب نار الحزن ان طاعته  
واكف نيران الاسى ولربما  
نوب الرياء يشف عما تحته  
قصرت جفوني ام تباعد بينها  
احيي الليلي التم وهي تميضي  
وطرى من الدنيا الشباب وروقه  
قصرت مسافته وما حسناته  
نزداد هما كلما ازددنا غنى  
ما زاد فوق الزاد خلف ضائعا  
اني لأرحم حاسدي لحر ما  
وكذاك عبر كواكب الاسحار  
بدرا ولم يحمل لوقت سرار  
فحاء قبل مظنة الابدان  
كالعقلة استلت من الاشعار  
وفقت حين تركت الام دار  
شتان بين جواره وجواري  
يخفي من النار الزناد الواري  
واكفك العبرات وهي جوار  
اورى وان عاصيته متواري  
غلب التصبر فارتعت بشرار  
واذا التحفت به فانك عار  
ام صورت عيني بلا اشعار  
وميتهن تبليج الاسحار  
فاذا انقضى فقد انقضت اوطاري  
عندي ولا الاوه بقصاري  
والفقر كل الفقر في الاكثار  
في حادث او وارث او عار  
ضعت صدورهم من الاوغار<sup>(١)</sup>

وتصيدته النوتية في مدح السلطان التي مطلعها .

لمولانا امير المؤمييننا      مدى الاعصار كل المارحيننا<sup>(١)</sup>

تشبه الى حد كبير معلقة عمرو بن كلثوم التي مطلعها .

الا هبي بصحنك فاصبحينا      ولا تبقي خمور الاندريتنا

وهكذا يشتطع الباحث المدقق تتبع آثار الشعر القديم في تركيب قصائده ، فكانه كان اذا اراد نظم قصيدة في موضوع ما وضع امامه قصيدة لاحد الشعراء ، واخذ يتاثر خطأها ويتسقط ظلها الشعري .

وكان يذهب في التقليد مذاهب شتى ، حتى انه كان احيانا ينسخ المعاني عن غيره دون تحفظ ، وقد اخذ الكثير من المعاني والتراكيب عما سبقه من آثار الشعر والقرآن والحديث والامثال وسواها . ونحو ذلك قوله :

وعكس الذي قد مر اكثر فأتشد      الا ايها ذا اللائعي والمعاتب<sup>(٢)</sup>

وقوله :

كل حلو في فم ذي السقم مسو      والدجى للائعي تظير الاصيل<sup>(٣)</sup>

وقوله :

ومن تكذ الدنيا معاداة مارق      لثم يبيع الدين والعرض بالكاس<sup>(٤)</sup>

وقوله :

السيد ابن السيد      ابن السيد المتزايد<sup>(٥)</sup>

وقوله :

فيا لك من يوم كره صباحه      ويا لك من ليل بطيء الكواكب<sup>(٦)</sup>

وقوله :

ما في وقوفك ساعة من ياس  
شدت كواكبه الي امراس

ولقد وقتت بسبا بسبا بتمثلا  
ليلي بهميم سرمد فكانما

وقوله :

يري كل ما تحوى العياب معايبا

اعوذ برب الناس من شر حاسد

وقوله :

علي فبعض الشراهن من بعض

وقالت الا تم مثلما كت قائما

ومن مظاهر تقليده الاكثار من البديع والصنعة كالتورية والجناس والطباق والترصيع والاشارة والتضمين . واذا اردت مثلا فالديوان امامك قل ان تخلو صفحة منه من نوع هذه او اكثر . ومن مظاهره ايضا التأريخ الشعري كقوله :

لدى الوري طرا ربيع عزيز  
في عام خير ساد عبد العزيز

سلفاننا الاسي الذي بشأنه  
حاز زمام الطك تاريخه

والاغراب ايضا شبة من شيات التقليد . فقد كان ميالا اليه ، وكان في بعض الاحيان يشعر باغرابه فيحاول شرح بعض الالفاظ الغامضة . ومن قبيل اغرابه :

قوله :

بذفت ارادته عليه هرما

ان ابهمت خطط واطش ليلها

وقوله :

فانت انين المشتكي الم الرض

كبوت على الدنيا وجسمي طهمل

وقوله :

لنكوس راس ان ييلغني رفا

ومهما تر الدنيا من الهكرلم يكن

وقوله :

يرضي الوري طرا جنى الزرجون

هب خط خطي في اعوجاج فالذي

(١) ص ١٥١ (٢) ص ١٤٤ (٣) ص ١٠٠ (٤) ص ١٤٧ (٥) ص ١٤٨ (٦) ص ١٤٩ (٧) ص ١٥٠ (٨) ص ١٥١ (٩) ص ١٥٢ (١٠) ص ١٥٣ (١١) ص ١٥٤ (١٢) ص ١٥٥ (١٣) ص ١٥٦ (١٤) ص ١٥٧ (١٥) ص ١٥٨ (١٦) ص ١٥٩ (١٧) ص ١٦٠ (١٨) ص ١٦١ (١٩) ص ١٦٢ (٢٠) ص ١٦٣ (٢١) ص ١٦٤ (٢٢) ص ١٦٥ (٢٣) ص ١٦٦ (٢٤) ص ١٦٧ (٢٥) ص ١٦٨ (٢٦) ص ١٦٩ (٢٧) ص ١٧٠ (٢٨) ص ١٧١ (٢٩) ص ١٧٢ (٣٠) ص ١٧٣ (٣١) ص ١٧٤ (٣٢) ص ١٧٥ (٣٣) ص ١٧٦ (٣٤) ص ١٧٧ (٣٥) ص ١٧٨ (٣٦) ص ١٧٩ (٣٧) ص ١٨٠ (٣٨) ص ١٨١ (٣٩) ص ١٨٢ (٤٠) ص ١٨٣ (٤١) ص ١٨٤ (٤٢) ص ١٨٥ (٤٣) ص ١٨٦ (٤٤) ص ١٨٧ (٤٥) ص ١٨٨ (٤٦) ص ١٨٩ (٤٧) ص ١٩٠ (٤٨) ص ١٩١ (٤٩) ص ١٩٢ (٥٠) ص ١٩٣ (٥١) ص ١٩٤ (٥٢) ص ١٩٥ (٥٣) ص ١٩٦ (٥٤) ص ١٩٧ (٥٥) ص ١٩٨ (٥٦) ص ١٩٩ (٥٧) ص ٢٠٠ (٥٨) ص ٢٠١ (٥٩) ص ٢٠٢ (٦٠) ص ٢٠٣ (٦١) ص ٢٠٤ (٦٢) ص ٢٠٥ (٦٣) ص ٢٠٦ (٦٤) ص ٢٠٧ (٦٥) ص ٢٠٨ (٦٦) ص ٢٠٩ (٦٧) ص ٢١٠ (٦٨) ص ٢١١ (٦٩) ص ٢١٢ (٧٠) ص ٢١٣ (٧١) ص ٢١٤ (٧٢) ص ٢١٥ (٧٣) ص ٢١٦ (٧٤) ص ٢١٧ (٧٥) ص ٢١٨ (٧٦) ص ٢١٩ (٧٧) ص ٢٢٠ (٧٨) ص ٢٢١ (٧٩) ص ٢٢٢ (٨٠) ص ٢٢٣ (٨١) ص ٢٢٤ (٨٢) ص ٢٢٥ (٨٣) ص ٢٢٦ (٨٤) ص ٢٢٧ (٨٥) ص ٢٢٨ (٨٦) ص ٢٢٩ (٨٧) ص ٢٣٠ (٨٨) ص ٢٣١ (٨٩) ص ٢٣٢ (٩٠) ص ٢٣٣ (٩١) ص ٢٣٤ (٩٢) ص ٢٣٥ (٩٣) ص ٢٣٦ (٩٤) ص ٢٣٧ (٩٥) ص ٢٣٨ (٩٦) ص ٢٣٩ (٩٧) ص ٢٤٠ (٩٨) ص ٢٤١ (٩٩) ص ٢٤٢ (١٠٠)

وقوله :

كان فلاحهم تحت المذاكي

تبعثرها بأرجلها شفونا<sup>(١)</sup>

وقوله :

واليوم من كل أسبوع يدور بها

من مزرى الف قاف قائف قاف<sup>(٢)</sup>

وسواها .

ومن مظاهر التقليد أيضا كثرة الاشارات . ومن هذا القبيل قوله

ومن عجب الدنيا براعة ذا الشتا

ومنوال رد العجز منه على الصدر<sup>(٣)</sup>

وهي اشارة بلاغية ، وقوله :

في مدحه الحصر العيي يبين

والمشطور كما مل<sup>(٤)</sup>

وهي اشارة عروضية ، وقوله :

افدى المصغر باسمه لكنما

بالقدر ظل مكبرا تكبيراً<sup>(٥)</sup>

وقوله :

هو في المعارف والمحامد منتهى

صيغ الجموع وواحد الاحاد<sup>(٦)</sup>

وهما من الاشارات النحوية ، وقوله :

واذا تشاء فقل فصيح القوم

يصبح وهو يساقل<sup>(٧)</sup>

وقوله :

ماذا عساني اليوم قائل

لو انني سبحانه وائل<sup>(٨)</sup>

وقوله :

وهل من معجب بابي فراس

وسهل وابن سهل وابن هاني<sup>(٩)</sup>

وهي من الاشارات التاريخية . ومثل هذه كثير .

(١) ص ٢٥ (٢) ص ٤٠ (٣) كثر الرغامى ج. ص ٥٠ (٤) نفس المصدر ص ٦٢ (٥) نفس المصدر ص ٧٢ (٦) نفس المصدر ص ٧٥ (٧) نفس المصدر ص ٦٢ (٨) نفس المصدر ص ٦٤ (٩) ص ٦٤

هذه هي مظاهر التقليد في شعره، وهو في هذا التقليد يسير في اتجاه  
ادباء العصر الذين كانوا يحاولون بحث القديم من الادب واللغة . فكانه تآثر في  
نثره بأساليب الاوروبيين . اما في شعره، فانه رأى ان يتقيد بأساليب العصر . ولكنه  
مع ذلك لم يفرط في التقليد افراط معاصريه كالبازجي والبستاني وبطرس كرامه والساعاتي  
والنديم وسواهم . ونحن نعزو هذا الضعف الذي نلمسه في شعره وفي شعر القرن الماضي  
عامة الى انعدام النقد الادبي الصحيح .



## الفصل الخامس

### في اللغة

ويتناول ابحاث اللغوية المنتشرة في الكتب والصحف

ابحاث الشدياق اللغوية متفرقة في كتبه المختلفة وفي مقالاته في الجوائب .  
 فقد كان من عادته ان يستطرد في بعض المواضيع الى البحث اللغوي عندما يجد  
 الجوهرية لذلك . وقد ضاع له كتب في اللغة والبلاغة منها "التفنيح في علم  
 البديع"<sup>(١)</sup> و"منتهى العجب في خصائص لغة العرب" وعن هذا يقول مسعد :  
 "وقد قضى في تأليفه امواجا فجا" سفرا نفيسا طويلا بلغ عدة مجلدات بحث  
 فيه خصائص الحروف الهجائية عند العرب ونسج في وضعه واسلوبه على منوال لم  
 يسبقه اليه احد من ائمة اللغة . ولكن هذا الكتاب احترق مع ما احترق من مخطوطاته<sup>(٢)</sup>  
 وقد اثبت الشدياق فصلا من هذا الكتاب في الجزء الاول من "كنز الرغائب"<sup>(٣)</sup> تحدث  
 فيه عن اقسام اللغة واورد فيه بعض ما لاحظه من تشابه وتناظر بين لغتنا ولغات  
 الاخرى في اساليب الوضع والتعبير.<sup>(٤)</sup>

وستتناول فيما يلي كتبه اللغوية التي عدنا عليها وهي "سر الليال في  
 القلب والابدال" و"الجاسوس على القاموس" وغنية الطالب ومنية الراغب . كما اننا  
 سنعرض الى مناظراته اللغوية وابحاثه التي جاءت تفاريق في كتبه ومقالاته .  
 وقبل ان نتقدم الى ذلك نود ان نتحفظ ونقول : ان استيعاب ما انتجه  
 الشدياق في علم اللغة في فصل من اطروحة امر مستحيل . وودنا لو خصصنا  
 الاطروحة جميعها لانتاجه هذا . ولذا فاننا سنلزم جانب الايجاز واملين ان نسهب  
 ما اوجزناه في المستقبل القريب .

### ١ . سر الليال في القلب والابدال :

ان مقدرة الشدياق اللغوية تظهر ناصعة جلية في هذا الكتاب الذي ضمنه  
 معظم آرائه ونظرياته في اللغة . وقد كان هذا الكتاب نتيجة مباشرة لحب الشدياق  
 لهذه اللغة ولولوعه بالبحث عن اسرار الفاظها ومعانيها<sup>(٥)</sup> وقد وضعه في  
 جزئين طبع اولهما واما الثاني فانه وقع في احدى المكاتب الخاصة في مصر<sup>(٦)</sup> وسنعرض

(١) فارس الشدياق مسعد ص ٤٥ (٢) نفس المصدر ص ٤٦ (٣) كنز الرغائب الجزء الاول ص ١٧٩ (٤) راجع ايضا دائرة  
 المعارف لبستاني ص ٤٤٠ و"الآداب العربية في القرن التاسع عشر" لشيخو ص ٢٤ ص ٨٠ و"تراجم مشاهير الشرق" ص ٢٤  
 ص ٨٣ (٥) سر الليال ص ٢ (٦) اخبرنا البعث يوسف توما السباني صاحب مكتبة العرب في القاهرة ان هذا الجزء  
 عرض عليه مخطوطاً في القاهرة .

لك الان ما جاء في هذا الكتاب بايجاز .

بدأ الشدياق هذا الكتاب بمقدمة طويلة عرض فيها الاسباب التي دفعته الى وضع هذا السفر الجليل . ثم صبر عن حبه للغة العربية ، وبيّن انها تمتاز على كل اللغات بنعمتي الاشتقاق والسجع . وفي ذلك يقول :

" وللعربية مزايا اخرى فاقت بها غيرها فضلا وقدرا وشانا وفخرا . منها السجع وما ادراك ما السجع ، كلم متناسقة يعلقها الطبع ويعشقها السمع فتنتبج في الذكر اى طبع . ولا سيما اذا زينت بشي من محسنات البديع كالتجنيس والترصيع او كان حرف رويها منصوبا فاني ارى النصب في التسجيع ابداع اسلوبا . فتلك هي المعجزة التي لا يمكن لاحد ان يتحداها او يقارب حد ذراها وهي الراح التي تسكر كل ذى ذوق سليم من دون تأثيم . فمن اين لسائر اللغات مثل ما للغة العرب ، وايها يجاريها في صلابة الادب وقد فاتها هذا الاسلوب الاشراف والنوع الالطف " .<sup>(١١)</sup>

وقد حاول في هذا الكتاب ان يجمع الكلمات المقلوبة والمبدلة . ولاحظ ان القلب والابدال ليسا مطردين في كل الحروف ، كما انه لاحظ ان بعض الالفاظ لا يقلب الا على وجه واحد او على وجهين نحو سيد ودبس فلا تقلب سدب ولا بدس<sup>(١٢)</sup> . كما انه لاحظ ان اكثر ما يكون القلب والابدال في الالفاظ الدالة على القطع والكسر والخرق والهدم والشق والفرق والتبديد لما انها كلها من جنس واحد وحلها مأخوذ من حكاية صوت نحو قف وقط وقضى وقط وجد وحت وجد وجز وان وهذ وقد وقص وخذ وسواها<sup>(١٣)</sup> .

ويتوسع الشدياق في الحديث عن فعل القطع وما قاربه في المعنى من الافعال العربية فيقول ان هذا الفعل يتداعى الى معاني كثيرة كالجمع والاصلاح والافساد والخير والشر والكرة والدفع والملء والكف والطلوع وسواها<sup>(١٤)</sup> .

ويتحدث الشدياق عن التجريد فيقول ان الامور المعنوية او العقلية مأخوذة

(١١) ص ٢ (سر اللبالب) (٢١) ص ٥ (٢) ص ٥ أيضا (٤) راجع ص ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ فقيل المزيد من المشتلة والتفصيل .

من الاشياء الحسية . وتقدير ذلك ان العقل مأخوذ من عقلت البعير والحكمة من  
حكمة اللجام وغير ذلك<sup>(١)</sup> .

ولا ينسى الشدياق في هذا المقام ان يتعرض لاختلاف مصنفى المعاجم وخاصة  
الفيروزابادى صاحب القاموس ، فقد اطاق في هذه المقدمة ما قاله في الجاسوس موجزاً  
كما انه ينتقد مصنفى المعاجم على سوء ترتيب حروفها ان انهم يفصلون بين الحروف  
الحلقية والمهموسة وغيرها<sup>(٢)</sup> .

ويتحدث الشدياق في هذه المقدمة عن التضاد في اللغة ويعزوه الى ما يلي<sup>(٣)</sup> :  
١ . جبر المعنى المنفور منه . ويكون المنفور منه هو الاصل نحو قولنا الاعس  
للبصير .

٢ . اختلاف الراى والنظر في موصوف ما ، فان بعض الواصفين له يرونه مما  
يعدح وبعضهم يرونه مما يذم . والذين تكلموا بالعربية كانوا قبائل شتى فلا يحتمل  
انهم جميعاً نظروا الى الاشياء بنظر واحد ورأى واحد .

٣ . كون صيغة الفعل من اصله تحتمله كما في باع الشيء بمعنى باعه وبمعنى  
اشتراه فان اصله من مد اليد .

٤ . المشاكلة كما في خبطة فانه بمعنى سأل المعروف من غير آصرة وبمعنى  
انعم عليه من غير معرفة بينهما .

هذه هي الاسباب التي قدمها الشدياق للتضاد في اللغة ، ولكن هنالك اسباباً  
اخرى نود ان نضيفها الى ذلك ومنها :

- ١ . يكون التضاد نتيجة سوء فهم بسبب خطأ الرواية الشفوية او خطأ النقل .
- ٢ . انتقال كلمة من لغة الى لغة او من لهجة الى اخرى ومغلوطة . وفي اكثر  
الاحيان تكون معكوسة المعنى . كالكلمات السبئية التي انتقلت الى لغة الشمال .  
مثل ذلك كلمة مقتوى فقد كان معناها الطك عند عرب الجنوب ولكن عرب الشمال

الذين كانوا يحتقرون الجنوبيين اعطوها معنى مفادا فاصبحت تعني الخادم .

والاضداد . هي محاولات متأخرة من جامعي اللغة والفردات لتعليل روايتين مختلفتين في الكلمة دون تحقيق . ولكن منطقيا لا يمكن ان يكون لكلمة معنيان مختلفان متعاكسان في نفس اللغة او اللهجة . وعلينا ان ندرس الاضداد دراسة تقابلية مثل وثب العربية فانها في جميع اللغات السامية تدل على الجلوس حتى في العربية الشمالية التي هي ضد فيها . فنحن لو اردنا ان ندرسها دراسة علمية تقابلية . لقلنا ان وثب ليس ضدا وانما معناها جلس ولكن قبيلة واحدة قالت انها قفز فاكسبت معنى الضد (١٠)

اما هم الشدياق في هذا الكتاب فهو ان يرتد كل فرع الى اصله وان ينسق معاني العادة نسقا يبين مأخذها وعلاقاتها ومناسباتها وفي ذلك من العناء والجهد ما لا يخفى (١١) وقد بناء على ثلاثة مقاصد هي :

اولا : سرد الافعال والاسماء التي هي اكثر تداولها واشهر استعمالا ونسقا بالنظر الى التلقظ بها لايضاح تناسبها وابداء تجانسها وكشف اسرار معانيها واصل مدلولاتها .

ثانيا : ايراد الالفاظ المقلوبة والمبدلة ويندرج في ذلك الالفاظ المترادفة .

ثالثا : استدراك ما فات صاحب القاموس من لفظ او مثل او ايضاح عبارة او نسق مادة (١٢)

وقد اتخذ الفعل المضعف اساسا لهذا الترتيب . فكان يبدأ بالمضعف ثم يزيد الحروف الهجائية عليه مثل آب وابت وابتج وابتج . الخ . اما اسباب ذلك فهي :

١ . انه رأى ان معظم اللغة مأخوذ من حكاية صوت او حكاية صفة وان حكاية

الصوت انما تأتي من المضاف نحو دب ودق ودق وهز وسف وسواها . فاذا

ارادوا الزيادة في المعنى ضايفوا الحروف فقالوا دبذب ودغذب ودغذب . الخ (١٣)

(١١) اعتمدنا في ذلك على محاضرات الدكتور ابي زريمة في درس اللغات السامية (٢) سراييل ص ١٢ ص (٢) ص ٦

٠ ٢ ان اللغة كغيرها من الصنائع والموضوعات البشرية لا يحدث شيء منها  
تماما كاملا من اول وهلة ولكن على التدرج ، فالأحرى ان نقول ان الفعل  
السالم جاء آخر الافعال اما الاجوف فانه غالبا يأتي على عقب المضاعف كطَبَّ وطاب  
وضر وضار وصرّ وصار . واما الناقص فانه صدى غيره من الافعال وكانه نوع من  
القطعة لفة لبعض العرب نحو همز وهمى ورجب ورجا اى خاف ومحق ومحا وشجب  
وشجا اى احزن . . . . الخ (١)

٠ ٣ انه رأى حكم ترتيب المزيد على المضاعف لا يكاد يختلف فقلما ترى في  
المضاعف معنى الا ورأيت في مزيده مثله او ما يقاربه . مثل سَلَّ وسلب وكَفَّ وكفت  
ولَبَّ ولبت وسواها (٢)

٠ ٤ ان زيادة حرف على المضاعف اليق بحكمة الواضع في التفتن من نقصه . اذ  
لو جعلت السالم اصلا لزم منه العدول عن الكمال الى النقصان . والاختصار في  
الافعال ليس من مذهب العرب كما يدل على ذلك الافعال المزيدة . ودليل اخر  
وهو انهم يشبهون الفتحة في آخر الفعل فيتولد منها الف كما في دحب ودجى  
وسلق وسلقى . ثم سكنوا العين الحاقا له بالرباعي (٣)

٠ ٥ انا نجد افعالا مجهولة الاصل واصلها من المضاعف معلوم وذلك نحو  
امتخر العظم اى استخرج مخه فهو ولا يد ان يكون من امتخ اذ لم يجي\* الخمر  
بمعنى الخ وقس عليه (٤)

\* اما حكاية الصنعة فهي نظم حروف يتوهم الناظم منها انها تدل على صنعة  
شي\* باعتبار ما في تلك الحروف من اللين والترخيم او الشدة والتفخيم كقولهم مثلا  
شي\* منمن اى مزخرف فهو نحو توهم الفرنسيين لفظة مينيم للشي\* القليل الوجيز .\*

هذا هو اهم ما جاء في هذه المقدمة واليك امثلة من تنسيقه للالفاظ على اساس  
القلب والابدال .

(١) ص ٢٥ (٢) ص ٢٥ أيضا (٣) ص ٢٦ (٤) ص ٢٦ أيضا (٥) Minime ١٦ ص ٢١

” ثم جانس اب حب ”

في هذه المادة ربك شاق وتخليط لا يطاق فينبغي ان اظنب فيما يكن  
منها تلخيصه او اوجز فيما يعز عويصه فاول ذلك احب البعير اذا ترك فلم يثر او  
اصابه مرض او كسر فلا يبرح مكانه حتى يبرأ او يموت ويقال ايضا للبعير الحسير محب  
واحب فلان برأ من مرضه والزرع صار ذا حب واحب فلانا وده ومثله حبه يحبه  
بالكسر والقياس يحبه بالضم والمصنف ذكر احب البعير بعد احبه بمعنى وده باربعة  
عشر سطرا وحب الحنطة وغيرها وحاصل معناها قطعة وهذا المعني ورد من  
خب وهب فقيل ثوب اخباب وخبب وخاب واهباب وهيب وهباب وعندى ان اول  
المعاني حبه واحبه ولك فيه اوجه (احدها) ان ترجع به الى معنى اب اى اشتاق  
(والثاني) ان يكون من حبة القلب فعنى حبه اصاب حبة قلبه وهو على حد قولهم  
شغفة حبا اى اصاب شغافه وهو غلاف القلب او حبته وقالوا ايضا شعفني حبه وشعفت  
به وبجبه وشعفت به حبا بالعين المهطلة من شعفة القلب وهي راسه عند معلق  
النياط وقالوا خلب نساء للرجل الذى تحبه النساء واصله من الخلب وهو الحجاب  
الذى بين القلب وسواد البطن هذه عبارة الصحاح وعبارة المصنف وخب نساء يجهن  
للحديث والفجور وليس الفرق بين العبارتين مدحها لدعواى ومعنى احبه الرباعي  
جعله في حبة قلبه على حد قولك اوعى المتاع اذا جعله في الوعاء واحرزه اذا  
جعله في الحرز واضر الشى اذا جعله في ضميره واكنه اذا جعله في الكن واسره  
اذا جعله في السر فاما اسره بمعنى اظهره فلههزة فيه للقلب فاما احب البعير  
والرجل فمعناه انه عرض له ما القى في قلب الناظر اليه المحبة (والثالث) ان يكون  
من معنى حباب الماء اى معظمه وقد مر الاباب بالفتح والضم بمعناه ومثله العباب  
والعبام فان الماء احب شى الى العرب (والرابع) من حبة الحنطة ونحوها ثم قبل  
من معنى احبه حابة اى واده وتحابوا اى توادوا وتحبب اليه تودد واستحبه اى  
استحسنه وعليه اثره والحباب والحب بضمهما والمحبة والحب بالكسر واحد وكذا

الحبة بالضم يقال نعم وكرامة كما في الصحاح والحب بالكسر ايضا الحبيب  
مثل خدن وخذين وقد نسر المصنف الحبيب بالحب وعندى انه من باب الخليل  
والصديق يكون للفاعل والمفعول وتقول ما كنت حبيبا ولقد حبيت اى صرت حبيبا  
الاصمعي قولهم حبّ بفلان معناه ما احبه اليّ وقال الفراء معناه حبب بفلان ومنه  
قولهم حبذا زيد فحبذا فعل ماخر لا يتصرف واصله حبب وذا فاعله جعلنا شيئا واحدا  
ولا يجوز ان يكون بدلا من ذا لانك تقول حبذا امرأة وحب الى هذا الشيء  
وحبيه اليّ جعلني احبه وحبابك كذا اى غاية محبتك او مبلغ جهدك .<sup>(١١)</sup>

واليك مثلا اخر :

\* ثم مقلوب غب بع \*

\* بع الدم هاج وهي حكاية فعل غير منقطع عن معنى بع السحاب اى الح  
والبع بالضم الجمل الصغير وهي بها وقد تقدم البعة للتفصيل ومن معنى هذا  
الصفر قبل عدا طلقا بغيضا اذا كان لا يبعد فيه وقرب مبغيب قريب والمبغيب كتنفذ  
البئر القريبة الرشاء والمبغيب لمصغره وتيس الظباء والسمين وهذه الاخيرة حكاية  
صفة والمبغبة ضرب من الهدير والغطيط في النوم والدوس والوطء وجاءت المغمضة  
عدم ابانة الكلام والمغمضة الكلام الذى لا يبين ومثله الجمجمة والمجمجة والمبغيب  
المخلط والسريع العجل . ثم تبوغ الدم به هاج وغلان غلب ومن الغريب انه لم  
يات باغ بمعناه واغرب منه ان الجوهرى رحمه الله بعد ان روى حديث طيكم  
بالحجامة لا يتبيح الدم باحدكم فيقتله قال ويقال اصله يتبغى من البغى فقلب مثل  
جذب وجبذاه وسياتي ان جذب غير مقلوب من جذب والبوغاء من الطيب رائحته  
وهو من معنى الهيج ومثله فغة الطيب وفوغته وفوغته وتطلق ايضا على التربة  
الرخوة كانها ذريرة وعلى طائفة الناس وحقاقم وعلى الاختلاط ولم يذكر طائفة  
في موضعها ومعنى الاختلاط تقدم وانك لعالم لا تباغ ولا تباغان ولا تباغون اى



لا يقرن بك ما يخلبك وحاصله ان باغ بمعنى تبوغ ثم البيع ثوران الدم و باغ يبيع  
هلك وكان حقه ان يقول باغ الدم ثار والرجل هلك ولك هنا ان تقول ان معنى  
هلك من هاج الدم او ان الغين هنا مقلوبة من الراء لانه يقال بار الرجل هلك  
ومثله باد وفاز وفامر وفاظ ومن الغريب انى وجدت الغين منقلبة عن الراء في  
عذة الفاظ منها تسفيل الثوب وتسربله والغاية والراية وهي عكس لشفة اهل باريس  
فانهم يقلبون الراء غينا وتبيع الدم هاج وغلب واللبن كثر وعليه الامر اختلط وبيغت  
به بالتشديد انقطعت به وفي المصباح الباغ الكرم لفظة اعجمية استعملها الناس بالالف  
واللام ثم البغت والبغثة والبغثة محركة الفجأة بغته كمنعه فجنه والمباغثة المفاجأة  
فلم ينقطع بالكلية عن بيع الدم . ثم البغيث الحنطة والطعام يغث بالشعير ومعنى الخلط  
تقدم في غبت ومثله بغث والبغثاء اخلاط الناس والرقطاء من الغتم وفعله كقرح والاسم  
البغثة ومن هذا المعنى البغات مثلثة لطائر اغبرج كغزلان ويطلق ايضا على شرار  
الطير والبغات بارضنا يستنسر اى من جاورنا عز بنا والابغت الاسد وعجارة المصباح  
وبعضهم يقول البغائة تقع على الذكر والانثى كالحمامة والنعامة والجمع البغات كالحمام  
وبعضهم يقول البغات واحد ويجمع على بغتان مثل غزال وغزلان اه وعليه ففتح  
البا هو الاصح خلافا لما ذكره المصنف ثم التبغيع اشد من التبغيع وهو دليل على  
ان الباء من حروف الزيادة . ثم بغداد وبغداد وبغدان وبغدين وبغدان مدينة  
السلام وتبغدد انتسب اليها او تشبه باهلها بناها المنصور ثاني الخلفاء العباسيين  
لما تولى الخلافة بعد اخيه السفاح وكانت ولاية المنصور في ذى الحجة سنة ست  
وثلاثين ومائة وتوفي في الشهر المذكور سنة ثمان وخمسين ومائة . ثم البغر محركة  
الماء الخبيث وكانه ملحوظ فيه معنى الخلط ومنه بغر البعير كقرح ومنع بغرا فهو  
بغر وبغير شرب ولم يرو فاحذه دا . من الشرب ج بغارى ويضم وبغر النجم بغورا  
سقط وهاج بالمطر فلم ينقطع عن معنى بيع والبغر ويحرك الدفعة الشديدة من المطر  
بغرت السماء كمنع وبغرت الارض وبغرناها سقينانا وهو متسبب عن بغور النجم  
والبغرة يزرع بعد المطر فيبقى فيه الثرى حتى يحقل وله بغرة من العطاء لا

تغيض اي داء العطاء فهذا المعنى يرجع الى البغر وهو الدفعة الشديدة وتفرقوا  
شغر بغير اي في كل وجه وكان الوجه بالنظر الى ترتيب الحروف ان يقال بغير  
شغر . ثم البغثرة خبت النفس والهيج والاختلاط والتفريق وبغثره بعثره ونفسه  
خبثت وغثت كتبغثرت والبغثر الاحمق الضعيف الثقيل الوخم والرجل الوسخ والجمل  
الضخم ثم بغزها باغزها اي حركها محركها من النشاط فجاء فيه معنى الهيج والبغز  
الضرب بالرجل وبالعصا والباغز النشاط والحدة والرجل الفاحش والمقيم على الفجور  
والمقدم عليه وكله من مورد واحد وهو الهيج والباغزية ثياب من الخزاو الحرير .  
ثم البغس السواد يعانية وللسواد عدة معان والظاهر ان المراد بها اللون فيكون  
قريبا من الغبس . ثم البغشة المطرة الضعيفة وقد بغشت السماء كمنع ومطر باغش  
وجاء من باب الغين بغشت الارض بمعنى بغشت وابغش الله الارض وابشغها بمعنى  
والصبي يبغش وذلك اذا اجهش وهو يريد البكا . ومعنى اجهش هنا فزع اليك وهو  
من معنى الحركة والهيج ويقال لما يدخل في الكوة من الهباء يبغش ايضا . ثم  
البغض ضد الحب وعندى انه لم ينفك عن معنى الهيج .<sup>(١)</sup>

#### اسلوبه :

حاول الشدياق في هذا المؤلف ان يربط مشتقات الكلمة الواحدة بمعاني  
اساسية ترجع المعاني الفرعية اليها . كما ظهر في باب حب الذي اقتبسنا بعضا  
منه . فكان يأتي بالكلمة ثم بعقلوبها ثم بمعانيسها وهكذا يأتي بعقلوب ومجانس  
الكلمات الجديدة المتفرعة عن الكلمة الاولى الى ان يستوفي البحث . وهو يحاول ان  
يربط الافعال العربية بروابط معنوية . ترجع اكثرها الى فعل القضع او الى ما  
يدل على حكاية صوت او صنعة . واليك مثلا من عناوين البحوث لتتعرف على اسلوبه  
في الترتيب :



ثم يأتي بامثلة مختلفة منه عن الجمهرة لابن دريد وعن ابي عبيدة والاصمعي وابن الاعرابي وابي عبيد والزجاجي في شرح ادب الكاتب والنحاس في شرح المعلمات وسواهم . ويقول ابن فارس عن الابدال :

"ومن سنن العرب ابدال الحروف واقامة بعضها مقام بعضه . ويقولون مدحه ومدعه وقرس رقل ورفن وهو كثير مشهور قد الف فيه العلماء" (١٦)

وجاء في الزهر في النوع الثاني والثلاثين في الجزء الاول عن الابدال

ما يلي :

"ومع الف في هذا النوع ابن السكيت و ابو الطيب اللغوي . قال ابو الطيب :

ليس المراد بالابدال ان العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وانما هي لغات مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفا الا في حرف واحد . قال والدليل على ذلك ان قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة ولا بالصاد مرة وبالسين اخرى . وكذلك ابدال لام التعريف ميمًا والهزمة المصدرة عينا كقولهم في نحو ان عن ، لا تشترك العرب في شي من ذلك انما يقول هذا قوم وذاك اخرون" (١٧)

ويأتي بعد ذلك بامثلة من الابدال كابدال الهزمة ها ، وابدال الهزمة عينا

وابدال الهزمة واوا وابدال الهزمة ياء وابدال الباء ميمًا وابدال التاء دالا

وابدال التاء سينًا وغير ذلك .

فالقلب والابدال اذن موجودان في كتب اللغة القديمة وقد ألف فيهما العلماء . اما عمل الشدياق في هذا السبيل ، فهو التوسع في التمثيل وتحليل الامثلة وترتيبها بشكل معجمي مرتب . وهذا مجهود ضخم يدل على اطلاع واسع على دقائق اللغة . وتحقق بعيد في فهم مدلولاتها واسرارها ووجوه استعمالها قل ان نجدها ضد عالم غير الشدياق ، الذي يعد في طليعة علماء اللغة في هذه النهضة .

وقد مدح سرّ الليال بقصائد كثيرة، نجتري منها بقصيدة للشيخ يوسف الاسير

قال فيها :

يا فارس الفضل في ميدان حلبيته  
قد خضت بحر لغات العرب منتحلا  
وصنت في صدف الاوراق جملتها  
وباسم سرّ الليالي منك قد وسمت  
فهو السلاف الذي ذا العصر مفتخر  
وهو اللباب ادلو الالباب تعرفه  
وكم عجاب حوى في طيه وثوى  
فيه غنى عن سواء اذ نطالعه  
وفيه بان لنا سر اللغا وبدا  
ويشرح الصدر شرح القلب فيه وكم  
وكل فرع بفرق ضمّ فيه السى  
وانه الشهد يزهو في شواهد  
يا احمد الفضل والافضال زدت علا  
ولا تزال بشكر الخلق مغتبطا  
ودام نفعك في ذا الكون منشرا

ومحرز السبق الخاني عن الاول  
مرجانه مع جمان غير منتحل  
وزنت تفصيلها في اجمل الجمل  
تلك اللالي التي كالزهر للسبل  
على العصور به الخالي من الخلل  
وتعرف الفضل منه وهو لم يزل  
به عجاب اليه الغير لم يصل  
وليس فيما سواء عنه من بدل  
لغو السوى وازيل الشك عن عطل  
يهدى بايداله للقلب من جذل  
مبدا اشتقاق وعنه الكتب في عطل  
وانه كلال طامم السزل  
ودام يزجي اليك الشكر من قبلي  
ولا يرحت جميل الخلق والعمل  
حتى تدوم كبدر فيه مكتمل<sup>(١)</sup>

٢٠ الجاسوس على القاموس :

الف الشدياق هذا الكتاب في الاستانة، واستطال فيه على الفيروزابادي صاحب القاموس باربعة وعشرين نقدا . والكتاب يقع في حوالي الستائة والسبعين صفحة ضمنها الشدياق مقدمة طويلة عن التصنيف المعجمي عند العرب، ترجم منها لكبار المصنفين كالفيروزابادي صاحب القاموس وصاحب الغاب وصاحب الصحاح وصاحب المحكم وصاحب لسان العرب . وسنعرض فيما يلي للمقدمة والانتقادات .

(١) كثر الرغائب ٤ ص ٩٢ دارجاً أيضاً ٥٤، ٦٤، ٧٠، ٧٧، ١٩، ٩٢

المقدمة :

في هذه المقدمة يذكر لنا الشدياق الدافع الذي دفعه على كتابة هذا النقد وهو حث الكتاب على تأليف كتاب في اللغة يكون سهل التأليف واضح التعاريف شاملاً للالفاظ التي استعملها الادباء والكتاب، ولا سيما في ذاك العصر الذي اصبحت فيه الكتب الاجنبية تتراحم كتبنا لان ترتيبها اسهل والوصول اليها اعجل، لانها قليلة المشتقات وليس في تعريف الفاظها اختلاف كبير . وهو يشير الى ذلك في موضع اخر بقوله :

"اني لم ينشطني للتأليف سوى الرغبة في حث اهل العربية على حب لغتهم الشريفة والرتوع في ساحتها المنيفة وحث اهل العلم على تحرير كتاب فيها خال من الاخلال، مقرب لما يطلبه الطالب منها من دون كلال . فاني رأيت جميع كتب اللغة مشوشة الترتيب كثر ذلك او قل ."<sup>(١)</sup>

وهو، اذ ينتقد صاحب القاموس، لا ينتقده حيا في النقد وولكن بقصد الانارة ووضع الاشياء في مواضعها حرصا على اللغة العربية التي كرس نفسه لخدمتها ، والشدياق يحذّر عن الخطأ والتعبير الذي ورد في كتب اللغة القديمة بما يلي :

١ . ان المؤلفين القدماء كانوا يصنفون الكتب على حسب افهامهم واذهانهم ، وافهام اهل عصرهم فاختصروا وارجزوا واثاروا ورمزوا<sup>(٢)</sup>

٢ . ان الاخطاء محتملة الوقوع في اللغة العربية للاسباب الاتية :

١ . عدم ضبط الكلمات مما يفتح الطريق امام التصنيف . وقد وقع في هذا الخطأ اكثر المصنفين الا ان صاحب القاموس تنبه له فضبط كلامه بالوصف ولم يكتب بضبط القلم .<sup>(٣)</sup>

ب . عدم استعمال التنقيط ولذلك كثر الاختلاف في الروايات والقراءات<sup>(٤)</sup>

ج . ان حروف الهجاء في العربية متقاربة في الشكل كتقاربها في النطق فلا فروان تلتبس على قارئها . وهذا الخلاف في القراءة ظهر في القرآن والحديث واقوال الفقهاء والكتاب .<sup>(٥)</sup>

(١) الجا سوس ص ٥ ( المقدمة ) (٢) ص ٢ (٣) ص ٢ (٤) ص ٢ (٥) ص ٢ - ٥

ثم يتقدم الشدياق الى ذكر حبوب القواميس العربية عامة ، فنذكر منها :

١ . "خلط الافعال الثلاثة بالافعال الرباعية والخماسية والسداسية وخلط

مشتقاتها . فربما رأيت فيها الفعل الخماسي والسداسي قبل الثلاثي والرباعي او رأيت احد معاني الفعل في اول المادة وباقي معانيه في اخرها . . . . . بيان ذلك اذا اردت ان تبحث في القاموس مثلا عن اعرض عنه لزمك ان تقرأ كل ما ورد في مادة عرض من اولها الى اخرها فيعرض او لا عرض واعترض وعارض واستعرض او العكس ثم اسما "فها" ومحدثين وحيوانات وجبال وانهار وحصون قبل ان تصل الى اعرض وربما لم يكن ذكره مستوفى في موضع واحد فتري في موضع اعرضه وفي موضع اخر اعرضه وهلم جرا .<sup>(١)</sup> هذا في حين كان يلزمهم ان يرتبوا الافعال على ترتيب الصرفين فيذكر الثلاثي ومشتقاته في اول المادة ثم يأتي بالفعل الرباعي والخماسي والسداسي وهكذا . ولا بأس ايضا بان يوضع حبال المواد الغزيرة رقم بالهندي على الحاشية فيوضع رقم (٣) بجانب الفعل الثلاثي و (٤) بجانب

الرباعي وهكذا . ولقد سار اللاحق منهم على نسق السابق فلم يتنبهوا لهذا الخلل .<sup>(٢)</sup>

٢ . تقديم المجاز على الحقيقة او العدول عن تفسير الالفاظ بحسب اصل وضعها .<sup>(٣)</sup>

٣ . تعريفهم لفظة بلفظة اخرى من دون ذكر الفرق بينهما بالنظر الى تعديتهما بحرف الجر .<sup>(٤)</sup>

٤ . ايهامهم في المصادر فانهم يوردون المصدر من دون فعل فيوهمون انه

اسم جامد . ثم يذكرون الفعل من دون مصدره فيوهمون ان مصدره المصدر الاول مع انه غيره في المعنى .<sup>(٥)</sup>

٥ . كثيرا ما يذكرون فاعل من دون مصدره وهو المفاعلة واسم مصدره وهو الفاعل من دون تنبيه على مجي اسم وعدم مجيئه .<sup>(٦)</sup>

٦ . ايرادهم الفعل الرباعي من دون الثلاثي فيوهمون ان الثلاثي غير وارد .<sup>(٧)</sup>

٧ . انهم يفسرون اللفظ بلازم معناه ومفهومه ضمنا .<sup>(٨)</sup>

٨ . انهم يوردون في التحريف الفاظا لا يذكرونها في نطانها مع توقف المعنى

عليها .<sup>(٩)</sup>

(١) ص ٢٠ (٢) ص ١٠ - ١١ (٣) راجع الأضلة ص ١٢ (٤) الأضلة ص ١٢ (٥) الأضلة ص ١٢ (٦)

(٧) (٨) ص ١٢ (٩) ص ١٤

- ١٠ . انهم يبدأون المادة باسم الفاعل او المفعول او الصفة المشبهة او اسم المكان والالة عوضا عن الابتداء بالفعل او المصدر<sup>(١)</sup>.
- ١٠ . عدم ضبطهم ما يتعدى من الافعال بنفسه او بالحرف، وعدم ذكر ادوات تعديتها وتعلقها بما اشتق منها<sup>(٢)</sup>.
- ١١ . تخطيهم في ايراد الاسماء المعرّبة كاستبرق التي اوردوها في برك وارجوان في رجو والفيلسوف في سوف . وحققا ان كانت معرّبة دخيلة ان تعتبر حروفها جميعا اصلية، وبالتالي ترتب حسب حروفها دون تجريدتها من زوائدها<sup>(٣)</sup>.
- ١٢ . اختلافهم في ضبط الهجزة والنون<sup>(٤)</sup>.
- ١٣ . اختلافهم على وضع الفعل الثلاثي والرباعي في اوائل المواد<sup>(٥)</sup>.
- ١٤ . اختلافهم في عد حروف الهجاء وترتيبها<sup>(٦)</sup>.
- ١٥ . اختلافهم في قلب الالفاظ نحو ريش ورضب وانضب القوس وانبضا<sup>(٧)</sup>.
- ١٦ . ومن جملة الاخلاف ايضا الاشتقاق وهو ادعى لشحد الذهن واصال الفكر واظهار البراعة<sup>(٨)</sup>.

ويتوسع في الحديث عن هذا الخلاف فيقول انه قد يكون احيانا مفيدا كاشفا عن حقيقة وضع الالفاظ و احيانا ساترا له ، فيبعدون منه القريب ويرغبون منه البسيط . وهذا الخلاف يعود في الاكثر الى ما يلي :

- ١ . حدة اذهانهم التي تفتح لهم ابوابا كثيرة لفهم المعنى .
- ٢ . الضائفة والمباراة فيما بينهم ، فكل منهم يحاول اظهار براعته على قرنه ولو بالخروج عن جادة القصد ، اذ كان لكل منهم حزب يعضده ويؤيد قوله وهي عادة البشر من قديم الزمان .
- ٣ . ان اكثر ما احتج به لاثبات الالفاظ اللغوية انما هو اشعار العرب فكان الشاعر ينظم مثلا قصيدة ويأتي فيها بالفاظ يعرفها هو وقومه ومن كان يعرف حاله ويجهلها غيرهم . فجاؤ من بعدهم ممن نقلوا عنهم وتأولوا كلامهم كتأويل الملاحن

(١١) ص ١٤ (٢) بين ص ١٤ - ٢٧ (٣) ص ٢٧ وما بعدها (٤) ص ٢٢ (٥) ص ٢٨ (٦) ص ٢٩ (٧) ص ٤٠ - ٤١ (٨) ص ٤٢ (٩) ص ٤٥ وما بعدها .



والالغاز وربما اعظموا ما لم يفهموه من كلامهم بناءً على ان الاعرابي اذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبقه احد اليه .

٤ . عدم اعجام الحروف حين كانت الكتابة العربية غير متقنة ولا محكمة .<sup>(١١)</sup>

وما وقع من خلاف في الفاظ اللغة وقع مثله بل اشد منه بين النحويين . فان

هؤلاء يتداولون المعاني والالفاظ معا . ومن ذلك اختلافهم في اعراب الاسماء

الخمسة فقد اوردوه على عشرة مذاهب . واكثر كما ان هم في الضمائر اختلافات عديدة .<sup>(١٢)</sup>

ثم يمضي الشدياق مبينا فضول اصحاب المعاجم والمميزات التي تميز آثارهم .

فابن سيده في المحكم اهتم بالمناقشات النحوية ، والازهرى في التهذيب اهتم بتفسير

الايات القرآنية فغاته كثير من الالفاظ اللغوية ، والجوهري في الصحاح اهتم بالشواهد

على الالفاظ ، والصفاني في العباب كان كلفا بالحكايات والقصص ، والفيومي في المصباح

كان كلفا بالمسائل الفقهية وابن منظور في اللسان جمع جميع خصائص غيره ، والفيروز ابادي

في القاموس كان يظفر الى ما لا يعنيه من الاشتقاق والتهافت على الالفاظ التي

اختلف فيها المفسرون وجعلها من كلام العرب ، واهمال الحقيقة وذكر المجاز الذي

لم تعرفه العرب .

ثم يأتي ببعض ملاحظات لغوية تتعلق بترتيب المعاجم العربية وينصح باتباع<sup>(١٣)</sup>

التحرف الاول في الترتيب كما فعل صاحب الصحاح لاننا اذا اتبعنا اواخر الحروف

في الترتيب اضطررنا الى اعادة كثير من الالفاظ التي ترد في المهموز والمغفل

كبراً وبراً واختناً واختناً واختفاً واحتفاً وجساً وجساً وسواها .<sup>(١٤)</sup>

ثم يتحدث عن تاريخ التأليف المعجمي عند علماء العربية فيتحدث عن الخليل

صاحب العين<sup>(١٥)</sup> والازهرى صاحب التهذيب<sup>(١٦)</sup> وابن سيده صاحب المحكم<sup>(١٧)</sup> والجوهري

صاحب الصحاح<sup>(١٨)</sup> والصفاني صاحب العباب<sup>(١٩)</sup> وابن منظور صاحب لسان العرب<sup>(٢٠)</sup> الى ان

يقوده الحديث الى صاحب القاموس ، فيبين اسباب شهرته ويقول :

(١١) تجد هذه الاسباب في ص ٤٦ (١٢) ص ٤٧ (١٣) ص ٢٤ - ٢٦ رسالها (١٤) ص ٢٧ (١٥) ص ٢٢

(١٦) ص ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٨ رسالها (١٧) ص ٧٧ رسالها (١٨) ص ٧٦ رسالها (١٩) ص ٧٨ رسالها (٢٠) ص ٧٩ رسالها

" هذا واني اعلم ان للقاموس صيتا بعيدا شغل خواطر الكتاب ومهابة وقعت في قلوب الطلاب، اذ لم يعهد تأليف كتاب بعد في اللغة، فغلب على ظنهم انه ليس من كتاب اخر بلغ من الكمال والاتقان ما بلغه ولا سيما ان مصنفه رحمه الله طنطن خطبته ودندن. وقال انه فاق كل مؤلف في هذا الفن وانه انتقاء من الف في كتاب فترفع قدرا على الصحاح والمحكم والعياب الى غير ذلك من الاطناب. وهو اخر شي بطلية علم اللغة، لانه اذا رأى احدهم كلمة في بعض الدواوين مثلا ولم يجدها في القاموس وهو معتقد انه بحر محيط، انكرها ورمى قائلها بالتفريط وزد على ذلك انه اى المصنف الف في علوم الدين كتبا كثيرة فشهرت فيها انزلته في علم اللغة منزلة خطيرة، وقد طوّف في الاقطار والامصار واكثر من الاسفار وحظي عند الملوك والسلطين واقام عندهم في عز وتمكين. فما احب احد ممن الف في اللغة كان على هذه الصفة، وصادف من الحظ والسعادة ما صادفه. ورب شهرة تغنى عن منقبة، وتصرف عن صاحبها المثلية. (١)

ثم يتقدم الى الذين انتقدوا القاموس، ويعترف بفضلهم عليه الا انه يصفهم جميعا بانهم لم يفضلوا نقدهم في ابواب وانما ذكروه بالاجمال في تضاعيف كلامهم عند شرحهم مشكلاته. (٢)

ويعد من الذين نقدوا القاموس عبد الرؤوف الضادى وشهاب الدين الخفاجي والملا علي بن سلطان الملقب بالقارى والسيد علي خان صاحب طراز اللغة وبهاء الدين العاملي صاحب الكشكول وابا زيد عبد الرحمن مؤلف الوشاح وبدر الدين القراني ومحمد بن الطيب الفاسي، والامام محمد المرتضى شارح القاموس والشيخ محمد سعد الله الهندي وله "القول المأنوس في صفات القاموس". (٣)

ويقدم لنا الشدياق ترجمة حياة المصنف ملتزما بالتفصيل، طارضا لبعض اخطائه في قاموسه، ومنها اهتمامه بوصف الادوية والعقاقير ويذكر اسما المحدثين والفقهاء.

(١) ص ٥٢ (٢) ص ٥٤ (٣) ص ٦٥ - ٧٠ (٤) ص ٧١ وما بعد لها.

واهتمامه بالاشتقاق والالفاظ التي اختلف فيها المفسرون ، واهتمامه بذكر المجاز في حين انه يجعل الحقيقة . ويحلل الشدياق هذا الخلل الذي نلصقه في مصنفه بانه كان منهمكا في تأليف كتب اخرى عدا القاموس .<sup>(١)</sup>

هذا عرض سريع للمقدمة وقد رأينا ما فيها من الفوائد اللغوية المتنوعة .  
الا ان هذه الفوائد مشورة ومفرقة بشكل يصعب معه على الباحث ان يلتقطها .  
اما المآخذ التي اخذها الشدياق على صاحب القاموس فقد بلغت اربعة وعشرين مأخذاً نستعرضها فيما يلي :

### النقد الاول : (٢)

في هذا النقد تناول الشدياق مقدمة القاموس وحاول ان يحللها تحليلاً لغوياً نقدياً . وقد تناول معظمها وعرضه على معاجم اللغة ، مبيناً ما فيه من اخطاء لغوية ومعنوية . وكثيراً ما يتوسع في نقده فيتناول الشارح والمحني بالنقد . وهو لا يتقصى الشيئات فحسب بل يحاول في احيان كثيرة ، ان يظهر الحسنات ايضاً . وما اخذه عليه في هذه المقدمة :

- ١ . تفصيله في بعض المواد وذكر اشياء في المقدمة لم يأت بها في مظانها .<sup>(٣)</sup>
- ٢ . ذكره قواعد استعمال بعض الكلمات دون ان يطبقها .<sup>(٤)</sup>
- ٣ . كثرة التخليط <sup>(٥)</sup>
- ٤ . المبالغة <sup>(٦)</sup>

### النقد الثاني : (٧)

في ايهام عبارة القاموس ومجازفتها وفيه القلب والابدال وفيه يأخذ عليه ما يلي :  
١ . انه يورد الالفاظ ايراداً مطلقاً من دون ان ينبه اليها او يغزوها الى احد الا ما ندر .<sup>(٨)</sup>

(١) ص ٧٢ (٢) ص ٩٠ (٣) ص ٩٢ ، ٩٤ (٤) ص ١٢٤ (٥) ص ١٢٤ (٦) ص ١٢٤ ، ١٢٤ ، ١٢٤ ، ١٢٤

(٧) ص ١٢٠ (٨) الاشارة ص ١٢٠

- ٢٠٢ . انه لا ينبه على الالفاظ التي اختصت ببعض قبائل العرب دون البعض الاخره . ولا سيما حصره ، ففي ذكر ذلك فائدة عظيمة لعلماء اللغة .<sup>(١)</sup>
- ٢٠٣ . ايراده كلمات ليست من كلام العرب دون الاشارة الى ذلك .<sup>(٢)</sup>
- ٢٠٤ . ايراده للالفاظ الفقهية ولاصطلاحات العروضيين خاصة .<sup>(٣)</sup>
- ٢٠٥ . اهماله الالفاظ اللغوية الفصيحة الواردة في التنزيل والحديث واشعار العرب ، بينما يعنى بغيرها مما ليس من كلام العرب .<sup>(٤)</sup>
- ٢٠٦ . تركه التنبيه على غير الفصح من الالفاظ من الغفول .<sup>(٥)</sup>

ثم يستطرد الى الحديث عن الابدال والقلب ، ويقسم الابدال الى نوعين :  
ما ابدل فيه جميع حروفه نحو درأ اى طلع فالطاء ابدلت دالا واللازم واو والعين همزة ولك ان تعكس . وما قلب على التوهم نحو استنوا اى اصابتم سنة جذب فانهم وهموا ان السنة يوقف عليها بالياء كما في رحمت . ثم قلبوها فقالوا استنوا .

#### النقد الثالث :

في ابهام عبارة القاموس في المصدر والفعل والمشتقات والمعطف والجمع والفرد والمعرب وغير ذلك<sup>(٦)</sup> وفيه يأخذ عليه تخليطه في ذلك وعدم دقته في ايراد المعاني والمصطلحات ووجوه الاستعمال .

#### النقد الرابع :

في قصور عبارة المصنف وابهامها وغموضها وعجمتها وتناقضها . وفيه ينتقد عليه قصوره في تعاويضه وتفريقه معاني المادة في امكنة مختلفة ، نتيجة لسوء التأليف . ونقله بعض الالفاظ والتعابير دون فهم واهماله تفسير بعض الكلمات وسوء الترتيب وعدم الربط .<sup>(٧)</sup>

#### النقد الخامس :

في ذهوله عن نسق معاني الالفاظ على نسق اصلها الذي وضعت له ، بل

(١) الاشارة ص ١٤٠ (٢) الاشارة ص ١٤٢ (٣) ص ١٤٤ (٤) ص ١٤٤ (٥) ص ١٤٤ (٦) راجع الاشارة ص ١٨٨ - ٢١٤ (٧) الاشارة والتفصيل ص ٢١٤ - ٢٦٢ (٨) ص ٢٦٢ - ٢٦٨

يقم فيها الفاظ اجنبية تبعدها عن حكمة الواضع . ومن ذلك عدم ترتيبه الكلمات بحسب معناها الاصلي فنراه احيانا يقدم المجاز على الحقيقة . ونراه احيانا اخرى يزيد على ائمة اللغة زيادة تؤدي به الى مخالفتهم<sup>(١)</sup> والشدياق يدعوننا . اذا جهلنا الاصل ان يكون تنسيقا منطيقيا<sup>(٢)</sup> . ومن عيوب المصنف هنا عدم الابتداء بالفعل وهذا عيب كثير الوجود عنده . وربما تسبب منه عيوب كثيرة منها التقصير في التفسير<sup>(٣)</sup> .

#### النقد السادس : (٤)

في تعريف اللفظ بالمعنى المجهول دون المعلوم الشائع . ويلاحظ الشدياق ان بين هذا النقد وسابقه شبهة عظيمة . ويحاول ان يميز بينهما فيقول : بين هذا النقد والنقد الذي تقدمه بعض مشابهة فكان الظاهر الحاقه به . والفرق بينهما ان خلل الاول نشأ من فوات الفطنة لاصل معاني الالفاظ . وخلل هذا نشأ من سوء ترتيبها والتفريط في وضعها .<sup>(٥)</sup>

#### النقد السابع : (٦)

فيما قيده في تعاريفه وهو مطلق . وفيه يقدم نبذة عما انتقده عليه الشارح عبد الرؤوف الصاوي في حرف الهمزة . يظهر فيها تقييده لبعض المعاني . نحو قوله ازاء الغنم اشبعها . ظاهره انه لا يقال لغير الغنم . وفيه تأمل . وفس على ذلك سائر الحروف .

#### النقد الثامن : (٧)

في تشتيته المشتقات وغيرها . وذلك راجع الى سوء الترتيب وهو عادة عند المؤلف<sup>(٨)</sup> . ويكاد يكون ظاهرا في الكتاب من اوله الى اخره .

#### النقد التاسع : (٩)

فيما اهمل وضع الاشارة اليه واخطأ موضع ايراده . فقد كان من عادته ان

(١) ص ٢٦٢ (٢) ص ٢٦٥ (٣) ص ٢٦٧ (٤) ص ٢٦٨ - ٢٧٠ (٥) ص ٢٧٠ - ٢٧٥ (٦) ص ٢٧٥ - ٢٨٦

(٧) راجع القديين ٧٤٦ ، ٧٤٧ (٨) ص ٢٨٦ - ٢٩٢

يضع الواو قبل المعتل اشارة الى انه واوى والياء اشارة الى انه يائي ولكنه اغفل ذلك عدة مرات . فخلط الواوى واليائي وقدم الياء على الواوى .

#### النقد العاشر: (١)

فيما ذكره مكررا في مادة واحدة . قال " ومن خلله ان يكرر ذكر كلمة واحدة في موضعين من مادتها . وذلك لتثنيته المشتقات كما بينه سابقا . بل الاخرى ان يقال لتثنيته باله واشتغال خاطره بغير القاموس . وهذا التكرير لا يوجد الا في هذا الكتاب . " (٢)

#### النقد الحادي عشر: (٣)

في غفوله عن الازداد . فقد ذكر بعض الازداد دون ان ينبه اليها . بينما نراه يتكلف في بعض الاحيان لاستخراج الضدية من الفاظ ليست من فطانها او غير محتملة لها . (٤)

#### النقد الثاني عشر: (٥)

في غفوله عن القلب والابدال . قال : " ومن خلل القاموس ايضا ان مصنفه يهمل القلب والابدال خلافا للمحكم والصحاح وغيرها . وربما حاول تعريف الكلمة المقلوبة او المبدلة بما يخفي على الطالب اصلها (٦) . ويقول : " وربما جاءت الفاظ متقاربة في اللفظ ومعناها واحد ففسر كلا منها بتفسير مغاير كما في حذفره وحزفره وحزمره وحزومه وحصرمه وحظمره وحمطره وطحمرمه وطحمره ودحمره وزحمره وحضجره وضحجره فانها كلها بمعنى ملاء . فقال في الاول والثانية ملاء . وفي الثالثة : الحزمره = المل . وفي الرابعة حزم الاء ملاء . وفي الخامسة حصرم القرية ملاء فقيده بالقرية وهذا النموذج كاف . " (٧)

(١) ص ٢٩٢ وما بعدها (٢) ص ٢٩٢ - ٢٩٨ (٣) ص ٢٩٨ - ٢٩٩ (٤) ص ٢٩٨ (٥) ص ٢٩٩

(٦) ص ٢٩٩ - ٣٠٢ (٧) ص ٣٠١

النقد الثالث عشر : (١)

في تعريفه الدوري والتسلسلي . نحو الاسرب الانك والانك الاسرب ونحو  
الضرس السن والسن الضرس . قال : " وهذا النوع ايضا يكاد من خصائص المصنف  
التي لامه عليها المحشي " (٢)

النقد الرابع عشر : (٣)

فيما ذكره من قبيل الفضول والحشو والمبالغة واللغو نحو ذكر الفعل المجهول  
بعد المعلوم<sup>(٤)</sup> وتطرفة الى ذكر المصدر واسم الزمان واسم المكان والمصدر احيانا .  
وذكر العام بعد الخاص . وذكر الاعلام والاسماء الاعجمية دون اشارة الى ذلك .  
والتصدي لحكايات لا تعلق لها باللغة اصلا<sup>(٥)</sup> وغير ذلك .

النقد الخامس عشر : (٦)

في خلطه الفصيح بالضعيف والراجح بالمرجوح وعدوله عن المشهود . قال  
وهذا النوع في كتابه اكثر من ان يحصر .

النقد السادس عشر :

فيما لم يخطئ به الجوهري مع مخالفته له . وفيما خطأه به ثم تابعه عليه وفيما  
خطأه به تعنقا وتحاملا . قال " ان المصنف لم يكن على طريقة واحدة في اسلوب  
تأليفه وكذا كان دأبه في تخطئة الجوهري فمرة يعرقله على حرف ومرة يسكت عنه  
مع مخالفته له " . (٧)

النقد السابع عشر : (٨)

فيما قصر فيه المصنف عن الجوهري . قال : " تفسير المصنف عن الجوهري لا  
يكاد ينحصر فلك ان تقول انه في كل مادة لانه لما كان من همه استيعاب اسماء المحدثين

(١) ص ٢٠٤ - ٢٠٢ ، (٢) ص ٢٠٤ ، (٣) ص ٢٠٢ - ٢٠١ ، (٤) ص ٢٠٢ ، (٥) ص ٢٠١ - ٢٠٠ ، (٦) ص ٢٠٧ - ٢٠٦

(٨) ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

والفقهاء والباق ومنافع الادوية ومنافع الاودية ونحو ذلك لم يهتم استيعاب الالفاظ اللغوية . نعم ان قاموسه اجمع للشوارد والحوثي من الكلام من الصحاح . الا ان الصحاح اوضح منه عبارة واكثر شرحا وبيانا واروى رواية . اما من حيث الفوائد اللغوية والنحوية والصرفية فلا مناسبة بين الكتابين البتة فان القاموس عطل عنها الا ما ندر . فكان فيه كغيب الطائر وقد نذر بالخطر وقد شهد المحشي للجوهري بالامامة في العربية في مواضع عديدة من تعليقه كما شهد على المصنف بالقصور وقال الشارح في مادة وعد : وهنا للجوهري مباحث وقواعد صرفية اغفلها المصنف لعدم الغامه بذلك الفن .<sup>(١)</sup>

#### النقد الثامن عشر : (٤)

في انه يذكر بعض الالفاظ الاصطلاحية ويهمل بعضها . ومنها اصطلاحات لغوية ومهندسية وطبية وجغرافية وسواها . ومنها الفاظ في القرآن والحديث وكلام العرب البلغاء .

#### النقد التاسع عشر : (٥)

في نبذة من الالفاظ التي ذكرها في مادتها فلتة . اي انه فسرها ما قبلها او علق عليها من غير ان يتقدم لها ذكر . قال "منشأ هذا الخلل في القاموس ان مصنفه كان يرى هذه الالفاظ مفسرة في الكتب التي نقل منها فاوردتها من دون تفسيرها . اما لتوهمه ان المطالع قد اطلع عليها قبل مراجعة كتابه . او انه يعرفها من سياق عبارته ."<sup>(٦)</sup>

#### النقد العشرون : (٥)

فيما ذكره في غير موضعه المخصوص به او ذكره ولم يفسره .

(١) ص ٢٢٧ (٢) ص ٢٤٨ - ٢٤٩ (٣) ص ٢٤٩ - ٢٥٥ (٤) ص ٢٤٩ (٥) ص ٢٥٥ - ٢٧٢



النقد الحادي والعشرون : (١)

فيما ذكره في موضعين غير منبه عليه وربما اختلفت روايته فيه .

النقد الثاني والعشرون : (٢)

فيما وهم فيه لخروجه عن اللغة . ومن ذلك الفاظ دخيلة او اصطلاحية .

النقد الثالث والعشرون : (٣)

في خطأ صاحب القاموس وتحريفه وتصنيفه ومخالفته لائمة اللغة . ومعظم هذا النقد مأخوذ مما علقه الشيخ نصر الهوريني على هامش القاموس المطبوع بمصر . واكثره من كلام الشارح . وفيه يسير حسب حروف الهجاء ويستقصى الاغلاط حسب الابواب .

النقد الرابع والعشرون : (٤)

في غلظه في تذكير المؤنث وتأنيث المذكر .

الخاتمة : (٥)

وفيها يحاول استيعاب كل ما جاء من افتعل المتعدى واللازم . قال : " ولكن قبل الوداع رأيت من الواجب على ان استوعب في هذه الخاتمة على قدر الامكان كل ما جاء من افتعل المتعدى واللازم اظهارا لاوهام ائمة اللغة والصرف . فانهم زعموا ان افتعل يأتي للمطاوعة غالبا حتى ان المصنف جزم في مادة قنوبانه لا يأتي الا لازما كما مر في المقدمة ولهذا عزمت على ان اجعل ما جاء منه للمطاوعة على حدة . لكني لما رأيت قليلا ادمجته في اللازم ونهيت عليه . وهذا ومع فرط تنقيدي عن هذا البناء وبذل مجهودي فيه فقد وجدت في تمييز المتعدى منه عن اللازم صعوبة فادحة منتني بالتفكير والسهر والسامة والضجر وذلك لقصور عبارة اهل اللغة فيه . (٦)

ثم يبين قصور علماء اللغة في افتعل ويبين اوهامهم فيتعرض للصفاني في العباب والفارابي في ديوان الادب والفيومي في الصباح وابن فارس والتوحيدي والتفتازاني والرضي في شرح الشافية والاشموني والجرمي والجوهري وسيبويه واصحابه وابن سيده وسواهم الى ان يقول " فقد رأيت اختلاف ائمة اللغة في افتعل فلا غرو ان اقول اني وجدته اصعب سائر الافعال مثلا واكثرها التباسا وقلبا واعلاا ولك ان تقول اكثرها معاني وعددا واحوالا " (١)

ثم يورد افتعل المتعدى واللازم ولللغة والمجهول حسب الترتيب الهجائي .

هذا هو عرض موجز لما جاء في الجاسوس، ولنتقدم الان الى تحديد مدى مساهمته والى وصف اسلوبه فيه :

اما من حيث المساهمة فان الشدياق اعتمد على من سبقوه ممن نقدوا القاموس كعبد الرووف المنادي وشهاب الدين الخفاجي والملا علي بن سلطان الملقب بالقارى والسيد علي خان صاحب طراز اللغة وبهاء الدين العاملي صاحب الكشكول وابي زيد عبد الرحمن مؤلف الوشاح وبدر الدين القراني صاحب " بهجة النفوس في المحاكمة بين الصحاح والقاموس " ومحمد بن الطيب القاسي والامام محمد المرتضي شارح القاموس والشيخ محمد سعد الله الهندي صاحب " القول المأنوس في صفات القاموس " ونصر الهوريني وسواهم . ولكنهم يختلفون عنه في انهم لم يفضلوا نقدهم في ابواب وانما ذكروه بالاجمال في تضافيف كلامهم عنه وشرحهم مشكلاته (٢) والشدياق توسع في تقديم الامثلة وتطبيق الاخطاء على جميع ما جاء في القاموس وكان همه التحقيق والتنسيق والانتقاد . اصف الى ذلك ان الكثير من ابحاثه تيسر بميسر الجدة والابتكار .

اما اسلوبه فانه اسلوب علمي تتنازل لغته بالبساطة والوضوح والارتباط . ويلزم الشدياق فيه الامانة العلمية . فنراه يشير الى المصادر التي اخذ عنها ويعترف بذلك (٣) ونراه يتعمق في البحث ويستقصي الموضوع ايضا استقصاء (٤) ويظهر لنا في

(١) ص ٥٢٦ (٢) يعرف بذلك ص ١٠٢ (٣) ص ١٠٢ ، ٤٩٨ ، (٤) ص ١٨٢ (٥) ص ٢٦٥



- <<< -

١٧

(٣) غنية الطالب ومنية الراغب في الصرف والنحو وحروف المعاني

---

الف الشدياق هذا الكتاب بطلب من صفوت باشا ناظر المعارف العمومية بمصر .  
وقد قصد به تسهيل قواعد اللغة حتى يتيسر فهمها على المبتدئين . وقد قسمه الى  
ثلاثة اجزاء :

الاول : في الصرف وفيه سبعة وثلاثون درسا .

الثاني : في النحو وفيه سبعة وستون درسا

الثالث : في حروف المعاني والظروف وغيرها مرتبة على حروف المعجم .

وهو يقدر للطالب ان يتقنه في ثلاثة اشهر اذا قرء درسا في كل يوم . اما  
المصادر التي رجع اليها في تأليف هذا الكتاب فانه يذكر منها شرح العزى وشرح  
الشافية والشذور وشرح الالفية للاشموني وشرح الكافية والمعني وشرح شواهد التحفة  
الوردية وشرح لدولة الخواصر والمفصل والكليات وغير ذلك من الكتب .

وقد استقبل اصداق الشدياق وانصاره هذا الكتاب استقبالا حسنا ووشوا في  
مدحه المقالات ونظموا القصائد كعادتهم في استقبال كتبه التي اخرجها اثناء اقامته في  
خدمة العثمانيين . وقد جمعت هذه التقارير في ملحق الكتاب يقع في اثنتي عشرة  
صفحة وها نحن نقطف بعض ما قلناه فيه الحاج عثمان الموصلي :

وافتك فائقة بجمع غرائب	هذي الرسالة منية للراغب
وظرائف ومعارف وجانب	مشمولة بطرائف ولطائف
بمسير وقت بل عن ابن الحاجب	تغني اللبيب الحر عن قطر الندى
ونشرها صرفا لخير مطالب	جمعت نكات النحوي مطويها
لعب الضيغم في قنا وقواضب	لعبت بها اقلام فارس دهره
تكرارها بمشارك ومغارب	ذاك الذي منه الجوائب قد حلا

١٠، ص ٢  
١١، ص ٢  
١٢، نفس المصد -  
١٣، الملحق ص ٨

وقبل ان نتقدم براءنا في الكتاب نود ان نعرض للضجة العلمية اثارها . فقد استطل على الشيخ سعيد الشرتوني بانتقادات اثبتها في كتابه " السهم الصائب في تخطيط غنية الطالب " فتار عليه انصار الشدياق وعلى راسهم صديقنا الحميمان الشيخ يوسف الاسير والشيخ ابراهيم الاحدب . فالف الاول كتاب " رد الشهم للسهم " والف الثاني " رد السهم السهم عن التصويب وابعاده عن مرمى الصواب بالتقريب " وما نحن نعرض لك بعض ما جاء في هذه الكتب الثلاثة .

### السهم الصائب في تخطيط غنية الطالب .

حاول الشرتوني في هذا الكتاب ان ينقد الشدياق نقدا علميا . وقد قام بهذا العمل على زعمه " غيرة للخرية وخشية ان يفسد هذا الداء بين الطلبة " . ولكننا نعتقد ان حافزا آخر كان يدفعه الى ذلك هو صداقته للشيخ ناصف اليازجي وذلك على اثر المناظرة التي حدثت على صفحات الجوائب بين الفارياق و ابراهيم اليازجي .

تناول الشرتوني " غنية الطالب " (ونقده في سبع وسبعين مسألة لا يسع المقام بايرادها جميعا لضيق المقام . وانما نرجعها الى نقاط ضعف اساسية اهمها :

١ . عدم الدقة في التعبير : فكان الشدياق يستعمل بعض الالفاظ استعمالا مبهما لا تستطيع به ان تؤدي المعاني الحقيقية . مثال ذلك المسألة الرابعة في ٢ " السهم الصائب " واليك ما جاء فيها :

" ومنها قوله في صفحة ١٧ ( الامر باللام ان تزيد في اول المضارع لاما مكسورة وتسكن آخره الخ ) اقول قد اطبقت العلماء على القطع بجزم الفعل الواقع بعد لام الامر لانها من الادوات الجازمة بالاجماع . فقول المؤلف وتسكن آخره خطأ بين لان التسيكين من اوجه البناء لا من اوجه الاعراب " ثم يقتبس الشرتوني بعض آراء علماء اللغة لاثبات ما ذهب اليه . والمسألة في نظرنا لا تعدو كونها تساهلا في التعبير . وقد

١٠. السهم الصائب ص ١٠.  
١٢. السهم الصائب ص ١٢.

رد الشيخ يوسف الاسير عليه في " رد السهم للسهم بقوله

" وهذا المعترض ترك قول ابن مالك والاشعوني والصابح بعد الصفحة التي

نقل منها هو :

فأرفع بضم وانصبين فتحا وجر كسرا كذكر الله عبده يسر  
 واجزم بتسكين وغير ما ذكر ينوب نحو جأ اخو بني نمر  
 الى ان يقول . . . فليراجع ذلك من شاء ليعلم ان صاحب السهم حفظ شيئا وهايت  
 عنه اشياء . . .

٢٠٢ عدم الدقة في التعريف : وقد نقده الشرتوني لذلك في عدة مواضع منها

نقده لتعريفه الفاعل ان قال :

" ومنها قوله في تعريف الفاعل في صفحة ٣٥ ( هو ما تقدمه الفعل ) وهو  
 مختل جمعا وضما ، اما جمعا فلانه يخرج عنه ما كان مرفوعا لصفة او مصدر او ظرف  
 كزيد قائم ابوه ، واعجبني انشاد الليل زيد ، وما عندك رجل اذا جعلنا الرجل فاعلا  
 بالظرف . واما ضمما فلانه يدخل تحته اسما الافعال الناقصة باعتبار كونها مرفوعة  
 بافعال متقدمة عليها . ويدخل نائب الفاعل ايضا نحو كان زيد اميرا وقطعت يد السارق .  
 فكان الصواب ان يعرفه بنحو قول العالم المحقق والامام المدقق الشيخ الفاكهي في  
 كتابه مجيب النداء الى شرح قطر الندى حيث قال وهو اسم او ما في تاويله قدم عليه  
 فعل تام او ما في تاويله واسند اليه على جهة قيامه به او وقوعه منه اه . . . . .  
 وسرى منه ما سيجي ما يدل على ان المؤلف لم يقف عند احكام التعريف لما خطر  
 ببالي قيده على غير تدقيق نظر ولا ادنى مراعاة للاصول المنطقية . "

ونحن نشارك الشرتوني هذا الرأي والامثلة عليه في الكتاب كثيرة منها تعريف

المتني ( ص ٢٩ ) وتعريف المبتدا ( ص ٤٧ ) والاشتغال ( ص ٦٠ ) وغيرها .

وقد رد عليه الشيخ يوسف الاسير ردا ضعيفا قال فيه : وجوابه انه قد تقدم وتكرر ان الغنية كتاب مختصر فلا يجوز فيه الاسهاب بل اتباع المختصرات كالاخرى ونحوها .

٠٣ الاطناب والايجاز في غير مواضعهما المناسبة : فقد كان الشدياق مالمذى يحتج انصاره لاخطائه بكون كتابه موجزا مختصرا . يظن في مواضع لا تحتاج الاطناب . ونتيجة هذا بالطبع هي زيادة التعقيد وصعوبة الفهم . من ذلك اطنابه في احكام الجمع ( ص ٢٧ ) واحكام الاضافة ( ص ٩٢ ) . ومن مظاهر هذا الاطناب ولعه بالتقسيم والتفريغ وايراد آراء البصريين والكوفيين وغير ذلك مما يجعل الكتاب مرجعا للمختصين .

وليت الشدياق وقف عند هذا الحد . بل نراه في بعض الابحاث يوجز ايجازا مخرلا يذهب بالقاعدة او ببمهما ويخلقها . ومن ذلك تعريفه للفاعل الذي اثبتناه سابقا وتحديده بناء اسم التفضيل . فقد ذكر له بعض الشروط واهمل البعض الاخر وغير ذلك .

٠٤ السهو والتساهل : وقد ظهر ذلك في اقتباسه لبعض الاقوال والاستشهادات . كما فعل عندما اقتبس عن كليات ابي البقاء موضوع الحال . وعندما نقل عن ابن هشام في النداء . وقد ياخذ هذا السهو ماخذ آخر وهو سقوط بعض الكلمات في الطبع ككلمتي اسم الزمان ووضع كلمة مكا آخر كما حدث في قوله " والفتحة تكون علامة للنصب ( بدلا من الجر ) في الاسم الذي لا ينصرف " .

هذه هي المآخذ التي اخذها الشرطوني على الشدياق . وهي في نظرنا لا تدل على عجز في الشدياق بقدر ما تدل على اخلال بقواعد التأليف وسهو في عرض الحقائق كما انها تدل على تزمت من الشرطوني وتحريج .

اما موقف الانصار فقد كان حمما من الشتائم والهجاء قذفت على الشرطوني المسكين كما قذفت على صاحب برجيس باريس من قبله . وقد اشرنا الى كتابي الاحدب والاسير

١. رد اسم ص ٢١
٢. اسم الصائب ص ٢٠
٣. اسم الصائب ص ٥٥
٤. اسم الصائب ص ٦٤
٥. اسم الصائب ص ٦٥
٦. اسم الصائب ص ٦١
٧. اسم الصائب ص ٨٥

وها نحن نتحدث عنهما ببعض التفصيل .

رد السهم عن التصويب وابعاده عن مرمى الصواب بالتقريب : للشيخ ابراهيم الاحدب :

في هذا الكليب الذي لا يتجاوز الخمسين صفحة حاول الاحدب ان يرد على الشرتوني ردا علميا زينه ببعض الشتائم . وقد رد على جميع انتقاداته ما عدا ثلاثة هي السادس والعشرون في الصرف والثالث والاربعون والتاسع والاربعون في باب النحو . وقد كانت ردود الاحدب ضعيفة هزيلة في اكثر الاحيان . وليس ذلك الا لسخف الانتقادات التي اوردها الشرتوني . وها نحن نقبس بعض الشتائم . قال في المقدمة :

" فكنت اتصام عن سماع الخناع اني اسمع من سمع . واعرض عن التعرض لاولاد الزنا بما لا يطيب في سمع<sup>١</sup> ."

وقال مشيرا الى الكتاب :

" نشر به قائله ما يخبت في السمع وتقبح به الطوية . يتضمن احداث كتاب باسهال الزمان<sup>٢</sup> ."

وقال :

" وان جحد ذلك نكرة لا تطيب بالتعريف لخبث النشر من شربون<sup>٣</sup> وها نحن نقبس ردا من ردوده على الشرتوني لنعطي فكرة عامة عن اسلوبه . قال :

" ثم قال ومنها قوله في صفحة ٤٩ ويتعلق ظرف المكان بمحذوف تقديره كائن او مستقر نحو زيد عندك اه . فاعترض اختصار ظرف المكان بما ذكره واطال في النقل والتنبيه . قلت هنا حذف الواو مع ما عطفت والاصل " ويتعلق ظرف المكان و ظرف الزمان " . وقرينة الحذف اشتراكهما في الحكم المذكور بالاجماع وهل يتوهم احد ان المؤلف يجهل ذلك وعلى انه يمكن ان يكون ما قدرناه سقط من القلم وان لم ينبه عليه في بيان الخطأ والصواب كما لا يخفى<sup>٤</sup> ."

١، رد السهم عن التصويب ص ٤

٢، رد السهم عن التصويب ص ٤

٣، ص ٤

٤، ص ٤٤



رد الشهم للسهم : الشيخ يوسف الاسير

وكما حاول الاحدب ان يدافع عن صديقه كذلك فعل الامير . وربما كان ما فعلاه نتيجة تكليف لهما من الشدياق لينافحا عنه . وثبت ذلك ما ذهب اليه طرازي في تاريخ الصحافة . قال :

" وقد كبر هذا الامر على صاحب الجوائب فاستنجد الشيخين يوسف الاسير وابراهيم الاحدب فالف كل منهما ردا على الكتاب المشار اليه . والكتاب لا يختلف كثيرا عن سابقه في الرد والاقناع وقرع الحجة بالحجة . وانما يختلف عنه في مسائل اوجزناها فيما يلي :

١ . البداية والاقذاع : فقد افتتح الكتاب بمقدمة تهجم فيها على الشرتوني كما انهاء بقصيدة في ذلك . كما ان اعتاد ان يختتم معظم ردوده بشتائم يصبها على الناقد . واليك بعض الامثلة :

قال : " هذا نموذج كلام ذلك البهيم " .

وقال : " وكان الاولى لذلك المفتون الذي فتح فاه لقرع قفاه ان لا يخرج من شرتون ولو افتاه المفتون " .

وقال : " لا يخفى ان سعيد الشرتوني مستعار ومستعير وانما جره الى هذا الساعور مستعر في قلبه من محرر الجوائب ناعور وسعير . وقد عرف من التعيير والبعرة تدل على البعير " .

٢ . خرج من تهجمه على الشرتوني الى التعريض بالشيخ ناصيف اليازجي . وهذا يذكرنا بكتاب " ارشاد الوري في تخطئة جوف الفرا " الذي الفه الاسير في نقد كتاب اليازجي هذا . وملا بالشتائم والاقذاع . ومن امثلة ما ورد في رد الشهم للسهم من التهجم على اليازجي قوله :

١ . تاريخ الصحافة ج ١ ص ٢٢  
٢ . رد الشهم للسهم ص ٤  
٣ . نفس المصدر ص ٧  
٤ . ص ١٦ ، ١٧

ن " ولو انصف صاحب السهم وكان من اولى المعارف والفهم لانتدب للاعتراض  
على كتب استاذة ناصيف التي فضلها هو وامثاله على كل تاليف مع ان اغلاطها لا  
تحصى وعثراتها لا تقال ولا تستعصى ولكن حبك الشيء يعني ويصم " :

عند هذا نقف في عرض هذه الكتب قائلين مع طرازى " ومع شدة ميلهما (   
(الاحدب والاسير) الى المستنجد لم يسعهما ان يقرأ في كثير من المواضع من الاقرار  
بصوابية الانتقاد " :

ويحد فان الطابع الذى يطبع هذا الكتاب هو طابع التشويش مما يشق على  
المتعلم ويبعد المؤلف عن الهدف الذى من اجله وضع الكتاب . وهو كما زعم . تبسيط  
قواعد اللغة على المتعلم حتى يسهل عليه تعلمها وذلك خشية ان تندثر لغة العرب  
لصعوبة تناولها على الطلاب .

وياخذ هذا التشويش صورا مختلفة منها ايراد ما لا يلزم من الباحث كإيراد  
اللهجات العربية المهمة وآراء الكوفيين والبصريين . والشواذ التي اهتمت في الاستعمالي  
فكانه اراد بذلك ان يظهر مقدرته الفائقة واطعمه الواسع متناسيا الفائدة التي يجنيها  
المتعلم من ورائه .

ولقد اهل التمارين التي تعين الطالب على تفهم ما يدرسه وعلى هضمه .  
كما انه اهل الاعراب الذى يبين وجوه استعمال الكلام وطرقه وشعابه . ويكاد هذه  
العيوب تظهر في اكثر الكتب التي الفت في اليقظة الحديثة . فان التشويش والغموض  
صنعتان ملازمتان لها . وقلما خلا منهما مؤلف من المؤلفات . واذا اردنا دعم ما  
ذهبنا اليه فما ايسر ان نتناول بغير هذه الكتب التي الفت في الصرف والنحو " كالباب  
في اصول الاعراب " . " وفصل الخطاب في لغة الاعراب " " وجوف الفرا " " وثار القرى  
في شرح جوف الفرا " " وطوق الحمامة " " والجوهر الفرد " " والخزانة " " والجمانة في  
شرح الخزانة لليازجي الاب . " ومدخل الطلاب في فردوس لغة الاعراب " لسليم تقلا

" والاجوبة الجلية في الاصول الصرفية " لمحمد تلحوق وسواها ، لنتحقق بانفسنا ما فيها من تشديس واضطراب وابهام وغير ذلك ما يعسر على الفهم . ويشق فهمه على عقلية الطالب . وكان الشيخ ابراهيم اليازجي شعر بذلك . وأشار بعلاج ناجح لم نقم حتى الان الا بتحضير بعضه وهذا العلاج جاء في مقالة " اللغة العامية واللغة الفصحى " قال :

" ولذلك فاول ما ينبغي الاهتمام به تاليف لجنة من ذوى البصائر السليمة والعلم الصحيح تتولى كتب النحو بمثل ما فعل مؤلفو مجلة الاحكام العدلية في الكتب الشرعية فيختارون من كل قاعدة اصح الاقوال وامثلها لتكون مرجعا لطلاب هذه الصناعة وتنبذ بقية الاقوال الساقطة والمؤاهب المرجوحة ويكون في ضمن ذلك اهمال كل ما يتعلق بالقراءات المختلفة واللغات الشاذة والضرورات الشعرية ما يترك الكلام عليه للتصانيف المختصة به بحيث يتخلص النحو في الوجوه التي عليها الاستعمال ويكون ذلك ذريعة تتوحد بها قواعد اللغة كما توحدت اللغة بالقرآن .

ومثل ذلك يفعل بكتب متن اللغة فتنبذ منها اللغات المتروكة والالفاظ الوحشية من كل ما لا يرى في الكتب المتداولة لهذا العهد وما لا يجوز للفصح استعماله على ما نصر عليه علماء البيان لان هذه كلها مما يقتضى الاطالة في الشرح الى حد الملل ويكثر التخليط على الطالب من غير فائدة " .

هذا كتاب غنية الطالب . ولو لا ضيق المقام لاتينا بأمثلة اخرى تثبت ما ذهبنا اليه في انتقاداتنا عليه . وقبل ان نفضر يدنا منه نود ان نذكر اننا قسنا الكتاب بالمؤلفات الحديثة لا بالمؤلفات التي عاصرت . وهذا ناتج عن اعتقادنا في ان الشدياق كان قد سما على تفكير معاصره في ميادين الادب المختلفة ، ولذلك يجب ان نتلمس آثاره هذا السمو في كل ما انتجه .

بالإضافة إلى الخدمات التي أدتها الجوائب في تهذيب الرأي العام في العالمين العربي والإسلامي في ذلك العصر كانت " لا تخلو من المناظرات العلمية والسياسية بين صاحبها وبين أكبر علماء ذلك العهد كالشيخ إبراهيم الأحمد والدكتور لويس صابونجي والشيخ سعيد الشرتوني والمعلم بطرس البستاني ووزق الله حسون و يوسف باخوس وسواهم من أساطين الجهابذة " .

" وأقدم تلك المناظرات وأشهرها هي المناظرة اللغوية التي جرت بين جريدتي الجوائب وبرجيس باريس " التي كانت " جريدة نصف شهرية تصدر في باريس ومديرتها الأب فرنسيس بورغارد رئيس مدرسة القديس يوسف . وتعد هذه الجريدة باكورة الصحف العربية من كبر حجمها وجودة حروفها واتقان طبعتها واتساع مواضيعها " .

وعندما قامت هذه المناظرة كان يتولى تحريرها الشيخ سليمان بن علي الحريري التونسي من مشاهير كتاب ذلك العصر . أما أسباب هذه المناظرة فهي أن محرر البرجيس تعرض للعدد الثالث والسبعين من الجوائب بالنقد . وقد أخذ على الشدياق أنه كتب خمسمائة وسبعمائة موصولة والصواب أن تكون منفصلة فتكتب خمسمائة وسبع مائة وأنه كتب السباكل ( اسم صحيفة في باريس ) والصواب السبائل كما يلفظ به أهله . وكتب نابولي والصواب نابلي وكتب جينوي والصواب جنوه وكتب الثلثا والصواب الثلثاء . والدولة والصواب الحكومة ، وعيلة والصواب بيت . والبوسطة والصواب البريد وغير ذلك .

وقد استفحل أمر هذه المناظرة وجرّد لها أنصار الشدياق السننهم وأقلامهم . وكسوا الحريري شتائم وقذائف متنوعة . ومن يرجع إلى الجزء الرابع من كنز الرغائب يلمس بنفسه مدى تأثير تلك المناظرة على الأدب في ذلك الوقت . واليك أمثلة مما قيل في هجاء محرر البرجيس . قال أحمد سامي المرصلي :

١٠. تاج الصحافة ١ ص ١٢٢

١١. نفس المصدر

١٢. نفس المصدر ٦٠٧

قل لمن ينهق في باريس قد	ساقك النغي الى حنف مهان
ورماك الجهل من	ايها الاحق في اقصى مكان
وعداك الرشيد يا هذا	جئته معترضا بالهذيان

وقال احمد عزت الفاروقي الموصلني :

تعمسا لبرجيس الخبيث	فانه	في خبثه طول المدى	مرهون
عميت بصيرته فاصبح	اكهما	والخير فيه من الفخار	عيون
كالقارس المفضال رب	محامد	هي في رقاب العالمين	ديون
فالتزم منه جوهر	متنصد	والنثر منه لؤلؤ	مكون

ولم يقف الشدياق من المناظرة وقفة العالم بل قذف خصمه بشتائم كثيرة ونظم في هجائه قصائد وابياتا تشهد بطول باعه في هذا المضمار . واليك بعضها منها :

ان يلهث الوغد الدني	عليك او يفتح فما
فاقلب له نعلا	او ليسكت مفعما

وقال :

ايا قوم انظروا ماذا بلاني	به جور الزمان وما دهاني
ولو حر بليت به	ولسكن
	تعالوا وانظروا بمن ابتلاني

وقال :

طلبت مني	مثلا	يا	مارقا للمرقه
فقلت انت في	الورى	احمق من	هبتقه

وحسنا للنزاع وقف الشيخ عبد الهادي نجا الايبارى حكما بينهما وابدى حكمه في تلك المناظرة في كراسة عنوانها النجم الثاقب في المحاكمة بين البرجيس والجواب .

١٠٠ كذا الرفاعي ح ٢ ص ١٢  
 ١٠١ = = = = ٢٥ ص ٢٥  
 ١٠٢ = = = = ٢٠٨ ص ٢٠٨  
 ١٠٣ = = = = ٢ ص ٢  
 ١٠٤ = = = = ٢ ص ٢

وكان كلامه فيها الفصل الخطاب وقد حكم فيها للشدياق على الحريرى . ولم يخل كتابه هذا من تهجم على الحريرى وشم له عادة انصار الشدياق .<sup>١٠</sup>

ويمكننا ان نعد من قبيل هذه المناظرات ما حدث للشدياق ورزق الله حسن الحلبي مؤسس جريدة مرآة الاحوال الذى اصدر مجلته الجدلية " رجوم وفساق الى فارس الشدياق " عام ١٨٦٨ في لندن وفايته فيها الرد على الشدياق الذى تناول عليه بالهجا والشم . وقد اشتد بينهما الجدل حتى انتقل من المناظرة الى المشاتمة والمهاترة . وكانت كتابات كل منهما ورد الواصل على الاخر مشحونة بالهجو المر والطعن الموجه . وقد احتجبت هذه المجلة بعد صدور عدديها الاولين . وليس بين ايدينا عنها الا ما قرأناه في تاريخ الصحافة .<sup>١١</sup>

ولما مات الشيخ ناصيف اليازجي سنة ١٨٧١ رثاه احمد فارس على صفحات جوائبه وضمن مراثيه نقدا لغويا لليازجي<sup>١٢</sup> كان محوره لفظة الفحطل التي وردت في المقامة الانطاكية من مجمع البحرين . ووجه الصواب فيها ان تكون الفحطل . وقد تكلف الشدياق لهذا النقد كثيرا من الجهد والعناء فاخذ يبحث في المصادر وكتب اللغة على يثب ذلك . والامر لا يعدو كونه غلطا مطبعيا .

ونحن نعتقد ان السبب الاول لهذه المناظرة هو الموجدة المتغلغلة في نفس الشدياق على اليازجي الاب . كيف لا وهو منافسه في الصحافة واللغة والادب في ذلك الوقت والعنصر الفردى قوى في النفس الانسانية ولو بلغت من الصقل والتهذيب ما بلغته نفس الشدياق . ولعله الباعث الاول لتلك المناظرات والمطارحات التي كانت تجرى على صفحات الجوائب .

كان مفتاح المناظرة كما قلنا هو كلمة الفحطل التي وردت محرفة في الطبع على هذه الصورة . فكان ان تعلق بها الشدياق تعلقا يفوق تعلق الشرتوني . وفي السهم الصائب . ببعض الاخطاء المطبعية . وقد شق الشدياق على نفسه في ذلك واخذ يورد

١٠، مجلة الشريعة بيروت  
١١، تاريخ الصحافة ج ١ ص ٧٧  
١٢، الجوائب عدد ٩٥

الادلة والاثباتات التي تدعم رايه وتقوى احتجاجه . ويعز علينا . ان يسقط اديب القرن التاسع عشر مثل هذه السقطات . التي كشفت للناس عن حقد دفين على اليازجي الاب كان يتكلف اخفاؤه في نفسه الي ان مات هذا . فوجد المجال فسيحا لاظهار براعته وسبقه .

اما جواب ابراهيم اليازجي على هذه الهجمة فقد كان ناعما لطيفا . ان لم يتعرض فيه للشتم او للقفز وانما قرع الحجة بالحجة ونقض الدليل بالدليل . واليك طرفا من هذا الرد :

اما وجه الانتقاد على اللفظة المذكورة فهو ان الحاء منها مقدمة على الطاء في الواقع والحق العكس وان يقال الفطحل بتقديم الطاء . وقد اورد على ذلك شواهد وادلة من كتب اللغة العربية شهدنا له فيها بالفضل والبراعة . ومن جملة ما اورد من ذلك قال وفطحل بفتح الفاء اسم رجل اقول وقرائن كلامه تقتضي بقاء ما سوى الفاء على حاله فيكون مفتوح الطاء ايضا مع سكون الحاء . ولا وجود لهذه اللفظة على هذا الوجه اصلا . قال في القاموس الفطحل كهزير دهر لم يخلق فيه الناس بعد او زمن نوح عليه السلام او زمن كانت الحجارة فيه رطابا والسيل والتار العظيم والضخم من الابل . وكجعفر وقنفذ اسم . انتهى . ففي قول صاحبنا وهم ظاهرا وحمل الكلمة على وزن جعفر وفيه سهو . وكان الاولى ان يقيده بفتح الطاء ايضا او يقتصر على ان يقول بالفتح كما جرى اسطلاح اللغويين ويترك ذكر الفاء التي انما هي زيادة في اللفظ تؤدي الى نقص في المعنى . ويذكر الوجه الثاني ايضا وهو الضم . قلت ومثل هذه الزيادة قوله في كتابه سر الليال في صفحة ٣ في كلامه عن لغات الاعاجم قال فما مثلهن الا مثل الثوب المرقع والوجه القبيح المبرقع . فانه قصد المبالغة في قبحه فالتوى عليه المعنى وجاء عكس المقصود . هذا واذا سلمنا بعدم انثلام عبارته او سلم بصحة انتقادنا وثبت على الوجهين ان الكلمة هي بوزن جعفر او قنفذ ورد عليه الاعتراض من وجه آخر وهو وهو ان المقام لا يحتمل وزن جعفر ولا قنفذ لوقوع الكلمة في الفاصلة مقابلة بالمطل ولا ولا يخفى ان للفاصلة حكم القافية . على انه لو ترك ايراد هذه اللفظة اصلا لكان اسلم .

من الانتقاد . وما ادري ما الذى ساقها وهي اسم رجل لا مدخل لها في المقام  
البتة فضلا عما تقدم .

والشيء بالشيء يذكر فما مر الكلام عليه من الخلل في احكام الفاصلة هو على  
حد قوله في كتابه سح الليال المار ذكره في الصفحة عينها لكنهم عدلوا عن هذه  
الجادة الى جادة اخرى جاوده . ومثله قوله بعد ذلك فظهرت اسارير حسنها وتباشير  
فتها وحكمة وضعها وبهجة مطلعها . فان الجادة لا توافق جاوده ووشعها لا توافق  
مطلعها . وانما تكون الجادة بازا النادة مثلا وجاهدة بازا شاردة وهلم جرا . ومنه  
قوله ليضا في اثناء ذلك مع ان الجمع في لغة العجم له علامة واحدة واشارة غير شاذة  
ولا ناذة . وفي النسخة نادرة بزيادة را بعد الدال وهي مختلفة لفظا ومعنى . وما  
ادري ايتهما المعول عليها عنده ولعلها الثانية كما انى الفحطل بتقديم الحاء على الطاء  
هي المعول عليها عند ابي على رايه . وهنا اعجب كيف جزم بقوله ولا شك في ان  
قول الشيخ ناصيف في المتن والشرح فحطل بتقديم الحاء على الطاء هو من غلط الوهم  
الى آخره . ولو بنى كلامه هذا على الاحتمال لكان اسد . على ان غلط الوهم لا يخلو  
منه احد كما اشار بعد ذلك فلا عيب فيه والا فكل عائب معيب . غير انني قد كشفت  
في النسخة الاصلية التي بخطه رحمه الله فلم اجد لذلك من اثر وانما هو غلط في الطبع  
من النوع الذى وقع للمولى في ما ذكرت . ومنه ابدال البدائع بالمدائح في صحيفة الجواب  
المذكورة في العمود الثاني من صفحة ٣ وغير ذلك مما لا يخفى على ذى عينين . وامثال  
هذا في اكثر الكتب المطبوعة كثيرة قل منها ما يخلو من كميات من الاقلاط التي اخصها  
القلب والابدال كما يعلم الاستاذ . فينتبه المؤلف الى بعضها فيدرج تحت اصلاح الغلط  
كما جرت العادة ويغفل عن بعضها فيبقى عرضة لعيب الناقدين الى ما بعد وفاته .

من هذه القطعة يتبين لنا ان اليازجي كان ادبيا في اجابته يحاول ان يتحرى  
الخطأ في كتب الشدياق ، وان يبين له ان خطأ كهذا محتمل الوقوع .

والخطأ الثاني الذى اخذه الشدياق على الشيخ ناصيف هو كلمة المرابض . وهكذا  
سارت المناظرة ، كل منهما ينقد اقوال الاخر وينقد ما جاء في مقاله من الاخطاء . وقد



اتسعت المناظرة ، واشتدت حتى استغرقت مجهودا كبيرا وسودت صفحات كثيرة من مجلة الجنان "ولكن اليازجي الذي طبع على الرقة والادب انسحب اخيرا بلطف واعتذر عما بدر منه ، وعبر عن الله لما جره القلم ، فقال :

وهنا لا بد ان اقول ان هذه المناقشة كلها لم تكن مني عن رغبة ورضى ولا انا ممن يتهافتون الى التخطئة والانتقاد لغرض ما . وكان بودى استئصال هذا العرق من بيننا لو وافقتي عليه والمحافظة على عهده مع ابي رحمه الله وكرامته فوق ذلك بالنظر الى سنه فضلا عن عدم التعرض له بما يكرهه . ولكن قدر فكان والفضل للمتقدم . وهنا يحسن ذكر ما وقع من الاتفاقات اللغربية في هذا الصدد وذلك اني بينما كنت يوما مع صاحب لي ممن ينتسبون الى المولى وقد اخذنا في الحديث جرى بيننا ذكر الصحائف والجرائد فسألني ان اكتب شيئا في تخطئة عبارة الجنان وابعث به الى الجوائب لينشر فيها . فقلت ليس ذلك من دابي ولا غرض لي فيه والحازم من اشتغل بالنظر في عيوبه عن عيوب غيره فان وثق بعصمته فليفعل ما شاء . فلما يئس مني قال فعبارة ادبية او سياسية او شيئا آخر يوتره عني . قلت انا دون ان افعل مع اعتدادي ان مثل ذلك انما يكون ضربا من التناول على شيخ كبير يعدونه من العلماء المتجرين فاني اهاب ان اتحرش به . فاخذ يصف لي من مودته وحبه لابي رحمه الله وخلص صداقته ما لم انكره وقتئذ والى على بمطارحته وتجديد ذلك العهد معه حتى هممت ان اكتب اليه رسالة حبية واشفعها ببلغز من نظمي يكون به الافصاح عن نوايا الود والمصافاة . فلم يضر على هذا الحديث ثلثة ايام حتى وردت الجوائب وفيها الانتقاد على ابي رحمه الله فكانت فاتحة المكاتبة بيننا بغير الله وجهه

وشهد الله اني ما كنت لاكمه الخوض في هذه المطارحات والمباحث الدقيقة فانها لا تخلو من فائدة لي اوله لو انه حافظ على شاني وشانه ولم يتجاوز الى امر الهجاء فاني شديد الكراهة له . ولقد طال اعتباري عند قوله في رثاء ابي رحمه الله ما كان يهجو ولا يهجي ولا حجت . ذكا قريحته احلاك حدثان

وقوله أيضا فيه

فلم يضع ساعة من عمره عبثا

ولم يضع قوله في غير احسان

فاما الان وقد عدل الى ما عدل اليه وقد بينت للواقف على هذه المناقشة مبلغ ما عنده من العلم فلا يلزمني بعدها مساجلته ومناظرته والتعرض لمهام قذفة لان آدائي ليست كآدابه واطواري ليست كاطواره ولا ارى له بهدها حقا في الدخول الى مجلس المساجلين ولا راي لي في مواطاته على ما ذهب اليه ومعاذ الله فذلك من قبلي باب محكم التوصيد

ليس الوقيعه من شأني فان عرضت

اعرضت عنها بوجه بالحيا ندى

اني اذن بعرضي ان يلم به

غيري فهل اتولى خرقه بيدي

ابراهيم اليازجي<sup>(١)</sup>

انتهى

وهكذا تختتم هذه المناظرة اللغوية التي خالطها الكثير من الذم والشتم بالنسحاب ادبي لليازجي بعد غارة طويلة من النقد اللغوي الرصين شنها على الشدياق . فتكون النتيجة الحتمية لهذه المناظرة شن غارة معاكسة على اليازجي وانصاره ، كان لها مظاهر ثلاثة .

١ . مهاجمة الشيخ ناصيف اليازجي الذي كان محور هذه المناظرة :

فقد الف الشيخ يوسف الاسير كتابا اسماه " ارشاد النورى الى تخطيط جوف الفرا " تناول فيه على كتاب " جوف الفرا " للشيخ ناصيف . ولم يخل نقده تشبها مع روح العصر من تهجم شخصي وهجاء مؤذع وشتائم مرة . كما ان الاسير تعرض لليازجي الاب في كتابه رد الشتم للسهم الذي تحدثنا عنه سابقا .<sup>(٢)</sup>

٢ . مهاجمة الشدياق لبطرس البستاني صاحب الجنان الذي ساند اليازجي

في مناظرته ونشر مقالاته على صفحات مجلته . وقد نقد قاموسه " قطر المحيط " في مناظرة نشرت اصولها في الاعداد ٥٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ من الجوانب ورد عليها البستاني في الجنان<sup>(٣)</sup> وتدور هذه المناظرة حول تخطيط الشدياق للبستاني لانه اتى بجمع كلمة الاب في قطر المحيط مع ان الشدياق لم يعثر لها على جمع في كتب اللغة كالصحاح والكليات

١، مجلة الجبانه ١٢٢ ص ١٢٢

٢، ص ٢٧٧ صه هذا الكتاب

٣، الجبانه ١٢٤ ص ١١٨

والمصباح والقاموس . وقد خطاه ايضا لانه لم يذكر لقبه متبوعه بحلى وبان الا بد ترجع الى الوحوش لا للدهاهي ولذكره الابار مع ان صاحب القاموس لم يذكرها ولسقطات اخرى . وقد رد البستاني عليه ردودا مفحمة . ولا ندرى ما الذى جعل الشدياق يظهر بمظهر الضعيف امام اليازجي الابن وامام البستاني . ولعل ذلك ناتج عن سببين هما استخفافه بالخصم وانهماك في تحرير الجواب . وقد تلحق بهما سببا ثالثا هو ان نفسية المهاجم اضعف من نفسية المدافع .

٣ . مهاجمة الشدياق لابراهيم اليازجي في كتاب اسماء \* سلوان الشجي في الرد على ابراهيم اليازجي " وقعه الشدياق باسم مستعار هو ميخائيل عبد السيد المصرى معلم اللغة الانكليزية بمدرسة الاميركان بالقاهرة .

ولا نستطيع ان نجزم بان الشدياق هو مؤلف هذا الكتاب . ولكن الاستاذ مارون عبود يزعم ذلك ان يقول :

" سلوان الشجي الفه الشدياق رذا على اليازجي ونشره مطبوعا على انه لرجل لا اذكر اسمه وليس لدى الان في عيى كفاع ما يرشدني اليه " . كما ان الاستاذ امين نخله يظهر شكه في نسبة هذا الكتاب ان يقول :

" وبا بعد ما بين هذه الجملة مثلا وهي من كلام للشخيخ الشدياق في بعض ردوده على الشيخ ابراهيم اليازجي في مناظرة الفطل الشهيرة . تنقلها بلفظها من سلوان الشجي في الرد على ابراهيم اليازجي " المنسوب الى " مخايل افندى عبد السيد المصرى معلم اللغة الانكليزية بمدرسة الاميركان بالقاهرة . . . . . " .

ومن المعقول ان يتقدم الشدياق الى الرد على اليازجي بصورة تكتمية سرية بعد ان اخفت طريقة الصراحة او كادت . وبعد ان سكت عنه تلك المدة الطويلة التي افرغ فيها اليازجي معظم ما في جعبته من سهام النقد . وان الشدياق ليرمي عصفوريين بحجر واحد بنشر كتاب كهذا باسم مستعار . فانه يدافع عن نفسه ويحظم بعض ما لليازجي

من الشهرة الادبية وهو بعيد عن ذلك لا يصيبه من رد الفعل شي . ومن ناحية ثانية يضيف اسما جديدة الى لائحة انصاره الذين كان لا يترك مناسبة تفوت دون ان يدل بهم وان يهدد بهم خصومه . ولكن هذا الافتراض يجب ان لا يصرفنا عن نسبة الكتاب الى ميخائيل عبد السيد . فهو شخصية تاريخية توفي سنة ١٩١٤ . وقد كان معلم اللغة الانكليزية في مدرسة الاميركان بالقاهرة ، كما كان محرر جريدة "الوطن" ومديرها سابقا . وله من الكتب "روضة الكتاب في علم الحساب" ، "والرياض الالهية في الاعمال الجبرية" . ويوسف سركيس ينسب اليه كتاب "سلوان الشجى" هذا الا ان عدم اشتهاره في علم اللغة يقوى شكنا في نسبته اليه . وسنترك هذه المسألة معلقة الا ان يفيدنا اولو العلم بعلمهم . ولنتقدم الان الى عرض ما في الكتاب عرضا علميا موجزا تماما للبحث .

### سلوان الشجى في الرد على ابراهيم اليازجي :

الغاية من تأليف هذا الكتاب ، كما ذكرنا سابقا ، هي الرد على اليازجي في هذه الحطة النقدية التي اثارها على الشدياق على صفحات "الجنان" سنة ١٨٧١ . وروح العصر تتحكم بهذا الكتاب تحكما في كتابي الاسير والاحدب في الرد على سعيد الشرتوني . فالروح العلمية فيه تختفي وراء ستار ثقيل من الهجو والسباب والافداع . وهل ادل على ذلك من قول المؤلف في المقدمة :

" اما ترجمة ابراهيم اليازجي فهو صاحب السفاهية الكبرى والقذف والافتراء . لم تكد عبارة له تخلو من التعقيد والتطاول والتنديد . وقد بلغني ممن يوثق بكلامه انه من اهل الاسواق واولاد الزقاق . وانه حاول ان يدخل بعض المكاتب ليتعلم فيها بعض العلوم الابتدائية ، زحيث كان خامل القدر منسي الذكر ، اراد ان يحصل على شهرة بتخطئة صاحب الجوائب . فحصل ما اراد وان كان على طريق الفساد . لانا قبل وقاحته هذه لم يكن لنا علم بوجوده بين الاحياء ، ولم يذكره ذاكر في الاحياء . ولكن شتان من اشتهر بالفضائح واول ما عرف منه انه انغمس في القبايح ، ومن له جوائب تجوب الارض شرقا وغربا . وتهدى الى الناس من كل فن وحكمة ضريا ."

١٠ . معجم سركيس ج ١ - ١١ عدد ١٨٤٤

١١ . سلوان الشجى ص ٥

كما توهمة ابراهيم اليازجي الشيخ الجديد الذي شيخه بطرس البستاني على حد محاكمة الحمير بعضها لبعض<sup>١</sup>.

وفي هذا الكتاب لا يكتفي المؤلف بتخطئة اليازجي الابن والرد عليه بل نراه يتعرض لبطرس البستاني ظهيرة في المناظرة ولقاسموسه لمحيط المحيط . ثم يتعدى الاثنين الى ناصيف اليازجي ويشير الى بعض الاخطاء التي جاءت في مقاماته . ثم يتعرض للمناظرة التي قامت بين الاثنين فيتناول آراء الجانبين بالنقد والتحليل مفندا آراء اليازجي وداعما آراء الشدياق .

هذا ما يدور عليه الكتاب . وقبل ان ننفض يدنا منه نود ان نجعل رأينا فيه بقولنا ان اكثر ما جاء فيه من النقد والاعتراض كان حقا . وهذا لا يعني اننا ننهي على اليازجي جهله لدقائق اللغة . ولكن السبب لهذه الاختلافات والمفارقات هو اتساع مجال الابحاث اللغوية وكثرة المذاهب وتعدد المدارس . مما فتح مجالا واسعا لكثرة الارباعات في اللغة . ومهما كان اطلاع العالم على لغتنا واسعا فانه لا يعدم مذهباً او تعليلاً يجهله ولا يعلم بوجوده . وهذا هو غيب ما نقوله في المناظرة . فقد اخذ الشدياق على اليازجيين والبستاني عدة ماخذ . كما فعل اليازجي والبستاني في تعرضهما لكتب الشدياق وآرائه فهل يعني ذلك ان احد الطرفين منتحل ؟ لا . فان السبب كما قلنا هو اتساع نطاق المباحث اللغوية وتقصير العلماء دون الاحاطة بكل ما يرد منها .

وهذه المناظرة . لولا تخللها من الطعن الشخصي والسباب والمهاترة مفيدة كل الفائدة لانها اسحت المجال امام علميين . وان لم يكونا متكافئين . وللاجتهاد في اللغة ولتجرى بعض المشكلات وتحجير بعض الدقائق . وقد افاد اليازجي الابن من هذه المناظرة فائدة كبيرة . فقد تعلم ان يزن كلامه قبل ان يخرج للناس كما تعلم اليازجي كيف يحافظ على كرامته بين العلماء وكيف يقابل المناظرين . وقد قال بطرس البستاني في هذه المناظرة :

• بدأت شهرة اليازجي بسبب ربحها ولما ينزل رخص الانامل طرى العود . فقد  
كانت مقارنته لاحمد قارس الشدياق اشبه بمقارعة بديع الزمان الهمداني لابي الخوارزمي .  
فلفت اليه الانظاره وتحدث به الناس وعطف عليه النصاراء .<sup>١١</sup>

ومن قبيل هذه المناظرات ما وقع بين الشدياق وانصاره وسعيد الشرتوني  
حول كتاب "غينة الطالب ومنية الراغب" وقد فصلنا الحديث عنها سابقا .<sup>١٢</sup>

---

١١، أدباء العرب في القرنين العاشر والحادي عشر ص ٢٦٤

١٢، راجع ص ٢٢٤ - ٢٢٩ من هذا الكتاب .

## متفرقات

النحت :

دعا الشدياق الى استعمال النحت لصوغ الفاظ تسد مسد الالفاظ الاعجمية التي  
جدت في هذه النهضة . وهو يعتمد في ذلك على ما اورده السيوطي في الزهر نقلا  
عن ابن فارس في فقه اللغة . قال ابن فارس في فقه اللغة :

" العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة وهو جنس من الاختصاص ، وذلك رجل  
عبيشي منسوب الى اسمين وانشد (الخليل )

اقول لها ودمع العين جـار      الم تحزنك حيلة السنادى

من قوله حي على وهذا مذهبا في ان الاشياء الزائدة على ثلاثة احرف فاكثرها منحوت  
مثل قول العرب للرجل الشديد ضبط من ضبط وشبر . وفي قولهم صهلقت انه من  
" صهل وصلقت ، وفي الصلدم انه من الصلد والصلدم " .

ويتوسع السيوطي في هذا الباب فيورد بعض ما جاء في الاصول عن هذا  
البحث فياتي بها ذكره ياقوت في معجم الادباء وابن السكيت في اصلاح المنطق والشعالي  
في فقه اللغة والجوهري في الصحاح وابن دحية في التنوير وابن فارس في المجمل .  
وبما ذكره سواهم في هذا الباب .

والشدياق بعد ان يعرض آراء هؤلاء يقول : وكيفما كان فان النحت طريقة  
حسنة تكثر بها مواد اللغة وتوسع اساليبها ولها نظير في اللغة اليونانية وسائر اللغات  
الافرنجية وهي التي كثر مواد لغاتهم واحوجتنا الى الاخذ بها " .

وياتي في موضع آخر على ذكر النحت ويورد آراء اللغويين فيه ويدعو الى استعماله  
ويقول : " فعلينا ان نفيد ونستفيد وننتفع بكل من الحديث والعهد " ثم يورد امثلة  
ما عثر عليه من المنحوت .

١. الصاحبى فقه اللغة ص ٤٤٧

٢. الخضر ج ١ ص ٤٨٢

٣. كنز اللفاظ ج ١ ص ٢٠٢

٤. كنز اللفاظ ج ٥ ص ٤

هذه هي دعوة الشدياق الى النحت وهي صريحة بيينة فما هو مقفنا نحن منه ؟  
هل نقره ونقر اللغويين عليه ام نقول كما قال بعض المتقدمين من علماء اللغة :  
ان اللغة العربية هي لغة اشتقاق وليست لغة نحت .

تنقسم آراء الباحثين في هذا الموضوع الى قسمين . الاول يرى ان النحت  
حائز في اللغة العربية . والثاني يرى انه غير جائز . ويمثل الرأي الاول الاستاذ اسماعيل  
مظهره . ان يرى ان اللغة العربية قابلة للنحت . وقد استشهد على ذلك بوضع كلمات ر  
رباعية مثل صلخد وجلمد وختلع . فاثبت ان الاولى منحوتة من صلد وصدخ والثانية  
من جلد وجمد والثالثة من ختع وتلع .<sup>١٤</sup>

ويمثل الرأي الثاني الاب لويس شيخو ان يثبت ان النحت غريب على اللغات  
السامية وانها تنفر منه . فيقول :

" اما اذا انتقلنا الى اللغات الشرقية المعروفة بالسامية نسبة الى سام بن  
نوح لشيوع هذه الالسنة بين القبائل والام المنتسبة اليه وجدنا انها بخلاف اللغات  
السابق ذكرها لا تانسر بالالفاظ المنحوتة والكلمات المركبة " .<sup>١٥</sup> ثم ياتي بامثلة من اللغتين  
العبرية والسريانية يثبت فيهما ان النحت قليل فيهما وانه ظهر في بعض كلمات لا غير .  
ويحصي الكلمات العربية المنحوتة فاذا بها لا تكاد ترى على الخمسين .<sup>١٦</sup>

والدكتور انيس فريجه فانه يرى ان اصول هذه الكلمات تعود الى الثلاثي اما  
الحروف الزائدة فهي من احرف الزيادة في اللغة العربية التي لا تجمعها كلمة  
سلا تمونها . فكلمة صلخد هي وزن فعل من صخد وهذا الوزن بشائع جدا . وجلمد  
ايضا على نفس الوزن من جمد والخيتعور قد تكون من جتع ثم حتعر على وزن فلعر  
ومنها الخيتعور .<sup>١٧</sup>

وقد سألناه تفصيل رايه فتكرم وتحدث الينا حديثا مفصلا نلخصه فيما يلي :

- 
- ١، المصنّف مجلد ٩٦ ص ٢٩٢
  - ٢، المتدّ المنته الدرك ص ١٢٩
  - ٣، مجلة المتدّ مجلد ١ ص ١٤٦ - ١٤١
  - ٤، المصنّف مجلد ٩٦ ص ٥٦٨



اللغات السامية منذ عرفناها مدونة ترفض بطبعها النحت . ولكنها في طورها القديم كانت تعرف النحت بدليل الافعال مثل استفعل اصلها من فعل والسين للمتعدية وهذا شائع في اللغة العربية العامية وفي الآرامية زالمعينية . اما اصلها فغير معروف قد تكون بعية اسم او فعل او كلمة تدل على السببية من سبب مثلا . اما : ات لانها كلمة سامية معناها نفس والقاعدة السامية تنصر على انه اذا كانت الكلمة تبدأ بحرف صغير تأتي تاء : ات بعد السين . ومثل آخر على النحت القديم كلمة كتبت اصلها كتبت انت فاصبحت كتبتت وسقطت النون الساكنة لضعفها كما يجرى عادة في اللغات السامية .

وخلصته رايه انه اذا كان هذا نحنا فالظاهر انه جرى في اللغة الى زمن معين ثم وقف لان الملاحظ عندنا وعند الذين اهتموا بالامر ان اللغة العربية لا تقبل هذا النح هذا اذا استثنينا بعض توفيقات في الاختصارات المزجية مثل برمائي وماهيته وغيرها .

ونحن نميل الى الاخذ بالرأى الاخير فنقول ان هذه الحروف الزائدة على الاصل الثلاثي انما زيدت لتحدث زيادة في المعنى . وهذه الزيادة حاصلة من المعنى الذي ينطوى عليه الحرف نفسه . وقد توسع الشدياق في بحث خصائص الحروف العربية في كتابه "منتهى العجب" " مثال ذلك قوله ان من خصائص حرف الحاء السعة والانبساط اى ان الالفاظ التي تنتهي بحرف الحاء يكون في معناها شيء من خصائص هذا الحرف نحو الابتجاح والبذح والبراج والايطح والابلنداح والرحح والمسفوح والمفرطح والمسطح وما شاكل . ومن خصائص حرف الدال اللين والنعومة والغضاضة نحو البرخذاة والتيد والثار والخود والرادة والرهادة والفرهد والاملود والقشدة والملد وغيرها . ومن خصائص حرف الصين القطع والاستئصال والكسر نحو ارم ورم وجرم وحلم وحسم وحطم وما جرى مجراها وقر عليها " .

كان الشدياق من الرهيل الاول الذين اتصلوا بالحياة الاوروبية اتصالا مباشرا  
 فعرف لغاتها والذ فيها وترجم عنها ، فاضطر الى وضع بعض الكلمات التي تفي باغراضه  
 الجديدة ، كما انه اضطر الى تعريب البعض الاخر . وقد استعان به بادجر في تاليف  
 قاموسه المشهور كثيرا وقد ذكر ذلك في مقدمته .<sup>١٠</sup>

ولا تعرف بالضبط مساهمت الشدياق في هذا الحقل الا ان بعض المصادر  
 تذكر مساهمته هذه وتشير الى الكلمات التي وضعها او عربها . وقد اشرنا الى بعضها  
 في الفصل الاخير من هذا الكتاب<sup>١١</sup> وما نحن نشير الى البعض الاخر .

ذكر الكونت طرازي ان كلمة جديدة هي من وضع الشدياق<sup>١٢</sup> والفرق امين المعلوف  
 يقطع بان الباخرة من وضع احمد فارس ، كما انه ينسب اليه الكلمات الاتية دون ان يقطع  
 في ذلك وهي : الاشتراك والبطاقة والبهو والثقاب والبرق والبريد<sup>١٣</sup> . ولاستاذ محمد  
 كرد علي ينسب اليه الكلمات الاتية ، دون ان يذكر المصادر التي اعتمد عليها وهي :  
 الجريدة والمؤتمر والحافلة والمنطاد والمطعم (لذكان الاكل) ، والسلك البرقي  
 (للتلفران) والبازركانبي<sup>١٤</sup> (للسوقي) اي تاجر النسيج وهي من الفارسية زالبرزنيق (الرصيف)<sup>١٥</sup>

ولعل الشدياق اول من دعا الى مجمع علمي ، يعنى بامر الحضارة الجديدة  
 ويضع الكلمات لها . وقد اشار الى ذلك في عدة مواضع ، قال :

" وكان بودى لو تنتظم جماعة من الادباء لاختراع الفاظ تسد مسد الالفاظ العلمية  
 والاصطلاحية التي نجدها في كتب الافرنج نحو التلفران والغاز وما اشبه ذلك . واحب  
 ذلك الى باب النحت<sup>١٦</sup> "

ومن هذه الدعوة الصريحة نلاحظ ان الشدياق كان من المتحررين الذين لا

١٠ ، الذخيرة العلمية المقدمة ص ١١٤

١١ ، ص ٩٥ و٩٦ من هذا الكتاب

١٢ ، تاريخ الصحافة ج ١ ص ٧

١٣ ، المختطف ج ١ ص ٩١

١٤ ، مجلة المقبيس السنة السادسة ص ١٩٨ ويكرما الأستاذ امين محمد في محاضراته بسندة

البنائبة السنة الاولى ص ٤٦

١٥ ، كتاب العباب ج ٥ ص ٤٢

ينظرون الى اللغة كأنه شيء مقدس يجب الا يمس به بل كان ينظر اليها ككائن عضوي حتى له الصفات الكائنات الاخرى من حيث التطور . وهذه الصفة التجديدية التحريرية ظاهرة في ادب الشدياق عامة وقد اشرنا اليها في مواضعها .

---

الفصل السادس  
المحامي

ويعتادل آثاره الصحفية التي خلفها لنا في كنز الوثائق

استهل الشدياق اعماله الصحفية بالتحريير في " الوقائع المصرية " في عهد محمد علي .  
وكانت في اول امرها تصدر باللغة التركية فقط . ولكن الشدياق عمل فيها بعد ان صارت  
تصدر باللغتين <sup>(١)</sup> . وقد تولى كتابتها بدلا من العلامة رفاعة رافع الطمطاوى . وهو الذى  
انشأ الوقائع المصرية عام ١٢٤٨ هـ ( ١٨٢٨ م ) بعد عودته من باريس .

" فانصرف الى عمله بهمة لا تعرف الكلال حقبة من الزمان ابدى فيها من آيات  
الذكاء والعبقرية ما اكسبه احترام الحكام وجهابذة العلم وسما به الى مكانة رفيعة عجز دونه  
كثيرون ممن تقدموه في خدمة الامارة المصرية او عاصروه من رجال العلم والفضل <sup>(٢)</sup> . وفي  
ذلك يقول اخوه طنوس تحت تاريخ سنة ١٨٢٥ :

" وفيها سافر فارس الى مصر وخدم عند محمد علي في القلعة لاجل اعراب الوقائع  
اليومية لطبع البلاطة <sup>(٣)</sup> . ثم طلق فارس الصحافة مدة تقرب من ثلث القرن . الى ان عاد  
اليها في جوائبه التي اصدرها في الآستانة حين استقر فيها . ومن المؤرخين من يدعي  
ان احمد فارس حرر في جريدة " المرائد التونسي " ولكن هذا الانعاء عار من الصحة  
وقد بينا ذلك سابقا <sup>(٤)</sup> .

اما الجوائب فقد اصدرها اسبوعية في الثاني من تموز عام ١٨٦١ . اذ ان  
هنالك مقالا مأخوذا عن العدد الاول من الجوائب المؤرخ بتاريخ ٢١ ذى القعدة  
عام ١٢٧٧ ( وهو يوافق ٢ تموز سنة ١٨٦١ م ) <sup>(٥)</sup> . وقد راينا هذا المقال في الجزء  
الخامس من " كثر الرغائب " . وهذا بالطبع ينقض ما ذهب اليه الاب شيخوخ <sup>(٦)</sup> والكونت  
فيلب طرازى <sup>(٧)</sup> وسواهما في انها انشأت عام ١٨٦٠ . ولعل مصدر الخطأ في تقديرهم  
انهم عرفوا ان الجوائب صدرت عام ١٢٧٧ هـ . وهذا العام يقابل ١٨٦٠ م ١٨٦١ م .  
فاختاروا السنة الاولى .

وكان بادية الامر يطبعها في المطبعة السلطانية . ومنذ السنة العاشرة انشأ له  
مطبعة خاصة وجهازها بكل ادوات فن الطباعة حتى صارت تعد من اشهر المطابع في  
السلطنة العثمانية . " وقد انتشرت الجوائب انتشارا عظيما في الشرق والغرب ونالت شهرة  
واسعة لم تنلها جريدة سواها منذ ظهور الصحافة العربية حتى ذلك العهد .

(١) تراجم مشاهير الشرق ج ٢ ص ٧٥ (٢) فارس الشدياق له عدد ص ١٨ (٣) اخبار الايمان  
ص ١٩٨ ، و تعمد فارس على هذه العبارة في رسالة ارسلها الى اخيه طنوس ( المكثون  
عدد ص ١٧٠ ص ١١٢ فيقول : " وقد لكم لطبع البلاط في عهد محله فان الوقائع انما كانت لطبع بالمرور " )  
(٤) ص ٥٧٤ (٥) ص ١٧٤ (٦) الادب العربي في القرن التاسع عشر ج ٢ ص ٨٠ (٧) تاريخ الصحافة ج  
ص ٦١ .

فكان يقرأها سلاطين العرب وملوكهم وأمراؤهم وعلماؤهم في تركيا ومصر ومراكش والجزائر وتونس وزنجبار وجاوا والهند وغيرها . وقد ساعد السلطان عبد العزيز على توسيع نطاق هذه الجريدة لبيت فكرة الخلافة النبوية بين المسلمين المشتريين خارجا عن الدول العثمانية وكان أحمد فارس يقبض كل سنة خضمانا ليرة عثمانية من السلطان المشار إليه لهذه الغاية وكان كل من اسماعيل باشا الخديو مصر ومحمد الصادق باشا باي تونس ينفخ بمثل المبلغ المذكور لاجل خدمة افكارهما وترويج امطالع بلادهما (١) .

ولم تنحصر منزلة الجوائب في الشرق ولكنها دخلت المغرب حتى كانت جرائد باريس ولندرا تأتي بذكرها وذكر محررها في الكلام عن سياسة الشرق مستشهدا بأقواله . وكانت تلقبه بالسياسي الشهير والاخباري الطائر الصيت (٢) .

ويقول عنها مارتن هارتمن انها اعظم جريدة عربية ظهرت في ايامها ولم يسبقها من الصحف ما يباهيها . وكل المحاولات الصحافية قبلها كانت مباراة عن اعمال بدائية لصحفيين مغمورين . وقد بلغت هذه الجريدة من الشهرة مبلغا عظيما ، وكانت الحكومة العثمانية تؤازرها مؤازرة عظيمة لانها كانت تحمل رسالة الدفاع عن الاسلام . وقد انتشرت انتشارا واسعا في النحاء المعمورة ، وكان لها مراسلون وكتاب في مختلف البلاد (٣) . والشدياق يعبر عن رسالة الجوائب في العالم الاسلامي بقوله : من يحظر سائر الصحف السالك كانت وظيفة الجوائب الذب عن حقوق الامة المحمدية وارشادها الى ما يزيد في عزها ووجاهتها حرما على خيبرها ومصالحتها . صح لنا لمقتضى الدالة والخيرة ان نتعرض الخ . . . . . (٤)

وفي ٣ تموز سنة ١٨٧١ صدر الامر بتعطيل الجوائب لمدة ستة اشهر لانها ابت ان تنشر المقالة التي اوردها صحيفة " ترجمان الحقيقة " طعنا في الخديو اسماعيل . ومقابلتها المقالة باخرى عنوانها " سفاهة الحقيقة " دفاعا عن امير مصر (٥) . وقد ردت سليم فارس محرر الجوائب على هذا التعطيل بمقال علق فيه امتناع الجوائب عن نشر ما نشرته " ترجمان الحقيقة " وفي ذلك يقول :

(١) تاريخ الصحافة ج ١ ص ٦١ (٢) ترجمان الحقيقة ج ٢ ص ٧٨٤ ، ٧٨٥  
 (٣) الموسوعة الاسلامية مجلد ١ ص ١١٠٨ (٤) كثر الرغائب ج ١ ص ٦٧  
 (٥) راجع نص هذا الامر في كثر الرغائب ج ٧ ص ١٠٩

والدليل على ان هذا الانفصال كان ممكنا بصورة اخرى هو انه في ثالث يوم من ايجابه  
اظهر سفير انجلترا وفرنسا بهذا الطرف عدم موافقتهما على اجرائه هكذا اعني بالغاء  
الامتيازات التي تقررت في فرمان الصادر في سنة ١٨٧٢ . اما اتهام "ترجمان الحقيقة"  
الخدوي بان مراده كان الاستقلال فقد بينا بطلانه في جواب امر . ونريد اليوم على ان  
نقول انه لو كان مراده الاستقلال لما اختار ان يفصل من الحكومة المصرية وزيرين من  
الاجانب وفي عبارة اخرى لما خالف طلب دولتي فرنسا وانجلترا في نصبهما . فعدم  
قبوله توظيفهما ورضاه بالانفصال دليل على وفائه وولائه للحضرة العلية السلطانية \* (١)

واننا لنلمح في هذا الجواب الحنكة الصحفية التي اشتهر بها سليم . والبراعة في  
التخلص من المازق والميل الظاهر الى خديو مصر . كما اننا نلمح العداة الخفية للسلطان .  
ولخليل البرير في تعطيل الجواب حينذاك . واعادة نشرها ابيات اخرى فيها  
الحادث وهي :

لقد اشرفت شمس الجواب بعد ما	توارت وراء الحجب من سعي هائب
وعادت الى نشر الفرائد في الملا	بعود حميد جائنا بالسرفائب
فابدت لنا عرفا يؤرخ طيبها	بعز تسامي عود نشر الجواب (٢)
	٧٩ ٥١١ ٨٠ ٥٥٠ ٥٢ ١٢٩٥

وفي هذه المناسبة قال الحاج حسين بيهم :

لئن حجبت شمس الجواب بوهة	فذاك لسر قد بدا خيره فينسا
حكمت قمر حين احتجاج وقد بدت	كبدر بانواع المعارف يهدينا (٣)

وقد عطلت مرة اخرى في ٤ رجب سنة ١٢٩٧ الموافق ٧ كانون الاول سنة ١٨٧٦  
لمدة اسبوعين "بنا" على نشرها [ ] في صحيفتها الاخيرة عبارات تخل ببناء  
الدولة العلية (٤) . وفي سنة ١٨٨٢ قبض احمد فارس من سفارة انجلترا في الاستانة مبلغ  
الف ليرة انكليزية حتى يطبع صورة المنشور الذي صدر من الباب العالي باعلان عصيان  
عرايي باشا لاثارة نار الفتنة في وادي النيل فكان ذلك سببا لانكسار عرايي وسقوط  
اعتباره من عيون المسلمين عامة والمصريين خاصة (٥) .

(١) كنز الرغائب ج ٧ ص ١١٠ ، ١١١ (٢) كنز الرغائب ج ٤ ص ١٥١ (٣) تاريخ الصحافة  
ج ١ ص ٦١ (٤) كنز الرغائب ج ٧ ص ١٨٣ (٥) تاريخ الصحافة ج ١ ص ٦٢ . وقد  
لا حظنا في العدد ١١١١ من الجواب انها [ ] عرايي باشا





الجزء الاول : " وهو يحتوى على بعض ما في الجوايب من الفصول اللطيفة والمقامات  
الظريفة والمقالات الادبية التي لمحرر الجوايب " .<sup>(١)</sup>

في هذا الكتاب مباحث مختلفة منها ما هو علمي كمقالاته في الهواء وقوة البخار  
والغاز وابرة المغناطيس والبلون وغيرها . ومنها ما هو لغوي كمقالاته " فوائد سر الليال " .  
" وملاحظة ادبية في البخل " و " في فائدة لغوية " وسواها . ومنها ما هو ادبي انتقادي  
كالحكايات التي رواها وقصة السائح و " في بعض احوال تخر النساء " وسواها . ومنها ما  
هو اجتماعي اصلاحي كمقالاته " في ادب الدرر والنفوس " و " في اللهو والبطالة " و " في  
التمدن " وسواها . ومعظم ما ورد في هذه المقالات كان من قبيل المعلومات العامة .  
وهنا لا بد لنا من ان نعترف للشدياق بفضل السبق في نقل العلوم والآداب عن  
اللغات الاوروبية . وعرضها في اسلوب سهل جميل . بقصد توسيع مدارك القراء واثارة افكارهم  
وصقل ادواقهم .

واوضح ما يبرز في هذا المجلد، ميل الكاتب الظاهر الى الاصلاح في مختلف وجوهه  
في نظام الحكم وقد ترجم لذلك بعض المقالات التي تتعلق بعلم الدولة . وفي الاخلاق .  
وقد تعرض الى نقدها واظهار ما فيها من حسن يقتدى ومن سيء يتجنب . وكان من  
اغراضه تمدين البلاد الاسلامية . واثار هذه الرسالة واضحة كل الوضوح في ما حرره قلم  
الشدياق . وقد توسعنا في ذلك عندما تحدثنا عن كتبه الادبية .<sup>(٢)</sup>

وهناك دعوة تبرز في طيات مقالاته هذه . وهي الدعوة العثمانية وقيامها هي  
" توحيد كلمة الاسلام وجمع شتات المسلمين في حوزة دولة اسلامية تحت ظل الخلافة  
العظمى " .<sup>(٣)</sup>

وقد حمل هذه الدعوة نفر كثير من ادياء النهضة ولفكرتها . نذكر منهم على وجه  
التخصيص عبد الله فكرى (توفي ١٨٨٩) وعبد الله النديم (توفي ١٨٩٦) وابراهيم المولحي  
(توفي ١٩٠٦) ومصطفى كامل (توفي ١٩٠٨) ثم اسماعيل صبرى واحمد شوقي وحافظ ابراهيم .  
ولكنها ظهرت بشكل اوضح عند جمال الدين الافغاني والشدياق ومصطفى كامل .

(١) الصفحة الادلى من هذا الجزء (٤) ص ١٠١ مثلاً (٢) راجع الفصل الثالث فيه  
المزيد (٤) راجع مشاهير الشرق ج ٢ ص ٦١

وللشدياق كثير من القوائد والمقالات التي تبين عظمة الدولة والسلطان ومنها قوله :

للدولة العليا عليّ مآثر  
ساست ممالك ليس يحلم حدّها  
يشدو بها يوم الفخار الآثر  
ولغاتها الآ العليم القادر  
آلا النعيم وما اشتهاه الناظر (١)

ويقول في احد مقالاته مادحا السلطان منها بانتظام احوال الدولة .

" نيا ليت شعري لو كان للعرب الاقدمين دولة مثل الدولة العلية وكان وزرا وها  
اندا يعاملون جميع الناس بهذا الحلم الذي تعامل به هذه الدولة . ان ترى كل واحد  
يدخل عليهم من دون تجشم منه ولا جبه منهم فبايهم كانت تضرب المثل . نعم ان الدولة  
الاسلامية مدحت على الحلم وعلى سائر الفضائل الا ان حلمهم في المعاشرة مثلا لم يكن  
الا مع ذوى الفضل والعلم ان لم يكن يدخل عليهم احد الا من هذه الطبقة . فاما في  
المعاملة فمن المعلوم انها لم تكن ح مطردة مرتبة كما هو الآن عند رجال الدولة العلية .  
ولم تكن ايضا متنوعة بتنوع الاجيال . فهل كان عند الرشيد مثلا سفراء من جميع الممالك  
وفي كل يوم لهم طلبه ومسألة وهل كان سكان بغداد مؤلفين من جميع اقطار الدنيا  
كسكان اسلامبول بل ليس ايضا من مناسبة بين حلم الدولة العلية وبين غيرها من الدول  
فان الصدر الاعظم عندهم لا يدخل عليه احد الا باذن وتوصية او مت بقراية او بوسيلة  
خطيرة وكذا سائر رجال دولتهم القائمين بالسياسة والايالة بخلاف الواقع هنا فان جميع  
رجال الدولة العلية مشتركون في مزية الحلم وكل منهم اذا سئل اجاب واذا استمع اثناب  
فلا حاجب بينهم وبين قاصديهم ولا حجاب . واني اعجب من كل من يرى ذلك ولا يتعجب  
ولا يزيد لهم في الدعاء وهو عليه اوجب . لا جرم ان الحلم في سادة الناس من اجل  
الخلال واكرم الخصال وموقعه في النفوس اعظم منه في المسود المرؤوسه فان المرؤوسه هم  
الذين يحتاج اليهم في دفع المهمات ورفع الملطات وفي اشكا الشاكين واطلاب المحتفين  
فمتى كان رئيس القوم حليما كان مرؤوسهم سليما " (٢)

وفي موضع آخر يقول على لسان سائح جاء حديثا من البلاد الافريقية :

" فاني يا ابا الجوائب مثلك شديد الغيرة على جمع شمل المسلمين والتاليف فيما

(١) الكنز ج ٣ ص ١٥٢ (٢) الكنز ج ١ ص ١٠٢

بينهم على المودة والصفاة و حتى يكونوا كلهم على رأى واحد هذا غاية ما اروم الخ .....  
الى ان يقول " لان المسلمين اذا كانوا كلهم على رأى واحد من جهة الخراز دينهم  
واحترام حقوقهم . بقطع النظر عن جزئيات السياسة . ثبتت سطوتهم وخشيتهم عند جميع معاديين

وتظهر هذه الدعوة بارزة قوية في رد سليم فارس على تعطيل الجواب الذى  
اوردناه سابقا ان يقول . يا ايها من ابيه . ونهجا على خطته . وتمشيا مع سياسة الجواب :  
فاخترنا تعطيل الجواب على خروجنا على المسلك الذى سلكتاه مدة ثمانى عشرة  
سنة . لا جرم ان كل من يخطر بباله اتحاد الممالك الاسلامية . لا يهون عليه الطعن في  
الخدو السابق الاعظم " (٤)

اراد الشدياق للبلاد الاسلامية الوحدة . ولكنه <sup>ان</sup> يتأقب نظره . ويناف على خبرته الواسعة  
واطلاعه العظيم على تاريخ الدول ومسالك العمران . ان هذه الوحدة صعبة العنال . اذا  
لم يمهدها باصلاح عام شامل يتناول السياسة والاجتماع والاقتصاد . ولذا نراه يحمل  
مشعل الهداية في يده . يضيء به الطريق امام ابناء الامة الاسلامية . وفي ذلك يقول  
محمد بيرم ناظر الاوقاف في تونس ملخصا رسالة " الجواب " .

بفوائد تجلي الضيا للقباس	فترى الجواب كل حين تمتلي
ان الهلاك مسارع للناس	يا امة الاسلام عوا واستيقظوا
يتألف وتودد وتوانس	يا امة الاسلام احبوا ذكركم
بمعارف وصنائع ومجالس	يا امة الاسلام انموا صيتكم
بتشاور وتدبير وحوارس	يا امة الاسلام حوطوا امركم
بديانة قد سترت بجنادس	يا امة الاسلام اجلوا فجركم
ولا تضيعوا نجحكم بتقاس	يا امة الاسلام هبوا للفلاح
بتماضد وتمدن وتنافس	يا امة الاسلام صونوا عزكم
بتعاون ومصانع ومفارس	يا امة الاسلام زيدوا ثروة
بتناصر وتناصح وتجانس	يا امة الاسلام شيدوا مجدكم
بشباتكم بين البرايا ما نسي	يا امة الاسلام شدوا عزمكم
ما يحق بفضل المتجانس (٥)	فالله جل جلاله يجزيه عنا

(١) الكنز ج ١ ص ٥٥ (٢) راجع ص ٤٩ من هذا الكتاب (٣) الكنز ج ٢ ص ١٣٣

اما أسلوبه في هذا الجزء فهو الأسلوب الصحافي المعتاد وصفاته الأساسية هي الجلاء ووضوح التراكيب وقوة العبارة ومثانة الحبكة والسلامة والرشاقة وهذا لا يعني انه لا يركب أحيانا مركب المسجع الذي اظهر بغضه له في غير موضع من **القبلة** . واكثر ما يظهر سجعده في الجمل الأدبية التي بالاضافة الى ما فيها من جمال في الأسلوب تدل على تعمق في دراسة النماذج البشرية . ويميل الى عرضها في أسلوب نقدي لاذع فيه شيء من الاستخفاف وشيء من الدعابة والمرح . وهذا النقد لا يقصد به الشدياق الهدم . وانما يقصد به الاصلاح الشامل الذي يقوم على معالجة نفوس الافراد . وتهذيبها حتى تنسلك في جماعة انسانية صحيحة الجسم متينة البنيتان . وان دلت هذه الجمل على شيء من شخصيته الكاتب الغنية فانما تدل على براعة في تصوير خلجات النفوس وتبميز ملامح الشخصيات . كما انها تدل على عناية بالحياة الواقعية واختفال بالنفوس البشرية يؤدى به الى تتبع خطراتها وتسمع همساتها هذا كله ومن ورائه عين يفتحة مفتوحة . تأخذ الحياة بالتفصيل ، لا تغونها فيها حركة او خطرة ولا يند عن وعيها لون . ولا ينتسخ ظل . عيني تستعرض الحياة والناس والطبيعة ، ولا تنفي من هذا الاستعراض ولا تكل عن تقصي ادق الدقائق في حركات الذات الانسانية وفي حيوان الافراد والمجتمعات . ومن امثلة سجعده الجميل في هذه الجمل قوله :

من الناس من يكدح لمعاشه كأنه لا يموت ابدا . فتراه دائما مهتما بالاحتراف والاصطراف . والاجترار والاكتماب والاختلاب والاهتبال والاجتداء والاعتداء والاستكثار والامتياز والاستثثار والادخار وما يبالي ان فقد صباحا بتحصيل درهم او غنم من حيث لا مخنم او ان انشب مخلبه في غير منشب او ان يادهته الناس باللوم والسب فان حب المال اذا استولى على قلب المحتال خيل له السراب شرابا والوشل عبايا فانذا اعتاد كسبا من جهة اتخذ تلك الجهة قبلة له وناط بها امله ومعوله وانذا استفاد من احد فائدة ظنها قد صارت عليه فرضا مكتوبا وانذا محسوبا لا يبرح من باله ولا يشغله عنه حال من احواله . فانذا خاب يوما امله ظن ان قد ادركه اجله فيعول ويشكو ويصبح ويسكو ويقول يا للرجال اين المال واين الامال واين من كان يلقي السائل بالنوال فقد نسد الزمان وضاع العرف والاحسان وقلت الاخوان .<sup>(٤)</sup>

والحيوية والنشاط صفة تكاد تكون ملازمة لاسلوب الشدياقى ولا سيما حين يتحدث عن النساء فانك آنذاك تشعر بحرارة الحياة تدب في كتابته ، ولا عجب في ذلك فالشدياقى زير نساء . الم يخصصهن بجزء كبير من ساقه وكشف مخبئه وواستطه وجوائبه ، تقدم فيه بريشة الفنان الى رسم خلقهن وخلقهن وبموضع العالم النفساني الى تحليل طباعهن وهاداتهن وحركات ذواتهن ؟ وخير ما يمثل ذلك مقالته الطويل " في بعض احوال تخسر النساء " <sup>(١)</sup> فقد اتى فييفة بالمعجب المطرب من الافكار واتواهاها ، وقد وضع اكثرها في شكل حوار بين زير النساء ، وخصمن ، ووضع فيها من الافتنان العقلي والافتنان اللفظي ما يشهد له ببراعة في الكتابة وعمق في التفكير . وكذلك مقالته الطويلة " قصة سائح " <sup>(٢)</sup> وقد وضعها على شكل حوار مليء بالحركة والعمل ، يشعر امامه القارى انه اقام متكلم من اهل الكلام يعرض افكاره في الاصلاح ، بعد ان نفخ فيها من روحه فسارت حية باذن الفن . وقد يروق للشدياقى احيانا ان يلهو بقلمه ويبحث به ، فيخرج به عن طبيعة البساطة الجميلة فينشى " مقالا في التصريح ، على كره منه ويقدم له بقوله :

" اني كثيرا ما فكرت في فن البديع الذى هو من بعض الادلة على فضل اللغة العربية على سائر اللغات فاحببت هذه المرة ان انشى " مقالة برمتها من نوع التصريح ومثاله في الكتاب العزيز " ان الينا اياهم ثم ان علينا حسابهم " فيها انا ادعو جميع من على وجه الارض من الافرنج لمعارضة هذه المقالة " واعتقد انه من تمام الفائدة ان نقتبس منها بعض العبارات لا لشيء سوى تبيان مقدرة الكاتب على الضميمة الادبية . مجازاة لروح العصر ، التي كانت تفتش عن القوالب قبل ان تجد ما تصبه فيها من الجواهر . وهذه المقالة لا تخفى عن جملة الادبية ، ولذا نلصق فيها ما نلصقه في تلك من البراعة في التصوير ومرض النماذج الانسانية والافتنان العقلي الذى يعتمد في الاكثر على المنطق والكلام . قال :

" من الناس من تخلق فكره من فنون الاقتراح خوالج ، وتلصق صدره من شجون الاجترار لواعج ، وتزعجه المآرب الى اقصى المرامي ، وتزعجه المطالب الى اعصى المواصي ، وتستغزه وتستغويه ، وتستبزه وتستغويه ، لكنه يفتح لها صدره ويشرح صدره ، ويجتنب منها

(١) ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ (٢) ج ١ ص ٥١ (٣) ج ١ ص ٢٤٤

بواجب الضمير، ويرتقب لها سوانح الفرص، ويتحين انتجاعها، ويتبين انتفاعها، ويخبر مشروعيها ويسبر ماضيها، فلا يبغيتها الا حذرا، ولا ياتيها الا ظفرا، ويرى ان الانتظار احسن معين على تحصيل الامل، والاصطبار ايمن قرين لتسهيل العمل، فرب عجل اهب الاجل، ولا تخلو ابتسار عن انهياره، ولا تجلو اوطار مع اخطاره، ولا يعلو منار في مغاره، واذا دانت منه، او هانت قفينة او حانت امنية لئلا تغادر التبصر، ويادر التهور فطال طلبا ونال اربا فانما يكون من قل النوادر، ولا يهون لكل مخاطر فالليب الحازم من تاني فيمطر تضيء، والاريب العالم من لا يتعنى الا لما به يتقنى، اذ ليس الاستكثار مظنة للرفاهة ولا الاستهتار مظنة للنباهة... الخ... (١)

اما الافتتان العقلي الذي تحدثنا عنه في غير هذا الفصل واشرنا اليه سابقا فيظهر كثيرا في جوائب الشدياق، ومن ذلك قوله في بيع الرقيق في الاستانة :

" اما تشریف الجوارى السود الى هذه الاوطان فله سببان احدهما ان سكان البلاد المجاورة لبلادهم يخطفونهم خطفا ثم ياتون بهم الى بعض الجهات التي يروج فيها بيعهم وبيعتهم بثمن بخس، والثاني ان قبائل بلاد السودان الذين دابهم القتال وشن الغارات والنهب متى ظفرت قبيلة باخرى باعت نساها واولادها وافنت رجالها والذي يفهم من كلام الجوارى ان اولئك القبائل مسلمون، فاذا اخذنا بقولهم واعتبرنا طريقة الخطف حكما بان بيعهم حرام قطعا، واذا فرضنا ان تلك القبائل ليسوا على الاسلام، فالسياسة تقتضي منع هذه التجارة الذميمة، فان الدولة الروسية قد حررت جميع من كان في بلادها على حالة العبودية وكان مقدارهم عظيما، وكذلك دولة اميركا الشمالية حررت سكان الجنوب اربع سنين لابطال العبودية من ارضها مع ان اهل الجنوب كانوا من ذوى قرابتهم ولان لا يوجد في روسيا واميركا<sup>٨</sup> رقيقا فكلهم نالوا الحرية التامة فاجدر بالدولة العلية ان تهتق من بلادها من العميد والامام جيرانا اجدر الناس جميعا بهذا العمل الخيري من عدة اوجه اولها ان هؤلاء الجوارى لا يحسن الخدمة اللازمة لاصحاب العيال فانهم لا يعرفون الخياطة ولا غسل الثياب ولا تنظيف الديار ولا تنضيد فرشها حتى للطبيع لا يدرين منه شيئا معجبا لدى الذوق السليم

مع انهن انما يشترين له والثاني ان عددهن بالنسبة الى عبيد اميركا قليل جدا وان  
يكن في كل دار من ديار الاستانة واحدة منهن او اكثر اذ داخل المملكة خال بحمد  
الله منهن فلا تكاد ترى لهن هناك عينا ولا اثرا وان رايت فانما يكون في بيت احد  
العامورين الذين ساروا من الاستانة الى بعض المدن في خدمة ما للدولة . فانهم اذا  
استخدموا في الخارج نقلوا معهم من كان عندهم بالاستانة من العبيد والجواري والانتاج .  
والثالث ان هؤلاء الجواري شكمت الاخلاق متكبرات لا يقبلن التأديب والترهيب اذ يزعمن  
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان من السود وهذا مسبب عن احد امرين اما لاعتقادهن  
ان اللون الاسود خير من اللون الابيض حتى انه يهزق البيض بحمر الاذان . واما لان  
اهل الاستانة يدعون جنس السود عربا ما عدا الجواري اللاتي كن في مكة والمدينة  
فانهم يعرفن ان هذا الزعم باطل الا انهن يكتمن ما عرفنه من هذه الحقيقة . . الخ (١)

**وهكذا يمضي الشدياق** ذاكرة بقية الاسباب محتدا في عرضها ومناشيتها اعتمادا  
عريضا على المنطق . بانها آراء على صحة الادلة وصدق المقدمات . وهذا ظاهر في  
اكثر آثار الشدياق . وقد تحدثنا عنه حين تكلمنا عن الساق . وجمله الادبية مليقة بمثل  
هذه الادلة التي تشير الى قوة عارضة ومقدرة على ربط المسببات بالاسباب . وتقديم  
المقدمات واستخلاص النتائج .

وقبل ان ننتهي من عرض هذا الجزء نحب ان نتوسع في الحديث عن اصلاح  
الاجتماعي الذي اشرنا اليه سابقا .

يتخذ اصلاح في ادب الجوائب طرقا مختلفة . فتارة ترى الفارياق يطلع  
العثمانيين على طرف من انتاج العقل الاوروبي في العلم والصناعة . شكذا ملهم وتشويطا  
للعقول . ومقالاته في هذا النوع من قبيل المعلومات العامة المبسطة . وطورا نراه يتعرض  
للمدنية الاوروبية فيبين محاسنها مساوئها . ولا يتحاشي ان يعرض لبعض العادات السخيفة  
عندنا وعند الاغرنج (٢) . حتى اذا توغل في داخل البلاد العثمانية دعى بخفة وحذر الى  
اصلاح الحالة الداخلية من تنظيم في السياسة والادارة . ومن تشجيع للعلم والمطالعة  
وبناء المدارس ودور الكتب لذلك (٣) وهو في الاكثر يعرض لبعض احوال التمدن الغربي  
ويقارن ما عندنا بها . ويترك للقارى امر الاستنتاج .

(١) الكنز ج ١ ص ٨٥ (٢) ابرو الكنز ج ١ ص ٤٤٣ ، ٤١٦ ، ٤١٤ ، ٤٢٤ ، ٤٢٤ ، ٤٢٤  
٤٩ ، ٤١٦ ، ١٩٦ ، مساوما (٣) ج ١ ص ١٤٤ وسواها (٤) ج ١ ص ١٥١ ، ١٥١ ، ١٥٤  
١٥٤

وقد نالت عادات الناس واخلاقهم ونظم عيشتهم في الاستانة ، وفي الشرق عامة و  
من جوانبه حظا كبيرا فنراه يهاجم العادات المتفشية في المجتمع العثماني ، مشددا عليها  
النكير دون تلطف او هوادة . فيهاجم مثلا الذين يقتلون الوقت فيما لا طائل وراءه فيقول :

" ان الوقت اجل شي . يمان عن الضياع فكل دقيقة منه ينبغي ان تخصص لامر  
يرضي الله وينفع الناس . مع اني ارى اغلب الاشياء في الاستانة انما جعلت من الاصل  
لاضاعة الوقت عبثا . فمن ذلك الزيارة في الصبح لمجرد السلام والكلام ، فلا يخرج الزائر  
من عند المزور الا بعد ان تنضب مواد كلامه كلها فاذا فضل من عنده وخطر بباله شي  
لم يذكره من قبل قصد شخصا آخر ليبلغه اياه ان يرى ان كتمانه مضیعة له ، فاذا  
اجتمعا رجع الى الكلام الاول واعاده مزخرقا . وهندي ان الزيارة في الصبح لمجرد الكلام  
لم تكن معروفة عند العرب يدل عليه لفظ المسامرة اي المحادثة فان اصلها من السمر  
وهل الليل وظل القمر ، فله در العرب ولله در من يقتدى بهم فان اضاءة اول النهار  
في الكلام الفارغ عندي اهم كبير . ومن ذلك البيع والشراء فان البائع لا يرضى ان يبيع  
الشاري شيئا الا مع الاشطاط والشاري لا يريد ان يشتري شيئا الا مع البخر فياخذان  
في الجدل والخصام من دون طائل . فانا ما لنم لاحد ان يشتري عدة حاجات في  
وقت واحد اطاع من عمره فيها عدة ساعات " . (١)

وهل ادل من جملة الادبية على ميله الى الاصلاح عن طريق التهكم القرون  
بتعمق في دراسة الناس وعاداتهم واخلاقهم ؟

والنزعة الانسانية واضحة الظهور في الجوانب وتتخذ عدة مظاهر منها مقت الحرب  
والدعوة لايقانها لانها تجر الولايات على الانسانية كما لنهاار تظهر<sup>في الانصاف</sup> للمرأة . فهو ينادى  
لها بالتعليم فيما تستطيعه والمساواة مع الرجل على قدر معادلتها له في القوة والجلد .  
وهو يضع آراءه على شكل حوار كعادته في بعض الاحيان ، بين عدو المرأة ونصيرها .  
ويظهر ميله الى تعليم المرأة<sup>(٤)</sup> والى<sup>السماح</sup> معاظاة الاعمال التي تقدر عليها ويحزو جهلها وتاخرها  
الى جهل الرجل وتاخره<sup>(٦)</sup> ويخصر بالذكر المرأة المسلمة التي تؤمن بالخرافات والشعوذات<sup>(٧)</sup> .

وهو يشدد في هذا الدعوة ، ويحيرها قسما كبير من اهتمامه لانه يؤمن ايمانا  
عظيما في التربية ويعددها الفارق الاول والاهم بين الشرق والغرب . والتربية اول ما تكون

تكون

(١) ج ١ ص ١٥١ وراجع ايضا ص ١٩١ ، ١٩٦ وسواها (٢) ج ١ ص ٢٠٦ وما بعدها  
(٣) راجع كذلك ج ١ ص ١٧ ، ١٩ من هذا الكتاب (٤) ج ١ ص ١٤٤ (٥) ص ٢٥ ،  
(٦) ص ١٤٧ (٧) ص ١٤٦



في البيت على يدي المرأة قال

" وكيفما كان من هذا الخلاف فان التربية تغير هذه الاخلاق فاذا احسنت تربية الولد حسنت اخلاقه وان اردتها ردوت فهاهنا الان ننظر في تربية اهل الشرق لاولادهم ونطابق بينها وبين تربية اهل الغرب ثم ننظر في تأثيرها ونتيجتها في كلا الفئتين الخ... (١) الى ان يقول :

في البلاد  
" وفي الجملة فان معظم الاولاد الشرقية تفسد عقولهم بملازمتهم امهاتهم من قبل ان يعرفوا الطريق الى المكتب فاذا صاروا اليه بقوا على ما كانوا عليه فان الولد يصداق امه اكثر من معلمه ويمكن ان يقال ان هؤلاء النساء معذورات على تربية اولادهن على الوجه الذي تقدم فانهن لا يعرفن غيره وهو الذي الفته وتعودن عليه فلا غرو ان يعودن عليه اطفالهن . وانما الذنب على الرجال حيث يتركون نساءهم على حالة الجهل والغباوة بل هؤلاء ايضا يظنون ان المرأة لم تخلق الا للفرار فلذا كان همهم كله في ان يكون لهم ازواج حسان يقطع النظر عن جهلهن بالمعارف والادب الخ... (٢)

الى ان يقول مهاجما تعدد الزوجات :

" فاذا كانت المرأة تحسن المشي في الدار وكلما تناولت زوجها شيئا ابدت له

التمنن كما تقول العامة فذلك هو المراد حتى اذا لبثت عنده سنة ورأى نفسه ان قد شرهت الى اخرى استعطل جميع الوسائل الى اشباع نفسه من هواها وهلم جرا الى ان يجتمع عنده في الدار طائفة من النساء الغياري وطائفة من الاولاد الحمقى (٣)

ولعل دعوته هذه الى اصلاح حال المرأة هي الثانية فاذا اعتبرنا دعوة المعلم بطرس البستاني الاولى . وقد يكون القسطح قاسم بك ايبين قد تآثر بدعوة الشدياق هذه واخذ بعض آرائه في الاصلاح عنه .

وتظهر نزعة الانسانية ايضا في اهتمامه بتحرير الرقيق في الاستانة وينادي بابعاد

الجواري عن البيت العثماني اذ يحزو اليهن كثيرا من اسباب التفهقر والانحطاط . وهو يذكر اسباب ذلك على صحة ما يذهب اليه ببراھين عقلية منطقية (٤)

كما ان هذه النزعة تظهر في عنايته بالعامل والفقير . وعطفه عليه ومناداته له بالانصاف . وبازالة الفوارق بينهم وبين غيرهم . ومن ذلك قوله :

" ولهذا لا ينبغي ان تحقر احدا ممن يعملون بايديهم ويمتهنون انفسهم لصيانة وجوه معلمهم فان زينة الكون بهم وعمران الدنيا متوقف على دابهم فهم اولى بالاكرام ممن يصرفون اوقاتهم في اللهو والمدام والقصف والاثام . وسواء منهم من يكسو الراس بعمله او يكسو القدم . ومن يطبخ سيفا او مبراة للقلم ، فهم جميعا بمنزلة اعضاء متعددة في جسم واحد . فليس لك ان تقول ان هذا العضو مستغنى عنه او انه من الزوائد ذلك صنع الله الذي خلق الناس فاحسن خلقهم وجعل من ابواب متفرقة رزقهم . فما يحجز عنه واحد من خلقه بقدر عليه آخر وكلهم مشترك في العمل الى ان يحين الاجل " . (١)

وقوله في موضع آخر يتحدث عن الاغنيا . المشكركين المسرفين .

" ولكن هيهات فانك لا تكاد ترى غنيا الا وقد جمع في السرف وجنح الى الصلف فيرى ان جميع الخلق دونه وانهم محتاجون منه الى المؤنة والمعونة فيترفع عنهم قدرا ويتيه عليهم كبيرا وقد فاته ان حاجته الى الفقير اشد من حاجة الفقير اليه . وانه لو ترك غناه لما نفعه شيء . مما بين يديه اذ لولا الحارث والزرع لهلك جوعا ولم تنح نائحة عليه ولولا الخياط والتاجر لما لبس خزا ولا ديباجا ولولا الاسكاف لما سلك منهاجا ولولا الفعلة لما تبولأ دار فيحاء . ولولا غارس الكرم لما شرب الصهبا . فما فضل الغني على الفقير وما بون الكثير على اليسير . والمرء يكفيه في الدنيا القوت الزهيد والثوب الكسيد . بل المقلون اصح ابدانا من المكترين واطول اعمارا ولهم طاقة على تحمل المشاق لا تبارى . . . . الخ " . (٢)

ويعد فمن اتى<sup>البحر</sup> الشدياق بهذا كله ؟ لا شك في ان له من دراساته اللغوية والادبية التي تعتمد في الاكثر على العقل والمنطق . ومن مطالعته في الآداب الغربية كما تبين فيما بعد ومن اختبارات في الحياة والناس . التي اكتسب اكثرها من اسفاره الطويلة الكثيرة . اذ كان رحالة جواره كانه موكل بغضا . الله . اقول لا شك في ان له من كل ذلك . بعد مروره على تلك العقلية الجبارة والذكا . العميق . زاد عظيم من التلوين العقلي والتلوين اللفظي . وهذا ما اشرنا اليه . سنضطر الى الاشارة اليه في اماكن مختلفة من هذا الكتاب .

والشدياق لا يستفكها عن ان ينقل لمن اللغات التي يعرفها بعض ما يلص منه  
فائدة محققة في توضيح الرسالة التي كان يحملها . فالترجمات تشغل جزءا كبيرا من ج  
جوائبه ، وقد اشار الى ذلك بقوله متحدنا عن نفسه :

"ولكن كيف يتاتي لمن يعاني الترجمة والتاليف ان يضع زهرة عمره في الصياح  
ويقعد مصغيا الى كلام فارغ لا يستحسنه الا قائله " .<sup>(١)</sup>  
ويقول في موضع آخر :

" من احوجه الدهر الى ترجمة الاخبار السياسية وخصوصا اخبار التلفزيون وجب  
عليه ان يطلقها بصدر رحب وصبر طويل ، وذلك لكثرة ما يرد عليه منها من التناقض  
والاسفاف والافتضاب " .<sup>(٢)</sup> ولا شك في ان المقالات العلمية التي نشرت في الجزء الاول من  
"بغز السرفائب" كمقالاته "في الهواء" و "في قوة البخار واخترع البخارة" و "في الغاز"  
و "في ابرة المغناطيس" وسواها من هذا القبيل . ويغلب على اسلوبها السهولة والوضوح  
والباسر المعاني ما يلائمها من الالفاظ وتجنب التقديم والتاخير وحرفية النقل ، مما يخل  
بالعبارة العربية ، ويتصر بها عن اداء المعنى المطلوب .

الجزء الثاني : وهو يحتوي على ذكر وقائع حرب السبعين التي وقعت بين جرمانيا  
وفرنسا . وهو من قبيل الاخبار الاساسية التي تكون عنصرا اساسيا في الصحافة .  
وفائدة هذا الجزء تاريخية في الدرجة الاولى اذ انه يطلعنا على اخبار سجلها صحافي  
قديم كان معاصرا لها ، ولم يكن بالاعتماد على نفسه في ايرادها ، بل حاول ان ياخذ  
عن الصحف الاجنبية التي كانت تقع بين يديه . وكان موقفه من هذه الاخبار الترجمة  
والترتيب والتلخيص والمقارنة ، والتعليق . وهو يعترف بانه كان ياخذ عن الصحف فنراه يشير  
الى ذلك في عدة اماكن فنراه يذكر جرنال برلين المسمى "كروزينون" و "نيوفري"<sup>(٣)</sup>  
و "البال مال"<sup>(٤)</sup> و "الخلواس"<sup>(٥)</sup> و "الديلي نيوز"<sup>(٦)</sup> و "فرندي انديا"<sup>(٧)</sup> Friend of India  
وسواها وهو يشير الى انه يترجم عنها فيقول مثلا من الحرب :

(١) الكنز ج ١ ص ١٦٩ (٢) الكنز ج ٢ ص ٦٦ (٣) ج ٢ ص ٢ (٤) ص ١٥ (٥) ص ١٧  
(٦) ص ٤٤ (٧) ص ١١٧ (٨) ص ٨٧

• وليكن معلوما اننا لا ضلع لنا مع احد الفريقين ولا تعصب فان هاتين الامتين  
العظيمتين مستغنيتان عنا لما مثل تعصبنا لاحدهما الا كمثل الذبابة التي لبثت على قرن  
الثور وانما نشفق على النفوس المعدة للهلاك لمجرد كلمة "فوه" بها ملك بروسية وعلى ما  
يصيب غيرهم من العسر والضنك بسبب هذه الحرب. فكم من اولاد تيمم ونساء تحمل وبيوت  
تخرب واحباب تفجع وهيون تدمع واكباد تتمزق وآمال تخيب واعمال تحبط ومن جملة هذه  
المصائب انه يلزمنا ترجمة اخبارها ثم نشرها والتشاكل بها • (١)

ويقول في موضع آخر :

• من احوجه الدهر الى ترجمة الاخبار السياسية وخصوصا اخبار التلفزيون وجب  
عليه ان يتلقاها بصدر رحيب وصبر طويل وذلك لكثرة ما يرد عليه منها من التناقض والاسفاف  
والاقتضاب • (٢)

ولا نستطيع ان نجري على آرائه السياسية - حكما قطعيا لاننا بما بين يدينا من  
مصادر لا نستطيع ان نميز ما كتبه هو وما نقله عن الصحف والاخبار • لا سيما وانه لا  
يشير الى المصادر التي اخذ منها اشارة شافية • بل الظاهر انه كان يدرس الاخبار في  
مختلف الصحف وينظمها في شكل مقال يحوى زبدة الاخبار • ولكن هناك بعض التعليقات  
التي يشتم فيها انها من عقده كقوله محللا سياسة الدول تجاه فرنسا في حرب السبعين •  
وهو يدل على براعة في فهم الاحداث واطلاع واسع على التاريخ وتفهم • لا غبار عليه •  
لاحوال السياسة وشؤون الاجتماع :

• جبرأنا نقر بان للدول الاخرى بعض اعداء لخذلانها فرنسا • فان دولة الروسية  
واجدة عليها بسبب حرب القرم ودولة اوستريا آسفة بسببها على فقدان لمبارديا ودولة  
ايطاليا نائمة عليها اجازتها لرومية • ودولة اسبانيا معرضة عنها لتعرضها لها في تمليك  
البرنس ليوبولد • ودولة اميركا نائرة منها لجعل مكسيكو دولة امبراطورية • غير ان دولة  
الانجليز ليس لها ان تلومها على شيء • ومع ذلك فان تلك الدول قد جدت بها العروة  
والشهادة الى مصافاتها وابداء العيل لها ونسبت ما كانت تضره عليها •

ودولة انجلترا باقية كالجلمود . وقد كان يوكن لها بعد واقعة سيدان ان تتواطأ مع الدول على الغاء الصلح وكشف الضر عن فرنسا وهذا هو رأى جميع العارفين باحوال السياسة . الخ الى ان يقول : (١)

" وبعد فقولوا لنا ايها الكتاب ويا ارباب السياسة اذا كانت دولة متسلطة على ثلثمائة مليون من النفوس وكان دخلها مائة وعشرين مليون ليوة في العام ، وتاي انقاذها كامة فرنسا من التهلكة . فاي عاذر لها على اباؤها ومن ذا الذي يوجو منها بعد ذلك نفعا . لا جرم انها دولة سمها في ادبها . وان محنة فرنسا لا تزيد في وجاهتها شيا فتاخرها عن ازالة هذه المحنة عنها ان هو الا من الحقد القديم والتعاصر الذميم . وان موازنة قوى اوربوا التي طالما لهجت بها كتاب الاخبار صارت عدما . فليهنى الانكليز اليوم ان معاملهم وحوانيتهم مفتوحة . ومعامل فرنسا وحوانيتها مغلقة وان ارتالهم جارية بالركاب والبضائع وارتيال فرنسا معطلة . وان اشجارهم بلندرة نامية . واشجار باريس قطعت وان رهاغ لندرة مصرعون في الاسواق وهم سكارى واهل باريس يبيتون الليالي مشفقين من نفاذ الماء من عندهم ، وان مالطة آمة ومتر محصورة . الخ . . . . (٢)

" في هذه التعليقات تبرز روح الشدياق التهكمية . كما تظهر معرفته لاحوال انجلترا وفرنسا . معرفة لا يصل اليها الا شخر زلالهما وهاثر فيهما كالفارياق مما يجعلنا نعتقد انها من كتابته . وهناك قطع اخرى كثيرة من هذا القبيل .

ويظهر ميله الى فرنسا واضحا في هذا الجزء . وربما كان ذلك لانه احب فرنسا حين زارها حبا ظهر في ثنايا كتبه . والسبب آخر هو ان لها في الممالك المحروسة مآثر جليلة وهو يشير الى ذلك بقوله :

" انا نعظم قدر كل من يخار على وطنه ويسعى في تعزيره وتشريفه وفي تشريف قدر سكانه ونفعهم وهذه الخلقة وان تكن عامة في ام اوربوا الا انها في امة الفرنسيين اشهر واظهر لان الفرنسيين كلهم على مذهب واحد ولهم لسان واحد فهم بمنزلة عشيرة

واحدة في بقعة واحدة . وان كان بعضهم على مذهب البروتستنت ، فالحكم على الغالب .  
ولهذا نعظم قدر الفرنسيين على هذه الخيل ولا سيما ان لهم مآثر جليلة في جميع الممالك  
وخصوصا في الممالك المحروسة ، فلذلك حق علينا شكرهم والتتويه بمحامدهم .<sup>(١)</sup>  
وسبب ثالث يذكره في قوله :

" اي عين لا تدمع واي قلب لا يذوب حشرة وكندا واي عبارة تفي بوصف ما شغل  
فرنسا في هذه المحنة الطامة والرزينة العامة وهي فرنسا التي طالما سرت المحزونين  
واقاات المهوقين وانتصرت للمظلومين وانقذت المضطربين وانشات مكاتب ومدارس في جميع الاقطار  
وارسلت نساء لعياونة المرضى وتربية الصغار وحثت على المعارف والتمدن ونعم هي فرنسا  
التي لم يكذب استتب في الدنيا امر خطير الا بموازرتها وانجادها ومعاهدتها واسعادها  
فهي التي اعانت على جمهورية اميركا وما ادراك ما جمهورية اميركا وساعدت الدولة  
العلية في حرب القرم وفي صرف فتنة الشام ٠٠٠٠ الخ . " .<sup>(٢)</sup>

وهو في اكثر مواضعه من هذه الحرب يظهر تامله على ما وصلت اليه فرنسا ويدعو  
الدول الى الاسراع الى ايقاف الحرب قبل ان تجر على فرنسا الهولاء واليك هذه<sup>(٣)</sup>  
العبارة التي يتالم فيها لما حل بفرنسا ، ويحذر انكثرا وغيرها من الدول مغبة الامر :  
" فانظر بالله الى ما وصل اليه الفرنسيين من الذل بعد ان كانوا اعز الامم قدرا  
واكثرهم فخرا ، فهل يامن الانكليز وغيرهم ان ياتيهم يوم كيوم الفرنسيين فيصبحوا جميعا  
في قبضة رجل واحد . " .<sup>(٤)</sup>  
واسمع ما قاله حين اطفئت فتنة باريس :

" قد طرقت مسامعنا وطابت خواطرننا لحوادث التلغراف السابقة حيث انباتنا بان  
فتنة باريس قد انطفأت " .<sup>(٥)</sup>

وهذا الحب لفرنسا يقابله كره لانكثرا تلك التي كان ينتظر منها ان تساعد فرنسا<sup>(٦)</sup>  
فوقفت موقف الحياد ، وهو ينهي على الانكليز لومهم وهزلتهم وينذرهم شر يوم يصبحون  
فيه كالفرنسيين في قبضة رجل واحد ٠٠٠٠ ونحن لا نستطيع ان نوفق بين موقف الشدياق

(١) ص ٨ (٢) ص ٣٠ (٣) ص ٤٩ وما بعدها (٤) ص ١٩٢ (٥) ص ٢٥٥ (٦) ص ٥١

هذا وموقفه الودى من انكلترا الذى اشار اليه الشيخ محمد عبده<sup>(١)</sup> والذى وقفه منهم يوم ثورة عرابي . الا اذا عرفنا ما كان عليه الشدياق من التقلب السريع ، ومن لبسه لكل حالة لبوسها الخاص ، وهذا موقف يدل على مرونة سياسية ومقدرة عظيمة على التصرف بالامور .

والشدياق يعتمد كثيرا على علمي الاجتماع والنفس في تحقيق لبعض الاخبار والتعليق عليها . وهذه ميزة واضحة في اكثر كتاباته اشرفنا اليها سابقا<sup>(٢)</sup> وهو يهتم كثيرا بالعامل النفسي ويحسب له حسابا في تفهم الاخبار واستنتاج النتائج منها . من هذا قوله في مقاله " خذلان الدول للفرضا وفيما ينتج عن ذلك " .

" ما غرس في الطباع وتكرر على الاسماع ان الانسان متى راى خصمين يتضاربان فانه يرثي للضعيف المغلوب ويحنو عليه حنو المحب على المحبوب . وان يكن المغلوب هو الذى بدأ بالضرب اولا وهو دليل على ان الحاضر اشد تأثيرا في الانسان من الماضي حتى ان هذه الخلة اعني الحنو ترى غريزية . فيما اذا كان المتضاربان من الحيوانات غير الناطقة . فكثيرا ما راينا من رعاع الناس في الطرق من يتصدى لكف كلب قاور عن كلب مقهور . لمجرد النظر اليهما . وهذا الذى امل قلوب الناس جميعا الى محبة اهل هنكاريا حين تالبت على قهرهم اوستريا والروسية معا ، وهو الذى املها ايضا الى محبة الدانيمرك حين تالبت عليها اوستريا . . . الخ " .<sup>(٣)</sup>

وقوله :

" نعم يقال ان الالمانيين وروسهم مدربون على القتال وان سلاحهم اتم واحسن الا ان من يقابل عن حسبه وعرضه ووطنه وشرفه ليس كمن يقاتل لمجرد التغلب " .<sup>(٤)</sup>

وقوله :

" فاذا قيل ان الفرنسيين من شانهم المفاخرة والمباهاة وانهم قد راوا في الجرنالات مدحهم واطراءهم على ما ابدوه من الحماسة والذب عن بلادهم حتى كانوا اكفأ للالمانيين فلا ترضيهم الجمهورية . قلنا انه لا مباينة بين المباهاة والحكومة الجمهورية بشي . كما تشاهد في حكومة اميركا . . . الخ " .<sup>(٥)</sup>

(١) ا. ج. ص ٥١ في هذا الكتاب (٢) ا. ج. ص ٥١ في هذا الكتاب (٣) ا. ج. ص ٤٩

(٤) ا. ج. ص ١٤٦ (٥) ا. ج. ص ١٧٣

وامثلة هذه المخططات الاجتماعية والنفسية كثيرة في ما كتبه . وهي كثيرا ما تساعده على تهئية الجو والتمهيد للاحكام السياسية التي كان يجربها . وعلى تفسير الكثير من احوال السياسة والاجتماع .

وتظهر نزعة الفارياق الانسانية جلية في هذا الجزء كما ظهرت في غيره من كتبه وقد برزت هنا في كرهه للحرب وللذين يفررون بالانسانية ويضحون بها على مذابح شهواتهم واطماعهم في العز والجاه . فاسمعه يلوم الدول على عدم تدخلها لايقاف الحرب .

" واذا كانت الدول قد حنقت على الامبراطور نابليون وعلى دولته لانهم تسببوا في هذه الحرب . فاستمرارهم على الحق<sup>معد</sup> للانسانية فذنبهم في ذلك اكبر من ذنب وزراء الامبراطور . ألم يان لهم ان يشفقوا على من خرج من باريس من الاولاد والمجانزين والنساء غير الزواني فان الاخبار تواترت على ان جميع النساء خرجن منها افلا يتحسرون على من صرعتهم الحرب في ميدان وعلى الجيوش المحصورة في القلاع وهي تعيش بما لا بد منه من القوت لحفظ الرميح . بعد ان كانت في رقد من العيش وورا<sup>هم</sup> عيون تذرف الدماع لضنكهم وقلوب تنمزق لبؤسهم . افلا يأسفون على من في باريس وقد آثروا الموت على الحياة وقالوا النار ولا المصيار والمنية ولا الدنية والحين ولا الشين . وقد استعدوا للبلاء واستهدفوا للشتاء . فهندهم الساعة بمنزلة الاسبوع واليوم بمنزلة الشهر بعد ان كانوا غافلين عن محن الزمان وآمين من كوارث الحدتان . افلا يحزنون على هلاك اربعمائة الف نفس من الالمان والفرنسيين ما عدا خراب بيوتهم . وتيمم اطفالهم وفجع اقربائهم . فيالله ويا للمروءة كيف لا تستحي هذه الدول من بقائها ناظرة الى هذه الاحوال من دون حنو ولا شفقة . "

ويقول في موضع آخر متحسرا على ضحايا تلك الحرب :

" فيا حسرة على مئات الوف تطحنهم رحى الحرب وهم لم ياتوا شيا يستوجبون به خدش ابدانهم فضلا عن تناثر جماجمهم ويا عجبنا من هذا التمدن المفضي الى تخریب المدن وافقار الناس وتحسير القلوب وتفتيت الاكباد وفي الجملة فان هذه الحرب لم ير مثلها في اوربا قط فالرواية عنها بالتفصيل تقضي بمدة طويلة وصبر اطول ان كان



اسيف القلب لا يطيق ان يقول قد قتل عشرون الفا او ثلثون الفا في معركة كذا فنسال الله تعالى ان يلفظ بنا وان يلهم دول اوربوا التوسط في اصلاح ذات البين حقنا للدماء المسفوكه عبنا والله الامو من قبل ومن بعد .  
ويقول في موضع ثالث :

" فالمباهة الحقيقية هي في توير اسباب التمدن في المصلحة واجراء العدل والحق فيها وفي اعلائها على غيرها في التجارة والصنائع . لا في ابهة الملك الفارفة المصبوغة بدم الفقراء والمساكين " (٢)

ويظهر من حديث الشدياق عن عصاة باريس انه يكره الفكرة الشيوعية الاقتصادية كما ظهرت عند عتاة باريس . ويميل الى فكرة الاشتراكية الاسلامية التي تجعل للفقير نصيبا من مال الغني ، عن طريق الزكاة . وفي هذا يقول :

" ثم اني وان كنت من اشد المنكرين على هؤلاء العتاة تواطؤهم على مشاركة الاغنياء في اموالهم واملاكهم . وليس من طبيعي التحرش بالمذاهب والاديان اذ هو خان عن وظيفتي وما احد تعرض لهذا الا وضي بالعدل والعلام . الا اني ارى من المفيد ان ابين الاصل الذي بني عليه هذا الحزب عقيدتهم في مشاركة ذوى الاموال وهو ما ورد في آخر الفصل الرابع من سفر يقال له عند النصارى سفلا اعمال الرسل وهو عندهم من الاسفار الموحى بها كالانجيل والزبور والتوراة . وهذه ترجمته : " وكان الجميع الذي آمن منهم على قلب واحد ونفس واحدة ولم يكن احد منهم يقول عن الشئ الذي يملكه انه له . بل كان لهم كل شئ مشتركاً ولم يكن احدهم محتاجا الى شئ . لان الذين كانوا يملكون عقارا وديارا على كثرتهم . كانوا يبيعونها ويأتون بشئ ما باعوه ويضعونه عند اقدام التلاميذ . فكان يوزع منه على كل واحد على حسب حاجته الى ان قال في ابتداء الفصل الخامس : الا ان رجلا اسمه حنا نياس باع هو وامراته صغيرة ملكا واستبقى من الثمن وكانت امراته مطلقة على ذلك . ثم جاء بالبعض ووضعه عند اقدام التلاميذ فقال

له بطرس يا حنا نياس لماذا ملا الشيطان قلبك حتى تكذب على الروح القدس وتستبقي من ثمن الارض ، فلم تكن مدة بقائها ملكك وبعد ان بعثها فلم تكن في مقدرتك فلم اضمرت هذا الامر في قلبك انك لم تكذب على الناس بل على الله . فلما سمع حنا نياس هذه الكلمات سقط وسلم الروح . واستولى الرب على جميع من سمعوا بهذه الامور فقامت الشبان وحملوه ودفنوه وبعد ان مضى ثلاث ساعات جاءت امراته ولم تكن تعلم ما جرى فقال لها بطرس : قولي لي هل بعثت الارض بهذا المقدار ؟ فقالت نعم بهذا المقدار . فقال لها بطرس كيف اتفقتما على تجربة روح الرب هوذا اقدام الذين دفنوا زوجك لدى الباب فهم يحملونك ايضا . وفي الحال سقطت عند قدميه وسلمت الروح . فجاءت الشبان فوجدوها ميتة فحملوها ودفنوها جنب زوجها . هذا ما قصدنا ايضا على سبيل الاخبار لا على سبيل الانتقاد ليكن معلوما هذا الحزب الذي كاد يسرى في هذه الايام الى احزاب كثيرة من اولى الصنائع والحرف فانهم كلما تبطلوا عن العمل قام في خاطرهم انه يجب على الاغنياء ان يمولوهم وعيالهم . والحق ان المهلكة العاجزين عن معاشهم امر واجب على المستطيعين والمطيعين . ولكن بصورة مقررة سديدة كاداء الزكاة والصدقات مثلا الى بيت المال وهو على مقتضى قوله تعالى : والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم وحينئذ يصير توزيع ذلك بامر الدولة السائدة فاما اذا جرى على سبيل الغصب والفسخمة كما يفعل هؤلاء العصاة فانه يودي الى اضعاف الحقوق وافساد السياسة لا محالة وما اخذ من الدول يسوغ هذا الامر ولا الاغنياء يسامحون به فمما كثر عدد الرعايا الذين يحاولون فلن تغني كثرتهم عن العساكر شيا<sup>(١)</sup> .

اسلوبه : اشرنا في اول البحث الى ان الشدياق اخذ الكثير من اخباره عن صحف الاخبار . وهذا يمكننا من الاطلاع على اسلوبه في الترجمة . وقد وصفنا هذا الاسلوب في غير هذا المكان من هذا الكتاب ولان نضيف الى ما ذكرناه ان الصفة العلمية تغلب على اسلوبه السياسي كما تغلب على الكثير ما كتبه . كما بينا في غير هذا المكان .

وهو يشير الى ذلك ويبرى نفسه من التحيز الى طرف من الاطراف ، فيقول :

" وليكن معلوما انا لا ضلح لنا مع احد الفريقين ولا تعصب . فاق هاتين الامتين العظيمتين مستغنيتان عنا . . . الخ " (١)

" ويشير في مكان آخر الى حبه لفرنسا الا ان هذا الحب لن يكون سدا يحول بينه وبين قوله الحق :

" ولهذا نعظم قدر الفرنسيين على هذه الخلة . ولا سيما ان لهم مآثر جلييلة في جميع الممالك وخصوصا في الممالك المحروسة . فلذلك حق علينا شكرهم والتشويه بمحامدهم . الا انا لم نستصوب هذه المرة تنزعهم الى محاربة بروسية اذ ليس من سبب سديد لهذا " (٢)

ونراه يدعو الى التدقيق في ابراد اخبار الحرب لان الكثير منها موضوع لا يثبت امام مقاييس النقد

" من مني بتسطير الاخبار في وقت المحنة والاكذار تعين عليه ان يكتب منها ما يريد وما لا يريد . وما يستحسنه وما لا يستحسنه وما يصدقه وما لا يصدق . الا انه يجب عليه ان ينبه على مواضع الخطأ منها تحذيرا للناس من الاسترسال الى التصديق بالمحال . ولا نكاد نرى احدا من كتاب الاخبار يفعل ذلك وانما يلقون على الناس كل ما يصل اليهم منها . واذا كتبوا في اليوم التالي ما يناقضها فلا يعينهم ان ينبهوا عليه فصارت كتابة الاخبار في هذه الايام وسيلة للتخريف والتضليل حتى استحيينا والله من متابعتهم وصار من معتقدنا ان عدم روايتها اولى . مثال ذلك . . . الخ " (٣)

ثم يقدم بعض الامثلة التي تدعم هذا . ويقول في موضع آخر داعيا الى استعمال العقل وقياس الحاضر على الماضي :

" وباقي الاخبار زنها بعقلك ومشها على قياس ما مضى من امثالها " (٤)

وكثيرا ما نراه يعرض بعض الاخبار التي يعتقد انها ملفقة ويبين ما فيها من تشويش وتناقض . لنعط مثلا على ذلك من مقاله " في الاخبار المتناقضة التي رويت عن المتحاربين وعن الامبراطور " :

" من احوجه الدهر الى ترجمة الاخبار السياسية وخصوصا اخبار التلغراف وجب عليه ان يتلقاها بصدر رحيب وصبر طويل وذلك لكثرة ما يرد عليه منها من التناقض والاسفاف والاقتضاب . وكثيرا ما تلقي طرف خبر مهم يتنبه له الناس ثم تترك تتمته فيبقى السامع مقلها الى معرفته مثال ذلك ما روى عن الجنرال بازين من انه شرع في المفاوضة على تسليم قلعة ميزه ولم يعلم بعد ذلك ما جرى منه مع ان هذا الامر من اهم الامور ان لا يخفى انه لم يبق لفرنسا من العساكر المدربة على القتال سوى تلك العساكر . . . . . ومن ذلك انه كان قد شاع في الاستانة ان الجنرال افناثيف سفير دولة الروسية عازم على السفر الى بطرسبورغ بحسب رخصة من الدولة المشار اليها وبعض روى انه سافر فعلا واذا بخبر ورد من تلغراف لندرة يوذن بعدم عزمه على السفر لكنه بعد ذلك سافر ولعله اليوم نجى الامبراطور " (١)

ويقول في موضع آخر

" ومن ذلك قولهم ان كلا من دولتي انجلترا واطاليا طلبت من دولة اليونان ان يكون لها وكيل شرعي في المجلس الذي انعقد في اثينا للتصحر عن قتل الاسرى في ماراثون فابت دولة اليونان ذلك بناء على انها مستقلة في امورها الداخلية وان مثلها في هذا الاستقلال كمثل سائر الدول فلو ان قوما من الانجليز قتلوا في بلادهم نفرا من اليونان لما كان حق لدولة اليونان في ان ترسل وكيلها لمحاكمتهم . والان تبين من اخبار التلغراف على ما سيمر بك انه كان لدولة الانجليز في مجلس اثينا وكيلان لا وكيل واحد " (٢) . وامثلة ذلك كثيرة في هذا الجزء مما يدل على نزوة التي التتميم والتحرى وتجنب اطلاق الاحكام المرتجلة دون تدبر وقياس وتفكير .

الجزء الثالث : وهو يشتمل على بعض القوائد التي نظمها صاحب الجوائب في الاستانة . ولقد استعرضناه استعراضا دقيقا في حديثنا عن شعر الشدياق .

الجزء الرابع : وهو يحتوي على القصائد التي نظمها افاضل العصر من العلماء والادباء في مدح صاحب الجوائب او في مناسبات تتعلق به .

ويبرز هذا المدح في مناسبات كثيرة . ففنه ما قيل في رد هجوم الخصوم منه كصاحب برجيس باريس<sup>(١)</sup> . حين تطاول واخذ عليه بعض الاخطار في العدد الثالث والسبعين من الجوائب . وقد اكثر الشعراء من هجاء هذا واستفحل الامر بينهما فانقسم الادباء الى انصار وخصوم وقد اشرنا الى ذلك في مكانه . وقد قيل في هذه المناسبة من الشعر الهجائي ما هو اقرب الى الطعن الشخصي والاقذاع منه الى الرد العلمي المنطقي . ومن امثلة ذلك قصيدة نظمها احمد عزت العمري نقر فيها ادعاءات صاحب البرجيس . ومنها

من ذاته بين ذويه عزت  
والموصلي منشأ ومولدا  
وكان بالاحشاء وهنا قد الم  
على الرسول المصطفى الكريم  
خير البرايا قدوة الانام  
اظهار ما شاع وقدما قد علم  
المنتصي الى حى بارجيس  
الافضل الاعلم ذى المحامد  
واوهد الناس بعلم الرسم  
وفضله به يقر الجموع  
مسائلا ليست من الغرائب  
من بعد ما ارسلها اليه  
ملتزما طريقة التنكيث  
كلا ولا اصاب فيها قالا

قال ابو الفوارد احمد عزت  
العمري نسبا ومحتدا  
حمدا لمن اذهب عنا كل هم  
واطيب الصلاة والتسليم  
والسه وصحبه الكرام  
وبعد فالقصود من هذى الكلم  
من اعتراضات الغوى بارجيس  
على جناب اللوزي الماجد  
فارس ميدان الذكا والفهم  
من لفظه يسكر منه السمع  
فانه اثبت في الجوائب  
فردها ذاك الغوى عليه  
يسار بها في منهج التبيكيت  
لكنه ما انصف المقللا

(١) راجع " المناظرات اللغوية " في الفصل الخامس من هذا الكتاب

هذا وقد امنت فيه النظرا  
ولا ح كالصبح على عمود  
قرطت لانتعاج ذوى الانصاف  
وها انا اشرع في المقال  
احكم ما بينهما بالعدل  
فانشق فجر الحق لي واسفرا  
منه تحلى الجيد في عقود  
منه بدر ميز عن اصداق  
ازيل ما فيه من الاشكال  
وارفع الخضم بقول فصل (١)

وستحدث عن هذا المناظرة بالتفصيل في غير هذا المكان .

ومناظرة اخرى اثارها اصداق الشدياق وانعاره وهي مناظرة مع الشيخ الجواهري  
اليازجي . وقد تحدثنا عنها في غير هذا المكان . وما قيل فيها من الشعر ما نظم  
الشيخ رشيد المصرايي الدمشقي . قال :

افوز برب الناس من شر حاسد  
نتائج ربح الحما سدين بكيدهم  
وما الجهل والافساد والبقى للفتى  
نظن الردى خيرا بظلمة ظلمه  
كما بقي ابن اليازجي ضد كامل  
فسي ابراهيم لو كان عالما  
ولم يبقى ضد الكامل العالم الذى  
هو الاحمد المشهور فارس عصرنا  
ومن كل ذى بغى وجهل وفاسد  
يموتون غيظا من عزيز وما جد  
سوى الضر والبلى وكفر المعاند  
لاهل الهدى يبقى اشرف مضاد  
له ظن سوء الفعل حسن العوائد  
بمعنى اسمه يابى قبيح الموارد  
ياوصافه مرآة كل المحامد  
ابو خير مولود سليم كوالد . (٢)

ومن هذه المذائع ما قيل في جوائبه وذكر فيه فضلها على الامة الاسلامية .<sup>(٣)</sup>

ومن ما قيل في مناسبات خاصة به كتفريظ سر الليال<sup>(٤)</sup> وكنز الرفائب<sup>(٥)</sup> وتمنفته بالنيشان  
الذى منحته اياه الدول علم ١٢٨٣ هـ<sup>(٦)</sup> وما قيل في حرق بيته وسواها من المناسبات .<sup>(٧)</sup>

(١) كنز الرفائب ج ٢ ص ٤٤ (٢) نفس المصدر ص ٩٩ (٣) ج ٢ ص ٢٦٩  
٩٥ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٦ ، (٤) ص ٥٤ ، ٧٠ ، ٦٤ ، ٨٩ ، ٩٥  
(٥) ص ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٨ ، ١٥٢ ، (٦) ص ٢٩ ، (٧) ص ٢٦٩ ، ١٠٦٦

وقد نتساءل : ما الذي كان يدفع هؤلاء الأديبا إلى مدحه والوقوف بجانبه في وجه أعدائه ؟ ربما كان ذلك لتعصب ديني من أديبا المسلمين وعلمائهم ولا سيما أن الشدياق كان من دعاة الخلافة الإسلامية . كما أنه كان ينافح عن حوزة الدين في جموائبه . وقد يكون ذلك تقربا إليه وهو العزيز المقرب من السلطان وقد يكون ذلك لا لهذا ولا لذلك ، ولكن تقديرا لعلمه وتوثيقا لعمى الصداقة معه .

الجزء الخامس : " وهو يشتمل على ما في الجوائب من الحوادث التاريخية والوقائع الدولية من جملتها الأوامر السلطانية التي صدرت في الخطوب الشهيرة وغير ذلك من الفوائد " .<sup>(١)</sup>

وهذا الجزء يعد من المصادر المهمة لدراسة تاريخ الدولة العثمانية الداخلي والخارجي وتاريخ المسألة الشرقية وعلاقتها بالدول الأوروبية في ذلك الحين<sup>(٢)</sup> . وهذه المرحلة مهمة بالنسبة لتاريخ السلطنة ، لأنها كانت فترة الاحتضار في تاريخها . وكان بعض السلاطين يحاولون الإصلاح خصوصا في النظام المالي ، بيد أن جهودهم كانت تذهب أبانيد لا يرجع لها ولا هدى ، لأن الداء كان قد تفشى في جسم "الرجل المريض" والمطامع الأوروبية زادت واستفحلت . والشدياق يؤرخ هذه الفترة ويثبت في جوائبه الفرمانات والخطوط الهمايونية . كما أنه يترجم لبعض من مشاهير العثمانيين في تلك الفترة<sup>(٣)</sup> . وفي الكتاب بعض الأخبار والاحصاءات الضرورية المفيدة<sup>(٤)</sup> . وطبيعي أن يستعين به بعض المؤرخي تلك الفترة ، نذكر منهم على وجه التخصيص محمد فريد بك في كتابه " تاريخ الدولة العلية العثمانية " فقد استعان به في عدة مواضع أشار في بعضها إلى ذلك ، ولم يشر في البعض الآخر . وما نقله عنه ، وترجمة معاهدة باريس ، وقد ذكر المؤلف ذلك ، فقال

" واليك نص المعاهدة حرفيا نقلا كلفي الجزء الخامس من كنز الغائب في منتخبات الجوائب " .<sup>(٥)</sup>

(١) الصفحة الأولى من الجزء الخامس من الكنز (٢) راجع ص ١٥ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤

(٣) راجع ص ١٩٠ ، ١٩٤ ، ٢٢٨ ، ٢٤٤ ، ٢٦٩ (٤) ص ١١٠ ضلّا

(٥) تاريخ الدولة العلية ص ٧٦

أما المصادر التي أخذت عنها الجوانب فكانت النشرات الرسمية والصحف الاخبارية العالمية . كان ينقل عنها وبجوب ويستخلص زيد الاخبار - واسلوبه في هذا الجزء لا يختلف عن اسلوبه في الجزء الثاني من كثر الغائب اذ انهما يتفقان في الموضوع الى حد كبير .

الجزء السادس : وهذا الجزء لا يختلف في مواضعه كثيرا عن سابقه . ولكنه يتميز عنه بذكر اخبار الحرب الروسية العثمانية ( ١٨٧٧ - ١٨٧٨ ) . بالاضافة الى التاريخ الداخلي والخارجي للدولة العثمانية والمسالة الشرقية ما يحتاج اليه كل مؤن يتعرض لتلك الفترة .

الجزء السابع : واخباره لا تخون عن اخبار سابقه ، وهذه الاجزاء الثلاثة الاخيرة . كما ذكرنا سابقا . من احسن المصادر لدراسة تاريخ الدولة العثمانية الداخلي والخارجي في ذلك الوقت .

وقبل ان ننتهي من هذا الفصل . نود ان نشير الى الخدمات الجليلة التي ادتها مطبعة الجوانب الى النهضة الحديثة . فقد طبع فيها الكثير من الكتب الادبية واللغوية المفيدة . نذكر منها على سبيل التمثيل <sup>(١)</sup> " درة القوامر في اوام الخواصر للحريزي " . " الموازنة بين ابي تمام والبحترى " للامدى . وديوان العباس بن الاحنف . " ادب الدنيا والدين " للماوردي . ومقامات بديع الزمان الهمذاني ورسائله . وعن ذلك يقول شيخو :

﴿ وبهمة المترجم طبعت في مطبعة الجوانب عدة كتب ادبية قديمة استخرجها من مكاتب الاستانة فنشرها بالطبع بالحرف الاسلامي المشرق <sup>(٢)</sup> .

(١) صدرت قائمة بمطبوعات الجوانب في العلامدة التي صدرت في يوم الثلاثاء ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٣٠٠ هـ . (٢) الادب العربي في القرن التاسع عشر ج ٢ ص ٨٠



## الفصل السابع

في اللغات الاجنبية

ويتناول انتاجه الذي اعتمد فيه على معرفته باللغات

الاجنبية من ترجمات وتأليف

كنا نود ان ندعو هذا الفصل " الشدياق المتغرب " مقابلة للمستشرقين الذين  
عنوا باللغات الشرقية ودرسوا آدابها وتاريخها . ولكننا عدلنا عن هذا اللقب لانه  
استعمال غير دقيق اذ ان الشدياق لم يبلغ من اللغات الغربية ما بلغه هؤلاء من لغتنا  
الدقة في التحقيق والدرس . ومن نشر الكتب والمخطوطات . اذف الى ذلك انه درس  
لغات اخرى غير الاوروبية كالسريانية والتركية .

درس الفارياق اللغة السريانية اثناء تلقيه العلوم في مدرسة عين ورقة<sup>(١)</sup> المارونية  
التي كانت في الاصل ديرا لعائلة البطريرك يوسف اسطفان وحوله الى مدرسة سنة ١٧٨٩ .  
ومن هذه المدرسة خاصة انبثت علوم اللغتين العربية والسريانية بين نصارى سورية  
وفيها من العلوم والفنون<sup>(٢)</sup> . ولقد قرانا له رسالة ارسلها الى ظاهر الشدياق من  
الاستانة في غرة محرم سنة ١٢٩٠ . وفيها العبارة العربية الاتية مكتوبة بخط سرياني  
انيق " ليس لي تعلق بهذه الدولة اصلا لاني لست في خدمتها . واكبر اعداى هو  
ناظر الخارجية . فاذا كان هذا المتصرف من حزه وعرف ان في خدمة الحكومة بعضا من  
اقاربى طردهم لا محالة<sup>(٣)</sup> . وقد كان الشدياق بارعا في رسم خطها . وقد راينا نسخة  
من الصلوات البيهية مكتوبة بخط سرياني انيق<sup>(٤)</sup> . ونجد له في بعض الاحيان مقارنات بين  
اللغتين السريانية والعربية<sup>(٥)</sup> .

وطبيعي جدا ان يتعلم الشدياق في عصر كانت فيه لغة الكنيسة والكنيسة هي  
الحاكم الاول في البلاد . وفي مدرسة كانت مركزا للتعليم الديني عند الموارنة . الا اننا  
لم نجد له آثارا في هذه اللغة . سلوا<sup>(٦)</sup> في النقل او في التأليف .

وقد كان الشدياق يعرف التركية . وهذا طبيعي لانه كان اول امره في الاستانة  
موظفا في قلم الترجمة . كما انه نقل بعض الاخبار في جوائبه عن التركية .

(١) تاريخ الصحافة ١٤٠ ص ٩٦ (٢) الجامع المفضل في تاريخ الموارنة المؤصل ص ٥١٧ (٣) المكتوف عمدا ١٧٠  
ص ١١ (٤) عمدا على هذا الكتاب في مكتبة الاستاذ يوسف بزبلج (٥) كقول " ان اللغة العربية اصل  
لغة السريانية والعبرية " الكنز ٨٠ ص ١٨٩

وهناك اشارة الى كتاب له لم نعتريه وهو : " كثر اللغات : فارسي تركي عربي " (١)  
فيكون بذلك قد الف بالتركية والفارسية . وليس فيما بين ايدينا من المصادر ما يشير  
الى انه كان يعرف هاتين اللغتين او احدهما الا هذا المصدر الذي يشير الى ذلك  
ضما . الا ان يكون قد استعان باحد اصدقائه في ذلك .

وقد افاد الشدياق من رحلته في اوروبا بالاضافة الى ما اكتسبه من تجارب  
واختبارات . لغتين جديدتين هما الانجليزية والفرنسية . وقد الف في الاولي كتاب  
" الباكورة الشهية في نحو اللغة الانجليزية . والمحاور الانسية في اللغتين الانجليزية  
والعربية " وترجم عنها " شرح طبائع الحيوان " وساعد في اعراب لغة التوراة " . كما انه  
ترجم بعض الاخبار والمقالات في الجوائب . كما ذكرنا في الفصل السادس من هذا الكتاب .  
وفي الافرنسية الف كتاب " سند الراوي في الصرف الفرنسي " بالاشتراك مع غوستاف  
دوجا Gustave Dugat . وقد صدر هذا الكتاب سنة ١٨٥٣ . وقد ترجم عنها بعض  
المقالات والاخبار في الجوائب كما ذكرنا سابقا . وما نحن نستعرض بعض هذه الكتب  
شي من التفصيل :

#### المؤلفات :

#### الباكورة الشهية في نحو اللغة الانكليزية :

الف الشدياق هذا الكتاب عندما شعر بالحاجة الماسة اليه في لغتنا لان الانجليزية  
في نظره " قد جمعت محاسن لغات شتى فكانت فذلكة العلوم والفنون بتا . شملت  
كتب الاولين وزاوت عليهم اشياء لم تكن عندهم حينئذ مشهورة وانتقت ما طاب منها  
سيرة وسيرة (٢)

وهذا الاعجاب بتلك اللغة هو الذي دفعه الى خدمة ابنا لغته بهذا الكتاب  
والذي يليه . وقد قسمه الى اربعة ابواب . وقسم كلا منها الى اجزاء واقسام وهي :

(١) معجم المطبوعات العربية والمصرية عمود ١١٧٥ و برلمان " تاريخ الادب العربي ١ . A . ٥ . ٥٠٥ ص  
٥ . ٦ ، الباكورة السرية ص ٥٠

الباب الاول :

وهو معرفة احوال الحروف Orthography ويقسم الى ستة اجزاء .  
الجزء الاول : في تعريف هذا الفن  
الجزء الثاني : في لفظ الحروف واختلاف ما لها من الاصوات . كل منها على  
حدته

الجزء الثالث : في تقسيم الحروف الابدئية

الجزء الرابع : في التهجي

الجزء الخامس : في الكلام واشتقاقه

الجزء السادس : في زيادة بعض الحروف

الباب الثاني :

في تصنيف الكلام واشتقاقه ويسمى Etymology ويقسم الى :

القسم الاول : اداة التعريف ----- An Article

القسم الثاني : المنعوت او الاسم Substantive or Noun

القسم الثالث : النعت ----- The Adjective

القسم الرابع : الضمير ----- The Pronoun

القسم الخامس : الفعل ----- The Verb

القسم السادس : الحال والتمييز ----- The Adverb

القسم السابع : حروف الجر ----- The Proposition

القسم الثامن : حروف العطف ----- The Conjunction

القسم التاسع : حروف النداء ----- The Interjection

الباب الثالث : في تركيب الجمل ويقال له syntax وقد وضع له اثنتين وعشرين قاعدة<sup>(١)</sup>

الباب الرابع : في العروض .

والكتاب مأخوذ عن اصول انجليزية مع بعض التحوير الذي يجعله ملائما

للذوق العربي .

وما يدلنا على انه مترجم ان البعز من امثله جاء غريبا على الطالب العربي . فلا بد من ان يكون مأخوذا عن اصل انجليزي . مثال ذلك قوله :

He went from London to York<sup>(١)</sup>  
وترجمته : ذهب من لندن الى يورك

وقوله :  
He and his brother reside in London<sup>(٢)</sup>  
وترجمته : يسكن هو واخوه في لندن

وفير ذلك من الامثال التي نجدها منتشرة في عرض الكتاب . ونجد في المتن بعض عبارات على ذلك كقوله :

"وسميناء الباكورة الشهية في نحو اللغة الانجليزية لما انه لم يسبق قبل هذا ترجمة شي من هذا الفن"<sup>(٣)</sup> .

وقوله في موضع ثان :

"والله نسال ان ينفع بترجمة هذا المتن المختصر ويبلغ مطالعته منه الوطرد"<sup>(٤)</sup> .  
وفي موضع ثالث

• الاتري ان لفظه Before عدها اولا مع الاحوال تم عدها هنا مع الحروف<sup>(٥)</sup> .  
• ما يدل على انه كان ينقل في كتابه عن مؤلف امامه . وامثلة كهذه تدلنا على انه ربما كان ينقل عن اصل او اصول انجليزية . ونحن لا ننجم بانفالك . وانما حكمتنا من قبيل التخليب .

ولسنا الان في معرض البحث العميق المفصل في هذا الكتاب . ومع هذا فلا بد لنا من ان نسجل بعض ملاحظات اخذناها عليه اثناء مطالعتنا للكتاب واهمها ما يلي :  
اولا : ان المؤلف يميل الى الربط بين اللغتين الانجليزية والعربية . مما يرجح الطالب من عناء التخمين والحدس ويقرب المادة الى ذهنه . ويجعلها اسهل حفظا وايسر تناولا .  
من ذلك قوله :

---

(١) ص ٧٩ (٢) ص ٨١ (٣) ص ٨٥ (٤) ص ٩٦ (٥) ص ٨٠

" قد تكون حروف العلة بمنزلة الحركات في اللغة العربية بمنزلة حروف العلة  
وبمنزلة الهمزة اذا وقعت ابتداءً (١) .

وقوله في موضع ثان :

" مثال الاول في العربية المطدر فانه لا يثنى ولا يجمع الا اذا قصد تنويحه .  
ومثال الثاني اسم الجمع كقوم ورهط فانه لم يأت له مفرد . ومثال الثالث من المنعوت  
فلك وسراويل وكثرى فانها مفردة وجمع . ومن النعت جنب ودلامر وشمال وهجان (٢)  
وقوله في موضع ثالث :

" مثال القسم الاول في العربية الجمع السالم وهو ما جمع بواو ونون في حالة  
الرفع وباء ونون في حالتي النصب والخفض . ومثال ذلك الجمع المكسر (٣)  
وقوله في موضع رابع :

" فهو اكا فعل التفضيل في العربية الذي لا يبني الا من الثلاثي . واذا  
اريد صوغه من غير الثلاثي قرن بلفظة اعظم واشد وظائرهما (٤) .

ثانياً : قام الشدياق بتعريب بعض الاصطلاحات اللغوية في هذه اللغة . والتعريب صديقه  
الحميم الذي يعني به عناية كبيرة ومن تلك الاصطلاحات :

Definite Article	اداة تعريف حاصرة
Personal Pronouns	الضمائر الشخصية
The Adjective Pronoun	ضمير النعت
The Distributive Pronoun	الضمير المقسم
The Demonstrative Pronoun	الضمير الدال
Neuter verb	الفعل المستوي
Emphasis	التظنيب

وكثيرا ما كان يترجم بعض هذه الاصطلاحات ترجمة حرفية . وامثلة ذلك

الصوت العامل      The Active Voice      وترجمتها الصحيحة : صيغة المعلوم  
الصوت المجهول      The Passive Voice      وترجمتها الصحيحة : صيغة المجهول

ثالثا : وطبيعي الا يخلو كتاب كهذا من بعض اخطاء تقع فيه . فالموضوع بالنسبة الى اللغة والى المؤلف جديد . وقد وقع الشدياق في بعض اخطاء في الترجمة منها

ترجمته : انا ما ساعدت الرجل

I assisted not the man

مع ان الشائع فيها هو :

I have not assisted the man.

وترجمت الفعل المعلوم ، الفعل المجهول . Verb Active, Verb Passive.

مع ان الصواب

Active Verb, Passive Verb.

وكانت اثر منها بمعرفته للغة الفرنسية .

وغير ذلك من الامثلة . ونحن لا نلوم الشدياق على هذا فالموضوع شائك ، والخطأ فيه كثير الوقوع ، خصوصا عند السابقين .

### المحاورة اللاتينية في اللغتين الانجليزية والعربية

الف الشدياق هذا الكتاب تكملة لكتابه الاول لما فيه من الاختصار الذي لا يروى غليلا . وفي ذلك يقول

" فقد كنا اقتصروا قبل هذا من اللغة الانجليزية فننا ، وفتحنا من مغلقتها بمفتاح نحوها مدخلا حسنا ، يتوصل به الطالب الى بعض مطالبه ويدرك به الرغب شيئا من مآربه . الا انه كان لا يروى غليلا لاختصار عبارته وقواعده . فربما شاق الضافر الى زيارة كشف واعراب عن فوائده ، فشفعناه الان بهذا الكتاب معذرة له ، مشتتلا على فقر ومحاورات وامثلة ، مما لا بد من اجرائه بين الخاصة والعامة ، ولا استغناء عنه في الاحوال المتداولة اللازمة . وهي مبنية على اسس القواعد النحوية المذكورة في ذلك المدخل المسمى بالهاكورة

الشهية وداخلة في ابوابها وكاشفة عن حجابها لطلابها . فمضى ان يستفيدوا بهذا .  
وما تقدم ما يقدم بهم الى المعالي الى الغوص على درر هذه اللغة الخوالي (١)  
ثم يقدم فصلا دعاه " في اللغة الانجليزية خاصة وفي غيرها تبعا " يتحدث فيها  
عن اللغات عامة وعن الانجليزية خاصة ويبين ما بينها وبين العربية من فروق . وهذه  
تقع في ثلاثة انواع :

ملاحظات لغوية في الصرف والنحو واستعمالها ومنها .

١ . ان ترتيب ابواب النحو عندهم مخالف لترتيب نحو العربية . فانهم يقسمون الكلام  
الى تسعة اقسام ، بينما يقسم في العربية الى ثلاثة (٢)

٢ . انهم يقولون ان النعت شيق من الفعل . والفعل شيق من النعت . واسم المصدر  
من المصدر وبالعكس . وسبب ذلك انهم ينظرون في الاشتقاق الى كثرة الحروف وقتتها .  
فيجعلون الاكثر مشتقا من الاقل (٣)

٣ . انهم ينكرون كون بعض الافعال يتعدى الى مفعولين فمثل قولنا اعطيت زيدا  
درهما ، ما هو سائغ عندهم ايضا ، يؤولونه بان اصله اعطيت لزيد . ومثل جعلت زيدا  
وكيلا يقولون ان وكيلا حال (٤)

٤ . ان عندهم نعوتا استغنت عن ذكر المنعوت قبلها كواحد وصاحب عندنا ، فيجعلونها  
في عدد الاسماء الجامعة وسلبون عنها النعتية راسا . مع ان النعت هو ما دل على  
ذات وصفة . وهو هنا حاصل فلا اعتبار بالاستغناء عن ذكر المنعوت . وكذا ينقون معنى  
الوصفية عن الذي وامثالها (٥)

٥ . انهم يقولون ان هنا وهناك احوال وفوق وتحت وعند حروف جر ثم يدخلون عليها  
حروف الجر . (٦)

٦ . انهم يقولون ان من واخواتها تدخل على الضمير المنصوب وموجب ذلك ان للضمير  
المنصوب والمجرور صيغة واحدة . فكان الاولى ان يشبها هذا ولا يجعلنا الجار ناصبا (٧)

---

(١) ص ١٠١ (٢) ص ١٠٧ (٣) ص ١٠٨ (٤) ص ١٠٨ (٥) ص ١٠٨ (٦) ص ١٠٧ (٧) ص ١٠٩



ان صيغة المصدر واسم الفاعل عندهم مشتركة فحيثما وقع المصدر ظنوه اسم فاعل  
مثاله ملئت من سماعي اياه فيقولون ان اياه منصوب باسم الفاعل لا المصدر (١)

انهم يقولون ان المصدر فعل وهو عندهم لا يدل على زمن ولا على فاعل . بل  
يجعلونه تارة مرفوعا وتارة منصوبا ويسندونه ويسندون اليه . والذي يسهل ذلك ان مرادف  
الفعل عندهم كلمة الا انهم لما خصوها بالحدث وجعلوا المصدر قيما له صار يعد منه (٢)  
انهم لا يفهمون من المضاف والمضاف اليه الا المالكية . والمالكية والاضافة عندهم  
على نوعين احدهما ما جعل بين المضاف والمضاف اليه لفظة "اف" بضم الهمزة ، والثاني  
ما قدم المضاف اليه على المضاف والحق به حرف سين . وكثيرا ما يفصلون بين المضاف  
والمضاف اليه نحو : كان الوصول في يوم كذا أف الامير فلان . وهذا الفصل استعملته  
العرب نظما ونثرا ولكن تحاشاه المولدون (٣)

ملاحظات على اساليبهم في الكتابة والتعبير ومنها :

١ انهم يكررون ما يكون مدار المعنى عليه وان يكن حرفا وضميرا . كان تقول عند عتاب  
احد : ارايت ما فعل بي . وقد كنت مظلوما له بي . قد كنت انصحك وارشدك الى طرق الخبرات  
بي وقد سعيت في نفعه واوصلته الى هذه الغبطة بي . وقد ربيت بعض اولاده وعلمتهم  
ما يتعيشون به . ونحو ذلك (٤)

٢ وبعكس ذلك الاستغناء عن ذكر الفعل اعتمادا على فاصل الجملة كقول بعضهم ان  
اسحاق مع مشاهدته السكين الذي به والمذبح الذي فوج عليه لم يأنف من تقديم ضحيته  
لله (٥)

٣ وربما ابتدأوا الكتاب ، وان يكون عظيم القدر ، بكلام مقتضب كقول بعضهم اين  
فرنسيس؟ كان سؤال هنري لما اجتمعت عيسته للطعام . والوجه لان يقال لما اجتمعت  
عيلة هنري للطعام سأل اين فرنسيس (٦) وكان الشدياق هنا لم يلاحظ ان تقديم السؤال  
عن الاسم يعطيه اهمية وتاكيدا .

٤. وإذا كان ملك قد تنكر واتخذ له اسما غير اسمه ذكره بالاسم الثاني ووصفه بصفات العامة وذكروا في خلال ذلك انه كان يامر وينهي ويوعد ويتهدد بما لا يمكن لعامي ان يفعله. فيتعجب القارئ جدا ثم يقولون في ختام القصة انه كان ملكا وتنكر<sup>(٦)</sup>
٥. وإذا تصور احدهم معنى من المعاني بنى عليه كتابا مستقلا<sup>(٧)</sup>
٦. ولا فرق عندهم بين ان يقال انا اخرجه او اجعله يخرج او انا احب او اعمل محبه او انا اطلع او اسير فوق<sup>(٨)</sup>
٧. وعندهم علامات كثيرة للنسبة من جعلتها اليا، كما في العربية فان اسم الماء عندهم "واطر" بكسر الطاء، فاذا قالوا "واطرى" كان كقولنا ماتي . وقر عليه قولهم "قيرى" اي نارى "ودستي" اي تراي<sup>(٩)</sup>
٨. ومن هذه العلامات ما يدل على الغلة كقولهم "ويتشرا" فان "ويت" عندهم بمعنى ابيض. فاذا قالوا ويتشرا كان معناه يضرب الى البياض<sup>(١٠)</sup>
٩. وعندهم مرادف عميق وحلو وغني ومحبوب ومسكين ينعنون بها اي منعوت كان فيقولون صوت حلو وطلعة حلوة وطبع حلو وقلب حلو. وهو كتابية عن المعشوقة . وفكر عميق الخ<sup>(١١)</sup>
١٠. ومن الغريب انهم يعيرون اللغة العربية بكثرة الاستعارة والمجاز والتشبيه مع ان كلامهم مشحون بهذه الانواع فيقولون وجه مشغول اي انك تعرف من وجهه انه مهتم مشغول . حاجب بصير . طلعة آمرة او فكية اي اذا نظرت اليه عرفته انه ذو امر ونهى وتفكر . قرأت احزانها في طلعتها . . . الخ<sup>(١٢)</sup> وقر على ذلك اللغة الفرنسية فان اساليب جميع الافرنج مقاربة<sup>(١٣)</sup>
- وهذا راي ارتجالي اطلقه الشدياق دون معرفة عميقة شاملة لاساليب لغات الافرنج .
١١. ومن اسلوبهم انهم اذا حكوا عن شخص كلاما وكان ذلك الشخص متصفا بصفات

(٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) ص ١١٢ (٦) ص ١١٢ (٧) ص ١١٢ (٨) ص ١١٥

شئى كان يكون اميرا وشيخا وطيبيا وعادلا نسبوا اليه في كل جملة صفة فيتوهم القارىء ان  
الثاني غير الاول . مثال ذلك : كان الامير يحب السفر والسيلحة في البلاد . ولما كان  
الشيخ في بلدة كذا كتب رحلته فذكر فيها انه راي كذا كذا لان الطبيب كان مولعا  
بالبحث عن الغرائب . وقد عرف هذا الدأب من العادل منذ سنين عديدة (١)

١٢ صوغ الكلام على غير وثيرة واحدة فلا يقولون في مدح مدوح مثلا انه يعطي  
ويمنع يومر وينهي وينزل ويعز ويحلم ويبطر وانما يقولون . هو يعطي ويمنع وهو أمر وناء  
ومنه الاعزاز والاذلال وذو حلم وبطر . ويرزون ذلك تفننا في طرق البلاغة (٢)

١٣ ويلحق بذلك انهم يانقون من اعادة لفظة واحدة بعينها ولو بعد سطرين .  
فاذا احتاج المؤلف الى اعادتها لعدم وجود مرادف لها كنى عنها فيكنى عن الشمر مثلا  
بام الانوار ويقول النير الاكبر . . . الخ (٣)

١٤ ومع ذلك فانهم قلما يستغنون بالمضمر عن الاسم الظاهر وهو عندى من تناقض  
الافعال البشرية مثال ذلك : القيصر امر بتعبئة جيش وارساله الى بلد كذا . القيصر  
ورد اليه علم ان اهل ذلك البلد يهيمون بالعصيان لو لم يفعل القيصر هذا لربما نشأ  
من عزمهم هذا فتنة فكانت تجي . على غير مراد القيصر لانه يحب للسلم . ولا يتقربون  
بارتباط الجمل اعتمادا على النقط الفاصلة بينها (٤)

١٥ انهم اذا ذكروا مثلا حادثة وكان قد وقع نظيرها استشهدوا بها بعبارة فاسدة  
وذلك بان يقولوا : ولا يلزم ان نذكر هنا ما وقع نظير هذه الحادثة في السنة الفلانية  
ثم ياخذون في تفصيلها فيقولون لا يلزم ثم تفصيلهم لها خلف (٥)

١٦ انهم قلما يذكرون امرا من دون ان يهدوا له بما يجعله عاما مطرودا فيقولون  
مثلا قد كثرت اللصوص في هذه الايام فلم يبق لاحد امن على سلامته ولا على ماله .  
وفي الليلة البارحة دخل اثنان منهم دار رجل من التجار وسرقا منها صندوقا فارغا . (٦)

١٧. ومن أسلوبهم في الحكايات التي يراد بها بسط النفس وهي كثيرة جدا انهم يخلون وسيقون ويكتبون كل ما عن لهم فان لهذه الحكايات مقدارا مدلوما . وفي محفوظي ان كل مؤلف منها لا بد وان يكون في ثلاث مجلدات فمثلهم كمثل كتاب صحف الاخبار<sup>(٧)</sup> .  
١٨. وفي هذا النوع يستعملون المحاكاة وهي ان يحاكي كل انسان بلغته التي نشأ عليها . فاذا حكوا مثلا محاوراة جرت بلغتهم بين انجليزي وفرنسوي اوردوا كلام الفرنسوي كما نطق به وكذلك محاوراة بعضهم مع بعض فان لغة عامتهم ليست كلغة خاصتهم وهذا لا يتأتى في العربية ان لا بد من كلام العامة فيها على قواعد النحو<sup>(٨)</sup>

وكانني بالشدياق لم يطلع على كتاب البنجلاء للجاحظ . او لم يعتمد نفس هذا الاسلوب في "الساق على الساق" حيث اورد الكلام على الحكاية سواء كان عربيا ام اجنيا فصيحيا ام عاميا .

١٩. ومن أسلوب تأليفهم في المواظ والاداب العظيمة وهي كما قال الآمدى تشبهت الكلام بعضه ببعض . وهي ان يدخل لفظا من اجل لفظه تشبيها او تجانسا وان اختلف المعنى بعض الاختلال . وامثلة ذلك كثير في كلامهم<sup>(٩)</sup>

٢٠. ومن أسلوبهم بل أسلوب جميع الافرنج عدم مراعاة ارتباط الكلام بعضه ببعض اعتمادا على الفواصل من النقط . فيحسن عندهم ان يقال مثلا الجو مظلم والنهار قصير الليل طويل العمل متعذر النشاط مفقود الحاجة ماسة الفرصة لا تنتظر الانسان . . . فيستحيل تعريب شيء من كلامهم مع البلاغة الا ان يغير عن وضعه كل التغيير ولو طولبوا بمرعاة نسق العطف لكان عندهم بمنزلة مطالبة العرب بالاعتصاب فمن ثم اقول ان لغات الافرنج لم تزل صبيانية لان الصبيان اذا تكلموا لا يراعون منطوية العطف فيوردون الكلام غير متناسب كيفما اتفق<sup>(١٠)</sup>

- ٢١ ومن اساليبهم وهو ايضا عام عند سائر الافرنج عدم مراعاة النظير والمطابقة فيصح عندهم ان يقال قد لين اضطراب قلبه والوجه ان يقول : قد سكن اضطراب قلبه او ان يقال : ارتشف قلبه الكليم ما تاديبه والوجه قلبه الظمآن . . . الخ<sup>(٦)</sup>
- ٢٢ ومن اسلوب لغتهم ان يضيفوا الى الافعال حروفا وظروفا تحولها عن اصل معناها . مثال ذلك مرادف وضع فانهم يلحقون به مرادف على فيصير معناه ليس . واذا الحقوا به مرادف في صار معناه دخل او مرادف خارج صار معناه اظفا وهكذا غالب الافعال وهذا النوع ليس في اللغة الفرنسية ولا الطليانية . ولهذا قل ان يراعي اهل هاتين اللغتين هذه القاعدة فيقولون وضعت من غير على ويريدون ليست<sup>(٧)</sup> .
- ٢٣ ومن اعجب العجب انه ليس في لغة الانجليز ولا في غيرها من لغات الافرنج ولا في اللغة اليونانية ايضا سجع في الكلام ولا تجنيس ولا ترصيع ولا غير ذلك من انواع البديع سوى المجاز والتشبيه . . . من ان السجع طبيعي وهو قبل الشعر والتجنيس فيه بمنزلة الحلوى للحسنة والالوان للزهر والفرد للسيف والزئبق للمرأة . لا بل يرون التجنيس في اللغة العربية عتبا . وهكذا دأب من يقصر عن شيء فانه يعيبه . فكان الأولى لهم ان يقولوا ان لغتنا لا تطاوع على التجنيس . . . الخ<sup>(٨)</sup>
- ٢٤ اما الشعر عندهم فهو بمنزلة الرجز عندنا ان لا يمكنهم ان ينظمو خمسة ابيات من روى واحد الا مع التكليف . حتى ان بحور الشعر عندهم مختصرة جدا وربما اجتزأوا عن الوري بمجرد الوزن وانما هو وزن بالقبان . واعجب العجب انه مع سهولة الشعر عندهم وتجرده من محاسن البديع والقافية كما تقدم فسمية شعرائهم منذ عرفوا الشعر الى يومنا هذا الى شعراء العرب العاربة والمستعربة كنسبة واحد الى المائة<sup>(٩)</sup> .
- هذا ملخص ما لاحظته الشدياق على اساليب الافرنج في الكتابة والتعبير . نقلناه لك بالحرف تقريبا . وهي كما ترى ملاحظات سطحية يهتم صاحبها بالظاهر ولا يتعمق الى تحليل الفن الادبي .

واكثرها ملاحظات عابرة سبيل لم يطلع على اللغات الافرنجية عامة والانجليزية خاصة اطلاقا تاريخيا وفلولوجيا كانيا لان يتقدم الى بحث كهذا • ولذا في معرض تحليلها والا لبينا فيها كثيرا من الارتجال والتسرع والافتئات .

(٣) ملاحظات على طريقة الافرنج في التاليف والوضع • ومنها ما يلي :

١ • ان المؤلف اذا اورد في كلامه مثلا سائرا وضع في اوله وآخره علامة تدل على ذلك (٤)

٢ • وكذلك اذا استشهد بكلام غيره فانه يكتبه بحروف مخصوصة تميزه عن كلامه • والمؤلفون في العربية لا يلتزمون هذا التمييز فيلتبس كلامهم بالكلام المستشهد به • وقد يشيرون اليه بلفظة انتهى ولكن غير مطرد (٥)

٣ • واذا اوردوا مبادئ الافرنج - كلاما يتعجب منه كان يقال مثلا : فوضوا النظر في دعواه الى خصمه وضعوا هذه العلامة : فاغنت عن قولك يا للعجب (٦)

٤ • ان حروف لغاتهم متشابهة وليس فيها نقط الاعلى حرف واحد وهي اليا • ولهذا لا يقع في كلامهم تحريف ولا تصحيف خلافا للغة العربية فان التصحيف فيها لم يعلم منه احد من الرواة والمؤلفين (٧)

وفي هذه المقدمة يرد الشدياق دعوى من يدعون ان الانجليزية اصعب من الفرنسية ويقدم لذلك براهين كثيرة اهمها •

١ • ان اللغة الانجليزية تشتعل على ضمير يستعمل لما لا يعقل فيستوى فيه المذكور والمؤنث من الاسماء • وفي الفرنسية لا يد من التذكير والتأنيث • ولا علامة للتأنيث يميز بها عن التذكير الا في الفاظ معينة • وكذلك النعوت فهي في لغة الانجليزية يستوى فيها المذكور والمؤنث والجمع • تقول هذا رجل طيب وهذه امرأة طيب وهو لا • رجال ونساء طيب وليس كذلك في الفرنسية (٨)

٠٢ ان تقديم الصفة على الموصوف مطرد في الانجليزية وليس كذلك في الفرنسية (١)

٠٣ ان اداة التعريف في الانجليزية واحدة ليدخلونها على المفرد والجمع مذكرا ومؤنثا على حد سوى . وفي الفرنسية ثلاث ادوات . منها للمفرد المذكر ومنها للمفردة المؤنثة ومنها للجمع مذكرا ومؤنثا . وادخالها على المؤنث مشكل . فقد تقدم انه ليس فيها علامة للتأنيث الا في الفاظ معلومة وانما يدركها من يعرف اللغة الطليانية . لان اكثر افاظ الفرنسية منها لكها محرفة (٢)

٠٤ ان الضمير المنظوب في الانجليزية يوضع بعد عامله كما في العربية . وفي الفرنسية يوضع قبله وذلك يودي الى التباس المذكر بالمؤنث (٣)

٠٥ ان علامة الجمع في الانجليزية حرف السين الا في الفاظ معلومة . وهي كذلك في الفرنسية الا ان الفرنسيين لا ينطقون بها حتى انهم يحذفونها اذا وقعت في وسط الكلمة ولو قدروا لحذفوها من اولها (٤)

هذا اهم ما جاء في هذه المقدمة وقد عرضناه ببعض التفصيل لانه يدل على ملاحظة شاملة وعلى اهتمام بالابحاث اللغوية . وهذا لا يعني . كما قدمنا . انه خلو من احكام ارتجالية وتعميمات خالية من كل دقة وعمق . والآن نتقدم الى الكتاب ونعرض اهم ما جاء فيه مع ابداء رأينا فيه وملاحظاتنا عليه .

هذا الكتاب عبارة عن تطبيق استعمال للقواعد التي اثبتها المؤلف في " الباكورة الشهية " ، قدم المؤلف فيه امثلة تبيّن استعمال ادوات التعريف والاضافة واسم الجمع والنعوت والاسماء ومراتب افعال التفضيل وفعل التمليل (Verb to Have) وفعل الكون (Verb to Be) والافعال الناقصة وفعل الحال Present Tense والفعل الماضي غير التام والماضي التام الى آخر ما هنالك من مواضيع بحثت في " الباكورة الشهية " . ثم جاء بست عشرة محاور في مواضيع مختلفة كأنواع التحية والسلام عند اللقاء وفي الرقاد والقيام وفي الفطور وفي البيع والمشرا وفي الغذاء وفي الطقس والفصول وفي صور الخطاب في الرسائل وغير ذلك . وينتهي المؤلف الكتاب بقاموس يشتمل على معاني المفردات الواردة في الامثلة

وأول ما يلفت نظر مطالع هذا الكتاب هو كثرة الأخطاء التي تسود كل صفحة من صفحاته تقريبا . وأكثر هذه الأخطاء ناتج عن عدم التعمق في دراسة اللغة وأساليبها في الكتابة والتعبير . فأخطاء الترجمة كثيرة . وأكثرها عائد إلى جهل المؤلف مصطلحات اللغة وطرق استعمالها . ولكن الإذنا التمثيل على ذلك قدمنا الكتاب بمعظم ما فيه . ولكن لا بد للاحاطة واتمام الفائدة المتوخاة من الكتاب من التمثيل على ما ذهبنا إليه . فمن أخطائه في الاستعمال ترجمته :

Do you observe all the commandments of the Lord.

بقوله : حافظ على جميع وصايا الرب<sup>(١)</sup> فالجملة الانجليزية في صيغة الاستفهام والترجمة العربية في صيغة الامر . وترجمته .

Wait for your friend

بقوله : اصبر على صاحبك<sup>(٢)</sup> . والترجمة الصحيحة لها هي : انتظر صاحبك .

Can they have thought seriously about the matter

بقوله : الممكن لهم ان يستعظموا هذه المادة . مع ان الترجمة القريبة من الصواب هي : الممكنهم ان يفكروا جديا في المسألة<sup>(٣)</sup> .

وترجمته "If you have no objections let us first call at the cloth merchant's shop." بقوله : لذا لم يكن لك مانع تعال نذهب اولا الى دكان بيع الجوخ<sup>(٤)</sup> .

والوجه ان يقول : اذا لم يكن لديك مانع ما دعنا نذهب الى دكان بائع القماش اولا .

هذه الترجمات وسواها قد تكون صحيحة اذا نظرنا الى المعنى الاجمالي البعيد لبعضها . ولكن هذا كتاب ابتدائي للتعليم . على المؤلف في كتاب كهذا . ان يعطي المعنى الدقيق للجملة او الكلمة . لان الاتيان بالمعنى البعيد قد يؤدي الى بلبلة الطالب . والشق عليه باعطائه المعاني البعيدة في مرحلة ابتدائية من دراسته .



اما عبارة المؤلف في الكتاب . فقد كانت تتارجح بين الفصحى التي تصل الى حد الصعوبة احيانا . وبين العامية المبتذلة . ومن قبيل الاول ترجمته .

"الرقيع الازرق" The blue sky (١)

انا ابغض موالسته اى رياءه I hate his duplicity (٢)

افلا يودونك اصلا Do they never invite you (٣)

مرآة او عناس Looking glass (٤)

وغير ذلك من الترجمات الصعبة . وقد كنا نخشى ذلك للشدياق لولا انه كان يسف احيانا فياتي بالعامي كقوله :

عنون مكاتيبك لتحت يد القنصل Address your letters to the care of the consul (٥)

ما لي وقت I have no time (٦)

Will you have the kindness to send the cloth to my house by your boy. (٧)

اتفضل علي بان ترسل الجوخ الى منزلي على يد غلامك .

لي البركة بزوبنتك I am much obliged for your custom (٨) وكثيرا ما كان يلتمس الترجمة الحرفية كقوله : (٩)

شركة من عسكر ارسلت من طرف الحاكم A company of soldiers was sent by the government. (١٠)

يقبضه على الظل ما ملك جرما Grasping at shadows he lost the substance. (١١)

التوقف على ملاحظتهم هذه القوانين كثير Much depends on their observing these rules (١٢)

بوعدنا كثيرا وعملنا قليلا نمود محقورين we become despicable. By promising much and performing but little (١٣)

وامثلة هذه كثيرة في هذا الكتاب .

وامام الترامه للترجمة الحرفية في بعض المواضع . نراه كثيرا ما يعيل عنها الى

التصرف الذي يذهب بالمعنى الاصلي كما يظهر في ترجمته لهذه العبارة .

He discovered what means were used by his adversaries to counter act his schemes. (١٤)

اطلع على الوسائل التي استعملها لخصاوه ليخيبوا قصده .

(١) ص ١٢٧ (٢) ص ١٥٩ (٣) ص ١٦٠ (٤) ص ٢٩٠ (٥) ص ١٧٤ (٦) ص ٢٠٤ (٧) ص ٢٢١ (٨) ص ٢٢٤ (٩) ص ٢٢٤  
ص ٢٢٤ كان يحتملها ويقول: "انه لادعاه اكثر منه ان يترجم من لغة الى اخرى بعينه الالفاظ والتركيب  
اذ لا يصور في البال ان لغة تطابره اخرى في التعبير" كسف الخفا ص ١٤٤ (١٠) ص ١٧٦ (١١) ص ١٩٠  
(١٢) ص ١٩٠ (١٣) ص ١٩١ (١٤) ص ١٢٦

ويظهر ذلك ايضاً في الحوار التالي :

• Have the kindness to present my regards to your family .

• I shall do so with pleasure .

- من فضلك سلم على عيلتك

- وصل . سلمك الله ( والترجمة القريبة هي : سافعل ذلك بكل سرور )<sup>(١)</sup>

هذا التفاوت في الترجمة بين الحرفية التي تصل الى درجة الخطأ احيانا .

والتصرف الذي يبعده عن المعنى الحقيقي يجعلنا ننتقد الشدياق ونلومه . وكنا لا

نلومه لو انه كان يترجم رواية او كتابا . ولكنه هنا يؤولف في قواعد اللغة وطرق استعمالها

فحق عليه اذن ان يقترب من الحقيقة ما امكنه ذلك . لان كل تصرف بعيد او حرفية

خاطئة . قد يبعد ان التلميذ عن الاستعمال الصحيح . كما يبعد ان المؤلف عن فرض

الكتاب . على اننا نؤكد ونقول ثانية ان الشدياق كان الرائد في هذا الباب . مما يجعلنا

نغتفر له اكثر اخطائه . وقد نضيف لهذا السبب سببا آخر وهو ان الشدياق بدأ

التأليف في الانجليزية قبل ان تيسر له قيادها وقبل ان يتمكن منها تمكنا يستطيع معه

ان يامن شر الزلل وخطر العثار اذا الف فيها .

سند الراوى في الصرف الفرنسي .

وهو كتيب يقع في ١٢٨ صفحة . الفه الشدياق بالاشترك مع غوستاف دوجا

Gustave Dugat وطبعه في نيسان سنة ١٨٥٣<sup>(٢)</sup> وقد قسمه الى خمسة فصول . وقسم كل فصل

الى ابواب . وهذه الفصول هي :

الفصل الاول : فيما يخص الحروف الهجائية واللفظ والقراءة والفواصل وهوف الحساب

وفيه خمسة ابواب .

الفصل الثاني : في تقسيم الكلام وفيه عشرة ابواب .

الفصل الثالث : في اعراب امثلة في الابواب الاولى من الفصل الثاني . الفصل الرابع

الفصل الخامس

(١) ص ١١١ (٢) يقول بركلمان في " تاريخ الادب العربي " الجزء الثاني ص ٥٠٥ انه طبع في سنة

١٨٥٦ ولكنه الطبعة التي رأيناها عند الاستاذ بك ص ٥٠٥ سنة ١٨٥٤

الفصل الرابع : في اصطلاحات خاصة باللغة الفرنسية

الفصل الخامس : محاوره

وحبذا لو كانت معرفتنا بالفرنسية تتيح لنا دراسة هذا الكتاب وعرضه كما عرضنا سابقه . ونأمل ان نتمكن من ذلك في المستقبل القريب . ولذا نكتفي بالقول بان هذا الكتاب لا بد وان يحتوى على بعض اخطاء ترجع في اكثرها الى عدم تمكن المؤلف من اللغة . ونبني حكمتنا الاحتمالي هذا على ما الغناه في الكتابين السابقين .

الترجمات :

(١) شرح طبائع الحيوان -

نقل الشدياق هذا الكتاب عن الانجليزية واسمه في الاصل

NATURAL HISTORY FOR THE USE OF SCHOOLS BY W.F. MAIER.<sup>(١)</sup>

ولم نعثر على الاصل الانجليزي حتى نقارنه بالترجمة التي بين يدينا . فنتمكن آنذاك من اعطاء حكم قريب من الصواب على أسلوبه في الترجمة . ولذا سنكتفي بعرض أسلوبه في الكتاب . دون الالتفات الى الاصول .

بين يدينا الجزء الاول من الكتاب . ولا ندرى اطبع الجزء الثاني ام لا . فالمصادر التي رجعنا اليها تشير الى الجزء الاول فقط دون الاشارة الى الثاني . مع ان المترجم يقول في مقدمة هذا الجزء :

" وقد قسمناه الى جزئين الاول في ذوات الاربع والطير خاصة وهو هذا والثاني في الاسماك واللافقاريات والحشرات نشرح في طبعه ان شاء الله تعالى بعد الوقوف على صحة اسمائها ."<sup>(٢)</sup>

والمترجم لم يكتف بالنصر الانجليزي بل اضاف عليه نبذا من كتاب الحيوان للامير اتاما للفائدة . وفي ذلك يقول :

(١) بركلمان - ملحقه لـ في الدرر بالعربي ٤٠ ص ٨٦٨ (٢) ص ٢

" وقد أضفنا الى عجالتنا هذه التي قصدنا تعجيل طبعتها وزيادة فائدتها ونفعها كراسة جمعناها من كتاب حياة الحيوان الكبرى للامام العلامة الشيخ محمد الدميري تشتمل على اسماء كثير من الحيوان . فلعل في مقابلة ما فيها بما هو منقول هنا ومعرب حصول المرام للطالب المستفيد — . . . ومتى رأيتك في بعض الوصف حرف ز وكلمة الى فاعلم ان تلك زيادة على الاصل استعنا بها من كتاب الحيوان المذكور<sup>(١)</sup> .  
 وقيمة عمل الشدياق في هذا الكتاب تظهر في انه شق طريقا صعبا شائكا في الترجمة العلمية من الانجليزية الى العربية . وقد اضطر لذلك ان يضع بعض الاسماء لبعض المسميات كما انه اضطر لان يعرب البعض الاخر . ولا بأس من ان تقدم امثلة من هذين النوعين تسهل علينا تقديم مجهود المترجم وتقديرا قريبا من الصواب فمن الكلمات الموضوعة :

Accepteres	٠١ كواسر ( ص ٢ ) <sup>(٢)</sup>
Avocet	٠٢ نكات ( ص ٢٢ )

وعنه يقول الفريق امين معلوف في كتابه معجم الحيوان :

" واظن ان احمد فارس سماء النكات لانه ينكت الرمل بصفقاره في البحث عن الديدان . . . . . ولا يخفى اني اخذت كثيرا من احمد فارس او عن الدكتور بوميت وهو اخذ عن احمد فارس . وانه يصعب كثيرا معرفة الالفاظ العلمية التي ارادها اولهما لانه لم يذكرها . اما الدكتور بوميت وكان معاصرا له فقد ذكرها . ولعله اخذها عن الكتاب الذي ترجمه احمد فارس ولولا ذلك لتعذر علي معرفة الاسماء العلمية<sup>(٣)</sup> .

Babiroussa	٠٣ خنزير الهند ( ص ٢٣ )
Bitern	٠٤ الحجاج ( ص ٣٦ )
Black Cap	٠٥ ابو ظلفوسية ( ص ٣٦ )
Trumpeter Bullfinch	٠٦ الدغناش ( ص ٤٢ )
Cassowary	٠٧ شبنم ( ص ٥٢ )

(١) المقدمة ص ٤٧ (٢) الرقم بيه الدوايس هو رقم الصفحة التي وردت فيها الكلمة في معجم الحيوان  
 للخرنوب امبه المعلوف الذي اعتمدنا عليه في معرفة الاسماء التي وضعها ادخبرها الشدياق (٣) معجم الحيوان ص ٤٤

C. Frugilegus	٠٨	فداف ( ص ٧٤ )
Crosskill	٠٩	المصلب ( ص ٧٦ )
Ferret	٠١٠	خطاف الفئك ( ص ١٠٧ )
Fly Catcher	٠١١	خطاف الذباب ( ص ١٠٩ )
Nut Patcher	٠١٢	خازن الجلوز ( ص ١٧٣ )
Nut Hatcher	٠١٣	الانسان الوحشي ( ص ١٧٥ )
Orang-Utar	٠١٤	رتفلق ( ص ٢٠١ )
Rail	٠١٥	كسلان ( ص ٢٣١ )
Sloth	٠١٦	داب ( ص ٢٦١ )
Wall Creeper	٠١٧	فظ ( ص ٢٦١ )
Walrus	٠١٨	شره ( ص ٢٦٥ )
Glutton		

ومن الكلمات المعربة :

Bison	٠١	بيسون ( ص ٣٥ )
Coati	٠٢	قوطي ( ص ٦٩ )
Kangaroo	٠٣	قنقر ( ص ١٣٨ )
Marmot	٠٤	مرموط ( ص ١٥٨ )
Mouflon	٠٥	مفلون ( ص ١٦٣ )
Racon	٠٦	راكون ( ص ١٩٤ )

ولا يدخلو كتاب كهذا مترجم عن الانجليزية في اول عهد الترجمة من ابهام في العبارة ناتج في الاكثر عن عدم التعق في فهم النص الانجليزي فهنا علميا كقوله :  
دخفاً

---

" ومن ذلك يعلم علما كافيا ان رتبة ذوات الاربع قريبة منا انفسنا . وان المشابهة بين بنيتها وبنيتنا ولا سيما نوع القردة منها وقرينتها التي تظهر لمن بعض اصنافها القرب من مرتبة العاقل وملكها القيام بخدمة الضرورية مع ما لها من القوة على ضررنا كل ذلك يجعلها بالاجماع الغاية الاولى لتعجبنا وعبرتنا<sup>(٤)</sup> . وقوله في موضع آخر .  
" والظاهر ان الهواء والحلف يوثران في البقراكثر من جميع ذوات الاربع فانواعها المختلفة في برتانيا على صفرها انما مشاوه جودة الارض وريادتها<sup>(٥)</sup> .

والترجمة الحرفية والخروج عن الساليب اللغوية لا يستغرب وجودها في كتاب كهذا ترجم في حين خلو المكتبة العربية من امثاله التي يرجع اليها في تقرير الاسلوب ومعرفة المصطلحات . ومن امثلة ذلك قوله :

" وقد كان رؤى واحد من افراده في انجلترا<sup>(٦)</sup> .

وقوله :

فاما خفتها فانها تغادر القانصين ورا<sup>(٤)</sup> .

وقوله :

" فانه يحاكي الحصان في عدة اسنانه وطول راسه وفي ان له معدة واحدة .  
والبقر في ان له ظلغا مشقوقا وتركيب احشا واحدا وذوات المخالب في انه يحب اكل اللحم وولد كثيرا<sup>(٥)</sup> .  
وتقرن الترجمة الحرفية في بعض الاحيان بالركاكة ومن ذلك قوله :

" وكل من هذه الانواع مابين للاخر . ولكنه لا يمنع ذلك من ان يحكم عليها اجمالا بان اصلها واحد<sup>(٦)</sup> .  
وقوله :

" وخفته غاية ما يكون<sup>(٧)</sup> .

(١) ص ١٨٢٧ (شرح طمايح الحيوان) (٢) ص ١٧٢ منه (٣) ص ٢٥ (٤) ص ١٨٤ (٥) ص ١٨٦

(٦) ص ١٤٥ (٧) ص ١٤٦

وقوله :

" وقل ان يرى هذا العدد في اوروبا كلها في فرد زمن " (١)

وقوله :

" واخر ما يشغل من الصوف في بلاد الانجليز من صنف العمال انما يكون صنف<sup>(٢)</sup> ما .

وقوله :

" وفرط قصر جبا حيه لا يمكننا من الطيران " (٣)

ومقابل هذه العبارات الركيكة التي تقرب من لغة الشعب احيانا ، انراه يترجم ببعض كلمات يصعب فهمها على اللغويين بله التلميذ المبتدىء الذي وضع له الكتاب .  
وامثلة هذه منشورة في عرض الكتاب ومنها :

١٠ ص	ويتأزأ فرقا
١١ ص	يجعل له ريثا ليبنيه سره عند حلول الخطر
١٧ ص	ومن طبعه التأجل اى انه يسير مع اسراب
٢٣ ص	يدخل رأس لسانه الحاد في رواهشهم
١١٦ ص	غشمره
١٢٤ ص	الاكارين
١٥١ ص	التوقل
١٦٨ ص	ممجزة
٢١٢ ص	واثنان منه يشرطان ثورا
٢٣٩ ص	ذو بظر وصبيان
٢٦٨ ص	وقديري منه رامج ليخوى غيره
٢٧١ ص	طمعا في التقاط ما يسقط من انايبرها
٢٨٢ ص	التي لا يدمق عليه فيها دامق

وقد تعذر للشدياق هنا بانه كان يضطر لان يتارجح بين البساطة والبصوبة في تعبيره . لانه كان رائدا يطوع اساليب البيان العربي لتسع الترجمة عن اللغات الاجنبية .

ولا ينسى الشدياق الادب في كتاب كهذا كله علم . فنراه يوشيه لقائد بعضها مترجم وبعضها مقتبس وبعضها منه . من ذلك قوله في آخر الكتاب من قصيدة له " تشمل صفات ما ذكر منه وما لم يذكر وتعرب غير تدبير الخالق جلّ هز لمخلوقاته الجليلة والحقيرة يعتبر بها اللبيب ويرتاح لها الاديب <sup>(١)</sup> .

هي البسيطة قد ضاقت عن النسم  
من طهمل لا يكاد الحس يدركه  
ما من مكان ترى الا وقد ملئت  
فمن بخار اجام منتن ركم

مشحونة بوجود صيغ من عدم  
وهيكل وكلا الضدين في نظم  
جهاته الست من خلق ذوى نسم  
من الحشائر حديد اللحظ عنه عي

الى ان يقول :

هل من فتى مدرك ما عينه نظرت  
وراز احمدها حالا وهاقبه  
حتى يقول على الرحمن مفتريا  
سبحان من خلق الاشياء متقنة  
ما ان ترى عوجا فيها ولا خللا  
ان اللبيب له من خلقها عبر  
فخير ما قدم الانسان من عمل

من كل شي بسط الكون منتظم  
وماذا انفعها كطا لمغتنم  
هذا فيق وهذا غير ذى عظم  
صنعا فتعبده بالوحي والكلم  
وان منها لذا حمد بغير نسم  
والجاهلين عن التذكير في صمم  
ان يحمد الله في بد \* ومختتم <sup>(٢)</sup>

ومعد فهذا هو كتاب " شرح طبائع الحيوان " عرضناه عرضا سريعا . واننا نكرر اعتذارنا لضعف اسلوبه ، وانحطاطه عن مستوى اسلوب الشدياق العام .

### ترجمة التوراة

عرف الشرق الادنى من ترجمات التوراة الترجمة العربية التي نقلت عن النسخة اللاتينية المقبولة في الكنيسة الكاثوليكية فطبعت في مجمع انتشار الايمان في ثلاثة مجلدات بالقطع الكامل في سنة ١٦٧١ .



ثم جاء البيروتستين "لي" و "ماك برمد" ونزعا من الترجمة الكاثوليكية المقدمة والاسفار  
القانونية الثانية والنم اللاتيني وطبعها على نفقة شركة التوراة\* في لندن سنة ١٨٢٢ .  
ثم تباعت الترجمات والطبعات وكلها تعتمد في اهم عملها على الترجمة المطبوعة في  
رومة فهي اذن ام جميع النسخ المطبوعة في الشرق الموثوقة في مدنه . من ذلك النسخة  
الذمكية الموصلية (١٨٧٥) والنسخة اليسوعية البيروتية (١٨٢٦) والنسخة البروتستانتية  
البيروتية .<sup>(١)</sup>

اما ترجمة ~~فانيس~~ الشدياق ، التي نعني بها الان ، فقد اشتغل عليها قبل اسلامه  
مع الاستاذ لي ، المستشرق الانجليزي ، لتعمل عليها جمعية نشر الكيسة في التبشير .  
ولكنهما عولا على الترجمة الانكليزية المعروفة بنسخة الملك جيمس وفيها اغلاط تسربت  
الى الترجمة العربية . على ان هذه الترجمة لم تنشر مع انها طبعت سنة ١٨٥٧ في  
لندن .<sup>(٢)</sup>

ولا نستطيع ان نحدد بالضبط عمل الشدياق في هذه الترجمة . فالمصادر التي  
بين ايدينا لا توضح ذلك فبعضها يقول انه اشتغل في لندرا في تعريب ترجمة التوراة<sup>(٣)</sup>  
وبعضها يقول :

" وفي سنة ١٨٤٨ سافر الى لندرة بايعاز وزير خاجية انجلترا اجابة لدعوة  
جمعية ترجمة الاسفار المقدسة فاعانها في ترجمة هذه الاسفار الى العربية تحت اشراف  
الدكتور ~~لي~~ . واعجب الدكتور بعمله وجزارة مادته وشدة تدقيقه"<sup>(٤)</sup>  
وجاء في الجامع المفصل :

" وفي سنة ١٨٤٨ طلبته جمعية ترجمة الاسفار المقدسة بلندرا من حاكم مالطة  
ليعاونها في ترجمة الاسفار الى العربية فعاونها بتعريب هذه الترجمة وتنقيحها وضبطها  
فكانت احسن الترجمات من حيث اللغة العربية"<sup>(٥)</sup>

من هذه الاخبار . وما جاء في كتب الشدياق كالساق وكشف المخبا . لا نستطيع  
ان نعين بالضبط مدى مساهمته في ترجمة التوراة . ولكن لا شك في انه تعاون مع الدكتور لي

(١) اخذنا هذه المعلومات من مقال الادب السناس الكرسي نشره في مجلة "لغة العرب" مجلد ٨  
ص ٦٦٧ (٢) كتاب آداب اللغة لزيدان ج ٤ ص ٢٢٧ (٣) الآداب العربية في القرن التاسع عشر  
لشفيق ج ٢ ص ٨٠ (٤) فارس الشدياق طبعه ص ١٨ (٥) الجامع المفصل ص ٥٢٤

في اخراجها في حلتها العربية فاتماها في اقل من عشرين شهرا<sup>(١)</sup> . ولم يكن الفارياق حرا في التصرف بترجمته . بل كان الدكتور لي يقيد به بعض القيود فجاءت الترجمة ركيكة في بعض المواضع . ولنترك للفارياق الدفاع عن نفسه . قال :

" قد جرى لي معه وقت الترجمة عدة مناقشات ومجادلات لا بأس بايرادها هنا وان طال بها الكلام ، فانها عنوان على معرفة القوم لغة الشرقيين وخصوصا العربية . منها انه كان يحاول استعمال كلمة هوذا في كل موضع يجدها في الاصل اعني العبراني فانه لا يمتنع فيها ان يقال مثلا لان هوذا او وهو هوذا وكان هوذا رجل . وكان يظن ان اذا في قولنا : خرجت واذا زيد بالبواب لا تتخني مغناه هوذا . ومن ذلك انه كان ينكر قولنا مثلا احد الرؤساء بدل رئيسه ، ومن ذلك انه كان يريد المحافظة على الاصل بالاتيان بقائلا بعد قال فانه يقال فيه قال قائلا مع ان هذا التركيب في لغة الانكليز فكر . ولذلك كنا نجد في توراتهم وتكلم قائلا لا قال قائلا . وفي مثل قولنا ضرب لهم مثلا كان يبديل ضرب يقال لكنه كان يترجم في عقله لفظ ضرب الى لغته فلا يجد له معنى سوى الاصل الالم . وكان يبديل علم اعتقادهم براءى اعتقادهم ويزعم انها ابلغ في المعنى وان الاعتقاد ليس بمرادف للايمان فانه انما ينظر الى اصل اشتقاقه و هو العقده وهو غير مفيد معنى الايمان وكان يبديل ما البحر بيماء البحر وهذا لا محذور عنه . الا ان تبديله هوس . وجزم بان قولك في السؤال ما يكون لنا ابلغ من ما عسى ان يكون لنا . وان من ثم التي يوتى بها للسببية غير كثرة الاستعمال ولا تسد مسد ولهذا وكان يزعم ان لفظة المعجزات ليست من كلام النصارى حتى وجدناها في نسخة رومية . ومن اشد وساوسه تجنبه للسجع والتركييب الفصيح غاية ما امكن حتى انه زعم ان ما في الترجمة من قوله : خرجتم الى بعصي كلعين سجع ، وحاول تغييرها فلم يقدر فتركها وهو آسف . وكذا وهمه في : نلت خبراتك في حياتك وفي : وكان هناك قطيع من الخنازير كبير ، فكان يقول هو من السجع الذي ينبغي مجانته في كلام الله تعالى . وكان كلما راي جملة ، تنتهي بالواو والثون او بالياء والثون يقول انها مضاهاة لكلام الاقرآن ، فيبديها حتى انه راي هذه الجملة وهي :

وانتم على ذلك شهود . فقال ان هذا الوقف يشبه وقف القرآن فمن ثم بدلها بقوله :  
وانتم شهود على هذا . ووجد عبارة اخرى وهي وما اولئك بعابرين من هناك الينا فقال  
هذا التركيب نصيح . فبدل عابرين بيمبرون . ولم اتعجب من تغييره وانما تعجبت من  
انه شعر بحسن هذا التركيب . وزعم ان قولك مثلا : وكان رجل اسمه فلان اخصر من  
قولك ويسى . وكلما راى في الاصل عبارة كثيرة الالفاظ لا داعي له قال ان ذلك للتقوية .  
واذا راى فيه اجحافا ولو مع اخلال المعنى قال ان فيه حذفا للبلافة . . . الخ . \*

### ترجماته الصحفية

اشرنا في استعراضنا لكثير الرقائب ان الشدياق كان ينقل اخباره عن الصحف  
الاجنبية . وقد اشار في جوائبه الى بعض تلك الصحف . وقد تقيننا رأينا فيها .

كتب الشدياق

- ٠١ الباكورة الشهية في نحو اللغة الانكليزية، والمحاورة الانسية في اللغتين الانكليزية والعربية - (الطبعة الثانية) - القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ
- ٠٢ الجاسوس على القاموس - القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ
- ٠٣ الساق على الساق فيما هو الفارياق - القاهرة (بنفقة مكتبة العرب لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني) ١٩١٩ م
- ٠٤ سر الليال في القلب والابدال - القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٨٤ هـ
- ٠٥ سند الراوى في الصرف الفرنساوى (بالاشتراك مع جوستاف دوجا) باريس ١٨٥٣
- ٠٦ شرح طبائع الحيوان - مالطة ١٨٤١
- ٠٧ غنية الطالب ومنية الراغب في الصرف والنحو وحروف المعاني - (الطبعة الثانية) - القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٦ هـ
- ٠٨ فلسفة التربية والادب - الاسكندرية (بنفقة علي خطاب) ١٩٢٤ م
- ٠٩ كشف المخبا عن فنون اوروبا والواسطة في معرفة احوال مالطة (الطبعة الثانية) القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ
- ١٠- كثر الرقائب في منتخبات الجوائب (سبعة اجزاء) القسطنطينية (مطبعة الجوائب)
- الجزء الاول سنة ١٢٨٨ هـ
- الجزء الثاني \* ١٢٨٩ هـ
- الجزء الثالث \* ١٢٩٢ هـ
- الجزء الرابع \* ١٢٩٥ هـ
- الجزء الخامس \* ١٢٩٤ هـ
- الجزء السادس \* ١٢٩٥ هـ
- الجزء السابع \* ١٢٩٨ هـ
- ٠١١ اللطيف في كل معنى ظريف - (الطبعة الثانية) القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ
- ٠١٢ مقدمة ديوان احمد فارس - القسطنطينية (مطبعة الجوائب)

المراجع

١. آصف ، يوسف : " هو الباقي " القاهرة ( مطبعة جريدة القاهرة الحرة ) ١٢٠٥ هـ
٢. الابيارى ، عبد الهادى نجا : " التقريظات الصواب التي على الرسالة السماة بالنجم الثاقب " ثم تبيضا سنة ١٢٧٩ هـ ( على يد المؤلف )
٣. الاحدب ، الشيخ ابراهيم : " رد السهم عن التصويب وابعاده عن مرمى الصواب بالتقريب " - القسطنطينية ( مطبعة الجوائب ) ١٢٩١ هـ
٤. الدهم ، الدكتور اسماعيل : مقالات عن خليل مطران في مجلة المقتطف مجلد ١٦ سنة ١٩٤٠
٥. اديب باشا ، اوست : " لبنان بعد الحرب " تعريب الشيخ فؤاد حبيش - القاهرة ( مطبعة المعارف ) ١٩١٩ م
٦. اديب ، متيلدا : مخطوط في مكتبة الجامعة الاميركية ببغروت عن " فرح انطون "
٧. الاسكندرى ، احمد ، ومصطفى عناني : " الوسيط في الادب العربي " - مصر ( مطبعة المعارف ) ١٩٢٧ م
٨. الامير ، الشيخ يوسف : " رد السهم للسهم " - القسطنطينية ( مطبعة الجوائب ) ١٢٩١ هـ
٩. انطونيوس ، جورج : " بقظة العرب " تعريب على حيدر الركابي - دمشق ( مطبعة / الترقى ) ١٩٤٦ م
١٠. اوالد ، SWALD : " مجلة الجمعية الآسيوية الالمانية " Z.D.M.G المجلد الخامس - ليينج ١٨٥١ م ( بالالمانية )
١١. بادجر ، جورج : " الذخيرة العلمية في اللغتين الانكليزية والعربية " ( مطبعة اوستن ) هارفرد - انكلترا ١٨٨١ م
١٢. البدوى الطشم : " الناطقون بالضاد في امريكا " نشرة بالانكليزية لمعهد الشوون العربية الاميركية في نيويورك عام ١٩٤٦ .  
ترجمها وعلق عليها البدوى الطشم - القدس ( المطبعة التجارية ) ١٩٤٦ م
١٣. بربر ، نيقل : مقالات عن " تطور الفن المسرحي في العرب " مجلة المستمع العربي السنة الاولى .
١٤. برن ، اسحق

BIBLE WORK IN BIBLE LANDS  
PHILADELPHIA 1872

(2) GESCHICHTE DER ARABISCHEN LITTERATUR

VOLL 2 BERLIN 1902 & SUPPLEMENT

VOLL 2. LEIDEN (BRILL) 1928

- ١٦ البستاني و بطرس : " ادباء العرب في الاندلس و مصر الانبعاث " بيروت ( مطبعة  
صدر ربحاني ) ١٩٤٤ .
- ١٧ البستاني فؤاد افرايم : " الروائع " عدد ٢١ و ٢٢ - بيروت ( المطبعة الكاثوليكية )  
١٩٢٩ .
- ١٨ البستاني : دائرة المعارف مجلد ١٠ بيروت ١٨٩٨
- ١٩ بيريس و هنري : مجلة المكشوف اعداد ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ . سنة ١٩٤١
- ٢٠ جوان و ادوارد : مصر في القرن التاسع عشر " تعريب محمد مسعود - القاهرة  
١٩٢١
- ٢١ حسين و طه : " في الادب الجاهلي " مصر ( مطبعة الاعتماد ) ١٩٢٧ .
- ٢٢ حوراني و فضلو : مقالات عن " الجامعة الاميركية في بيروت " مجلة " المستمع العربي "  
السنة الثالثة ١٩٤٢
- ٢٣ الدبس و يوسف : " الجامع المفصل في تاريخ الموازنة الموصل " بيروت ( المطبعة  
الكاثوليكية ) ١٩٠٥ م
- ٢٤ ديب و وديع : " الشعر العربي في المهاجر الاميركية " مخطوطة في مكتبة الجامعة الاميركية  
سنة ١٩٤٥
- ٢٥ رضا و محمد رشيد : " تاريخ الاستاذ الامام " ( حزيران ) القاهرة ( مطبعة المنار  
الاول ١٣٥٠ هـ و الثاني ١٣٤٤
- ٢٦ زخريا و الياس : مقال في مجلة الجمهور عدد ٧٣ بعنوان " الشدياق يبحث حيا "  
١٩٣٧
- ٢٧ الزركلي و خير الدين : الاعلام ( الجزء الاول ) القاهرة ( المطبعة العربية ) ١٩٢٧
- ٢٨ الزهاوي و جميل صدقي : " رباعيات الزهاوي " بيروت ( مطبعة القاموس ) سنة ١٩٢٤
- ٢٩ زيدان و جرجي ( ٢ ) تاريخ آداب اللغة العربية " ( الجزء الرابع ) القاهرة ( مطبعة  
الهلال ) ١٩١٤ م .
- ( ٢ ) تراجم مشاهير الشرق ( جزوان ) الطبعة الثالثة ( مطبعة الهلال )  
١٩٢٢
- ٣٠ سركيس و يوسف اليان : ( ١ ) " معجم المطبوعات العربية و المعربة " القاهرة ( مطبعة سركيس )  
١٩٢٨

- (٢) مقال " الجمعية الشرقية في بيروت " المشرق مجلد ١٢ سنة ١٩٠٩
- ٣١ السيوطي ، جلال الدين : " الزهر في علم اللغة وانواعها " الجزء الاول ( الطبعة الثانية ) القاهرة - مطبعة عيسى البابي الحلبي
- ٣٢ الشايب ، احمد : " الاسلوب " ( الطبعة الثانية ) القاهرة ( مطبعة الاعتماد ) ١٩٤٥
- ٣٣ شبلي ، القس طانيوس : رسالتان للشدياق نشرهما في مجلة رسالة السلام مجلد ٦
- ٣٤ شبلي ، ميشال : " المهاجرة اللبنانية " - بيروت ( المطبعة الكاثوليكية ) ١٩٢٧
- ٣٥ الشدياق ، طنوس : " اخبار الاعيان في جبل لبنان " طبع بعنيدية المعلم بطرس البستاني بيروت ١٨٥٩
- ٣٦ الشرتوني ، سعيد : " السهم الصائب في تخطئة غنية الطالب " بيروت ١٨٢٤
- ٣٧ شيخو ، الاب لويس : (١) " الآداب العربية في القرن التاسع عشر " بيروت - ( مطبعة الآباء اليسوعيين ) ١٩٠٨
- (٢) " تاريخ الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين " بيروت ( مطبعة الآباء اليسوعيين ) ١٩٢٦
- (٣) " الألفاظ المنحوتة في العربية " مقال في المشرق ( مجلد ١ ) ١٨٩٨
- (٤) حفلة يوبيل مار يوسف بيروت ( المطبعة الكاثوليكية ) ١٩٢٥
- ٣٨ ضيف ، احمد : " الادب المصري في القرن التاسع عشر " مقال في المقطف مجلد ٦٨
- ٣٩ طرازي ، الكونت فيلب : " تاريخ الصحافة العربية " ( المجلد الاول ) بيروت ( المطبعة الادبية ) ١٩١٣
- ٤٠ طليمات ، زكي : " كيف دخل التمثيل بلاد الشرق " مجلة الكتاب ( المجلد الاول ) ١٩٤٦
- ٤١ عبود ، مارون : (١) عدد المكشوف الخامر ( ١٧٠ ) سنة ١٩٣٨
- (٢) " مجلة الجمهور " عدد ١٠٢ ، ١٩٣٨
- ٤٢ عرابي ( ورثته ) : " كشف الستار عن سر الاسرار " نشوه في مصر ورثة المؤلف .
- ٤٣ العقاد ، عباس : " عبقرية محمد " القاهرة ( مطبعة الاستقامة ) ١٩٤٢
- ٤٤ فارس ، احمد بن : " الصاحبين في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها " القاهرة ( مطبعة المؤيد ) ١٩١٠ م
- ٤٥ فاندريك ، ادوارد : " اكتفا " القنوع بما هو مطبوع " القاهرة ( مطبعة التاليف ) ١٨٩٦
- ٤٦ فريجه الدكتور انيس : (١) تعليق على مقال " من اسرار اللغة العربية " لاسماعيل مظهر المقطف مجلد ٩٦

(٢) محاضرات في اللغات السامية القاها علينا في الجامعة الاميركية في

بيروت سنة ١٩٤٨

٤٧ فريد بك و محمد : " تاريخ الدولة العلية العثمانية " (الطبعة الثانية) القاهرة

(مطبعة محمد مصطفى) ١٨٩٦

٤٨ قولني م : TRAVELS IN SYRIA & EGYPT DURING THE YEARS 1783 & 1784 . 1785 .

LONDON M2 D CCG I

٤٩ كرد علي ، محمد : (١) نهضة العربية الاخيرة " مقال في المقتبس السنة الرابعة ١٩٠٦

(٢) حصار من القرب والوضع في اللغة العربية في المقتبس السنة السادسة

٥٠ كرمللي ، الاب انستاس : مقال عن تاريخ التوراة العربية في مجلة لغة الحرب

المجلد الثامن

٥١ كيلاني ، ابراهيم " احمد ابو خليل القباني " مقال في العدد الاول من السنة الاولى

من مجلة " المعلم الجديد " السورية ١٩٤٨

٥٢ مسعد ، بولس : (١) " الذكرى في حياة المطران جرمانوس فرحات " جونية - لبنان

(مطبعة المرسلين اللبنانيين) ١٩٣٤

(٢) " فارس الشدياق " القاهرة - مطبعة الاخا ١٩٣٤ .

٥٣ مطران ، خليل : " التمثيل العربي " مقال في الهلال العدد الذهبي ١٩٤٢

٥٤ مظهر اسماعيل : " من اسرار اللغة العربية " مقال في المقتطف مجلد ٦٦

٥٥ المعلوف ، الفريق امين : " معجم الحيوان " - القاهرة ( مطبعة المقتطف ) ١٩٣٢ .

٥٦ المقدسي ، انيس الخورى : (١) " العوامل الفعالة في الادب العربي الحديث " القاهرة

(مطبعة المقتطف) ١٩٣١

(٢) " المخترارات السائرة " ١٩٤٦

٥٧ النجفي ، احمد الصافي : ديوان " الامواج " بيروت ( مطابع الريحاني ) ١٩٣٩

٥٨ نقاش نقولا : " ارزة لبنان " بيروت ١٨٦٩

٥٩ هارتمن :

THE ARABIC PRESS IN EGYPT

LEYDEN 1899

ENCYCLOPEDIA OF ISLAM VOL I ( BRILL ) LEYDEN 1913

VERGLEICHUNGS TABELLEN SBIPZY 1926

٦٠ وستنفلد ومهلر

٦١ اليازجي ابراهيم : (١) مقالات في الجنان ١٨٧١ (٢) " اللغة العامية واللغة

الفصحى " مقال في الضبا " مجلد ٤ ١١٠٢ الطبعة

٦٢ اليازجي خليل : رواية " المروءة والوفاء " الطبعة الثانية القاهرة مطبعة المعارف ١٩٠٢



٦٣ يزبك يوسف : مجلة الجمهور عدد ١٠٤٠٩٩ ١٩٣٨ •